الدكتور جورجي كنعان

وثيقة الصهيونية في العهد القديم



توزيع
دار إقرأ

« هكذا يقول الرب ، ملك اسرائيل ، وفاديه ، رب الجنود :

ويقف الاجانب ، ويرعون غنمكم . ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم . اما انتم فتدعون كهنة الرب . تأكلون ثروة الامم . وعلى مجدهم تتآمرون » .

الكتاب المقدس ـ سفر اشعيا ٦١/٥

« واما مدن هؤلاء الشعوب ، التي يعطيك الرب الهك نصيبا . فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها تحريما . تثنية ٢٠/١٦ » .

« ولا تعف عنهم . بل اقتل رجلا وامرأة . طفلا ورضيعا . بقرا وغنما . جملا وحمارا » .

الكتاب المقدس ـ سفر صموئيل الاول ١٥/٣

اثر فوز حزب « ليكود » في الانتخابات الاسرائيلية ١٨/٥/١٩٧٧ رد زعيم « ليكود » مناحيم بيغن على سؤال عن مستقبل الاراضي العربية المحتلة ، بقوله : « انها اراض محررة . فالمرء لا يحتل ارض بلاده » . واضاف : « ما هي فلسطين ؟ انها ارض اسرائيل » .

وثيقة الصهيونية
في "العهد القديم"

الدكتور جورجي كنعان

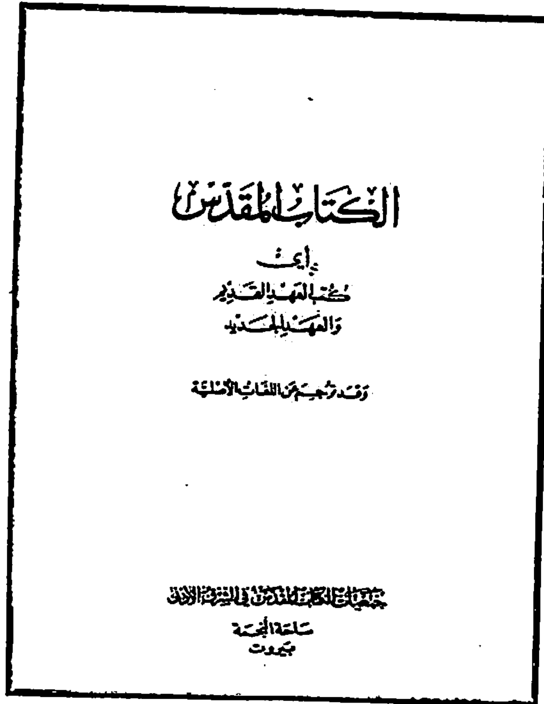
وثيقة الصهيونية في "العهد القديم"

طبعة اولى ١٩٧٧
طبعة ثانية ١٩٨٢
طبعة ثالثة ١٩٨٥

اشـــارات

١ ــ عمدت الى تكرار بعض النصوص ، وبعض الافكار ، والعبارات . فاذا ما نسبتني الى التكرار والترداد ، والى التكثير والجهل بما في المعاد من الخطل . فربما كان الغرض الذي اليه نزعنا ، والغاية التي اليها قصدنا ، انه كتاب يحتاج اليه المتوسط العامي ، كما يحتاج اليه الخاص . ويحتاج اليه الريّض ، كما يحتاج اليه الحاذق .

٢ ــ اكتفيت بذكر رقــم الاية الاولى فيالنصوص التياستشهدت بها من كتاب العهد القديم . واقتصرت احيانا على رقم الفصـــل « الاصحاح » . وقد اعتمدنا نسخة .



الكتاب المقدس

أي

كتب العهد القديم

والعهد الجديد

وقد ترجم من اللغات الأصلية

جمعيات الكتاب المقدس في المشرق الأدنى

سنة الطبع

بيروت

اسمحوا لي أن أقدم كتابي بمحبة،
إلى سائر الأدمغة المغسولة في العالم

مقدمة

— هل تعلم أن وثيقة الصهيونية في استملاك أرض فلسطين ، قائمة في كتاب العهد القديم ، الجزء الاول من الكتاب المقدس ، لدى جميع الطوائف المسيحية ؟

— وهل تعلم ان كتاب العهد القديم « المقدس » ، قد رسّخ جذور الصهيونية في عقول المسيحيين قبل اليهود ؟

— وهل تعلم ان كتاب العهد القديم ، هو تاريخ بني اسرائيل . وهذا التاريخ لا يحمل غير معالم الحياة القبلية ، البدائية . وان نصوصه « الدينية » التي تفيض وحشية ، وعنصرية ، وحقداً ، وكراهية ، لا تعدو ان تكون خيوطا سياسية لمملكة ارضية ؟

— ماذا تجد في كتاب العهد القديم « المقدس » ؟

يقال : انغلاق على الذات ، وانعزال عن العالم ، تحدوهما انانية بغيضة ، وعنصرية حاقدة . ويواكبهما احتقار لكل الشعوب ، وحقد على جميع الامم . خلاصته : شراهة لامتلاك الارض ، واغتصابها بشتى السبل والوسائل . يربي في النفوس اخلاقا دينيـة تستبيح ابادة الاخرين ، أو تشريدهم ..

فهل صحيح ؟ وهل فكرت يوما أن تسلط بقعة ضوء على هذا الكتاب ؟

— لماذا نتقبل نصوصه على انها مسلمات غير قابلة للنقاش ؟

— ولماذا نردد ، كالصدى ، ما سمعناه . ونتقبل ما يلقى الينا ، دون محاولة للفهم او التعمق أو الشك ؟

— إلامَ نبقى عميانا يقودون عميانا ؟

— هل حاولت يوما التحرر من تأثير الميول والعواطف ، والركون ، قدر المستطاع ، الى المنطق والعقل ؟

— اما أذهلك يوما ما تفرضه عليك التقاليد والعادات ، والسلطات الدينية والاجتماعية ؟

— لماذا تتقبل ما يفرض عليك من دون مناقشة ؟ وهل ما يفرض عليك

هو الحقيقة ، او ما اتفقوا على تسميته « بالحقيقة » . أم هو خرافات غايتها استعباد العقل البشري ؟

أنـــا ؟

أحسست بفكري يستيقظ من نوم جهالة عمياء ، وينشط بعد ركود طويل ، ويتحفز للوثوب . وكان سؤال ملحاح : الحقيقة ! من يتقبلها ؟

ادركت أن الغالبية ممن يسمون انفسهم بشرا ، لا ترفض تقبل الحقيقة ، فحسب . بل انها تحاربها بعنف ، وبجميع الوسائل . فاسمح لي يا قارئي العزيز ، أن كنت جبانا حين فكرت بازاحة الغطاء عن بعض جوانب الحقيقة ، لمن هم صم ، بكم ، عمي ، فهم لا يعقلون . وخوفي كان من ناحية بسيطة وتافهة . واعتقد ان اساريرك تنفرج حين تعلم النقطة التي جبنت عن اعلانها .

وانـت ؟

اما زال وعيك أرضا بكرا ، تمطرها سحب الوقائع الشائهة ، وتجتاحها رياح الدعاية المخادعة ، وتهوّم في اجوائها غيوم التضليل المتعمد ؟

وهـــم ؟

إلامَ يستعذبون الرقود في كهوف الجهـل ، ويستحسنون السير في دهاليز الغفلة والسذاجة ؟

ونحـــن ؟

لماذا فرض ، وكيف فرض ، ومن فرض علينا أن نعتقد كالعميان بما يسمى « بالكتاب المقدس » ؟

ــ هل تعلم ان مقارنة كتاب العهد القديم بالنصوص المكتشفة في بلاد ما بين النهرين ، ومصر ، وسوريا ، تؤدي الى نتائج مذهلة ؟

ــ وهل تعلم ان ما ورد في كتاب العهد القديم من شرائع ومزامير وأمثال واناشيد وقصص واساطير ، يرجع الى أصل قديم . وقد وجد الباحثون اصوله في مدونات بابل وأشور وسومر وكنعان ومصر وأوغاريت ؟

ــ هل ظننت يوما أن يكون المسيحيون ، في القرن العشرين بعد المسيح ، عصر الرقي والتمدن وغزو الفضاء ، لا يزالون يقدسون مجموعة اساطير ، مسختها القبيلة اليهودية من اساطير الأمم التي احتكوا بها أو عاشوا بينها ؟

ــ هل حاولت يوما القاء شعاع من الشك المنهجي على كتاب العهد القديم ، لتتبين ماهية الصلة التي تربط اليهود بأرض فلسطين ؟

ــ وهل تعلم ان **فلسطين ، هي ارض الفلسطينيين باعتراف كتاب العهد القديم** ذاته ، قبل مجيء ابراهيم اليها ، وان **هذا الكتاب يسميها « ارض غربة » بالنسبة لابراهيم** ، ولاحفاده من بعده ؟

ــ لماذا تريد اسرائيل العودة « وعادت بالقوة » الى فلسطين ، واعادة

بناء هيكل سليمان ، الذي لم تتجاوز فترة حكمه مع ابيه داود ثمانين سنة ، وفي اجزاء محدودة من فلسطين ؟ ولماذا لا يطلب العرب العودة الى اسبانيا التي حكموها ثمانية قرون .

ـــ وهل تعلم أن اليهود الغزاة لم يخلفوا في أرض فلسطين ، بعد قذفهم خارجها ، غير التدمير والتخريب والمذابح والتحريم ؟ وان العرب صنعوا في اسبانيا حضارة لا مثيل لها ؟

ـــ الا تعتقد أن الغرب الاوروبي والاميركي ، يعاني من تخلف انساني وانحطاط خلقي مريع ؟ وانه تنكر لجميع معطياتنا الحضارية . ولا تزال قواه الغاشمة ، المضللة ، المخدوعة ، تساعد اليهود اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، بفعل الاضاليل التي استحكمت في النفوس وتجذرت في الصدور ، على تجديد بربرية التوراة ، وخرافاتها ، في دولة عسكرية ، عرقية ؟

ـــ الا تظن ان الغرب الاعمى لم يفهم حتى اليوم حقيقة هذا اليهودي الزنيم الذي ما فتىء طيلة تسعة عشر قرنا ، يستغله اقتصاديا ، ويخربه اجتماعيا وفكريا ، ويقزمه معنويا وانسانيا وحضاريا ؟

ـــ هل تعلم ان هذه الموجة البربرية « الصهيونية » تختلف عن موجات السلاجقة والصليبيين والتتر والعثمانيين ، التي اجتاحت بلادنا ، في أنها استعبدت الغرب الاوروبي والاميركي اقتصاديا واعلاميا ، ودفقت في وجدانه وعقله خرافاتها واساطيرها ، فكانت اليهودية دينه ووحشية التوراة اخلاقه ؟

ـــ الا تعتقد ان حضارة الغرب القائمة على رابية من جماجم الاموات ، عادت الى حقدها الوثني واجتياحها البربري ، حين أرادت احياء بربرية اليهود وتجديد وحشيتهم ؟

ـــ هل تعلم ان حضارة سوريا ، ومصر ، وبلاد ما بين النهرين ، القديمة ، قد حررت الغرب من بربريته ، واعتقته الرسالة المسيحية ـــ الاسلامية من وثنيته . ولكنها فشلت في خلق انسانه الجديد . لان رسالة القيم والفضائل والمفاهيم الانسانية لم تستطع ان تفجر انسانية الغربي ، أو ترفعه الى سمو المبادىء والمفاهيم المسيحية ـــ الاسلامية ؟

ـــ الا تعتقد ان اميركا الصهيونية تريد عالم اتباع ، يسيرون في ركابها ، ويحققون مطامعها ، ويعيشون على فتائت موائدها . تريد العالم قطعانا من العبيد ، يخدم السادة الاشراف . تماما كما يريده اليهود ، وكما عبرت عنه توراتهم ؟

ـــ هل سالت نفسك يوما : **لماذا اراد اله التوراة « يهوه » تأسيس مملكته في أرض معينة « فلسطين » ؟ واراد ان يعمر بيته على جبل صهيون ؟** واراد للأمم ، كل الامم ، أن تأتي اليه ، تقدم الطاعة والخضوع ؟ وهل تعتقد ان مملكة الله تكون في الارض ؟

ـــ ولماذا اختار الله اليهود من بين سائر الامم ؟ وكان الها خاصا بهم ؟

ولماذا اصطفى فلسطين وطناً لهم ، وموطنا لبيته وسكناه ؟

— ولماذا لا تتم عبادة يهوه الا على جبل صهيون ؟ **ولماذا لا يجد اليهودي الهه الا في فلسطين ، وفي هيكل اورشليم ، وعلى جبل صهيون ؟**

— هل تعلم ان اله التوراة خطط حدود اسرائيل الحسية في ما بين الفرات والنيل ، في قوله (لنسلك اعطي هذا الارض . من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات . تكوين ١٨/١٥) . اما حدودها المعنوية فتشمل اربع ناحيات الارض ، كما وعدهم يهوه في قوله (وبنو الغريب يبنون اسوارك ،وملوكهم يخدمونك . ليؤتى اليك بغنى الامم ، وتقاد ملوكهم . لان الامة والمملكة التي لا تخدمك تبيد ، وخرابا تخرب الامم . اشعيا ١٠/٦٠) .

— متى ، واين ، وكيف يكون الاستيلاء على ارض الاخرين ، وابادة سكانها بحد السيف ، شريعة الهية ؟

— اكنت تعتقد أن إلهاً يخاطب شعبه بمثل ما خاطب يهوه شعبه الخاص « اسرائيل » في قوله : (وقالت صهيون : قد تركني الرب ، وسيدي نسيني . هل تنسى المرأة رضيعها ، فلا ترحم ابن بطنها ؟ حتى هؤلاء ينسين ، وانا لا انساك . هوذا على كفي نقشتك .. ارفعي عينيك حواليك وانظري . كلهم قد اجتمعوا ، اتوا اليك . اشعيا ١٤/٤٩) .

وقوله : (يجمع الرب منفيي اسرائيل ، ويضم مشتتي يهوذا من أربعة اطراف الارض .. وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غربا ، وينهبون بني المشرق معا .. اشعيا ١٢/١١) .

وقوله : (وبنو الغريب يبنون اسوارك ، وملوكهم يخدمونك .. تنفتح ابوابك دائما .. ليؤتى اليك بغنى الامم ، وتقاد ملوكهم . اشعيا ١٠/٦٠) .

وقوله : (ويقف الاجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم . اما أنتم فتدعون كهنة الرب . **تأكلون ثروة الامم ، وعلى مجدهم تتأمرون** . اشعيا ٥/٦١) .

— هل تعلم أن دعوات الصهيونية ، تسربت الى نفوس المسيحيين ، بفعل نصوص العهد القديم من كتابهم المقدس ؟

— وهل تدري ان **الجذور الدينية لفكرة تجميع اليهود، واقامة دولةاسرائيل في فلسطين ، راسخة في اغلب النفوس المسيحية** ، ان لم نقل جميعها .

— هل تعلم أن اهم ما قامت وتقوم به الحركة الصهيونية ، هو استغلال جهل الناس ، وسطحيتهم ، واخذهم بالامور التقريرية . فليس في نفوسهم باعث او دافع لمطالعة الدراسات التحليلية ، والعميقة ؟ فهل انت كذلك ؟

— وهل تعلم أن لا شيء يدمي قلوب الصهاينة ، ويفتت اكبادهم ، مثل الكتاب — المشعل ، الذي يمزق حجب التجهيل ، ويبدد ظلام التضليل عن عيون الامم والشعوب التي طبخوا افكارها في افرانهم ، وحولوا عقولها في مخابرهم ؟

تمهيد

كتب وايزمن (١) في مذكراته يقول : (لما بلغـــت الرابعة من عمري ذهبت الى مدرسة الدين اليهودي . وهذا ما لا غنى عنه لأي طفل يهودي . وخلال السنوات التي قضيتها في مدارس الدين تلك ، كان علي ان ادرس أشياء كثيرة من أصول اليهودية . والذي ملك علي لبي هو « سفر الانبياء » .. ولما بلغت الخامسة من عمري انتقلت من بيت ابي الى بيت جدي . وكان جدي رجلا متدينا ، يحافظ على الصلاة والفروض . وكان لا يفتأ يقص علي قصص رؤساء الدين ، ومبلغ اثرهم في اسرائيل) ..

هذا ما كتبه وايزمن اليهودي الصهيوني . ولو طلب الي ان اكتـــب مذكرات طفولتي لقلت في ما قلت : (لما بلغت الرابعة من عمري ذهبت الى مدرسة الدين المسيحي . وهذا ما لا غنى عنه لأي طفل مسيحي . وخلال السنوات التي قضيتها في مدارس الدين تلك ، كان علي ان ادرس اشياء كثيرة من اصول اليهودية . والذي ملك علي لبي هو « سفر الانبياء » .. ولما بلغت الخامسة من عمري انتقلت من بيت ابي الى بيت جدي . وكان جدي رجلا متدينا ، يحافظ على الصلاة والفروض ، وكان يقص علي قصص رؤساء الدين ، ومبلغ اثرهم في اسرائيل) ..

اسمح لي أن اقول بثقة وجراة وتاكيد ، انه لو طلب الى اي مسيحي ، في الشرق والغرب ، أن يكتب مذكرات طفولته ، لما خرج عن هذا القول .
صحيح أني ذهبت الى مدرسة الدين المسيحي كما ذهـــب وايزمن الى مدرسة الدين اليهودي .ولكن كان عليّ كما كان عليه، أن ادرس اشياء كثيرة من أصول اليهودية .وكما ملك عليه لبه « سفر الانبياء » كذلك عبدك الفقير أنا . وكما كان جده يحافظ على الصلاة ، كذلك كان جدي . واضيف بأن جدي كان يحفظ مزامير داود عن ظهر قلب . بينما لا يحفظ من انجيل المسيح غير القليل القليل . وكما كان جده يقص عليه قصص رؤساء الدين ، كذلك كان جدي ، وجد كل مسيحي ، وجد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيـــا ، راثم وعد بلفور ، الذي قال في احدى خطبه : (**لقد تربيت في مدرسة ، تعلمت فيها عن تاريخ اليهود أكثر بكثير مما تعلمته من تاريخ بلادي انا . وفي وسعي ان اخبركم بجميع ملوك اسرائيل ، ولكني اشك في مقدرتي على ان اسمي لكم ستة من ملوك انكلترا . لقد تشبعنا كل التشبع بتاريخ الجنس العبري**) .
مع فارق بسيط . هو أن وايزمن نشأ وتربى علـــى تـــراث يهودي

---

١ — حاييم وايزمن ١٨٧٤ — ١٩٥٢ هو اول رئيس لدولة اسرائيل .

خالص . بينما ينشأ المسيحي ويتربى على التراثين : اليهودي والمسيحي .
لماذا ؟

لأن تراث اليهود أو ما يسمى « التوراة » اخذه المسيحيون ، واطلقوا عليه اسم « العهد القديم » . كما اطلقوا على انجيلهم اسم « العهد الجديد » وجمعوا العهدين في ما يسمى « الكتاب المقدس » .

ولذلك ينشأ المسيحي ، كما نشأت ، وفي نفسه اعتقاد قوي جازم أن « العهد القديم » ، اي التوراة ، كتاب مقدس . وان المسيح يهودي ، جاء يكمل ما بداه انبياء التوراة . وان المسيحية شديدة الارتباط باليهودية . أو قل هي استمرار لها . وان اليهود شعب الله المختار . وان **عودتهم الى فلسطين ضرورية لتحقيق ارادة الله ، او وعده ، وان ..**

تعتبر الحركة الصهيونية من اهم الدعائم التي استند عليها قيام دولة اسرائيل . والصهيونية دعوة يهودية . واليهودية دين . فالاساس الذي ارتكزت عليه اسرائيل الفكرة واسرائيل الدولة ، هو أساس ديني . وما دمنا نجهل حقيقة الدعائم في هذا الاساس ، ومصدر القوة فيها ، فمن الصعب ، إن لم يكن من المحال ، القول باننا قادرون على هدم الكيان السياسي الذي قام فوق هذه الدعائم .

كأني بك تقول ، وقد ارتسمت على شفتيك ابتسامة العارف : ومن يجهل الدعامة التي قامت عليها دولة اسرائيل ؟ الم يكن وعد بلفور هو الاساس الذي ارتكزت عليه الحركة الصهيونية في العقد الثاني من القرن العشرين ؟

صحيح . ولكن لا تنس أن الاساس الذي بني عليه وعد بلفور ، هو وعد « الله » لابراهيم ، باعطائه ارض كنعان ميراثا ابديا . وبين الوعدين ما يقرب من اربعة الاف عام . كانت اليهودية ، او الصهيونية . لا فرق . فهما وجهان لعملة واحدة .. والاحسن ان اقول : كانت اليهودية — الصهيونية ، خلال هذه الاجيال ، تعمل على غرس التوراة ، كتاب اليهودية ، في وجدانات البشر ، على أساس انه كتاب مقدس ، وكل ما ورد فيه مقدس : فالوعد من الله ، وتحقيق الوعد تنفيذ لارادة الله. وكلمن يساعد الصهيونيةفي العودة الى « ارض الميعاد » وبناء الوطن القومي اليهودي ، فردا كان أم جماعة ام دولة ، انما هو يعمل بما هو مكتوب في الكتاب المقدس ، وقد اصطفاه الله ليكون تحقيق الوعد على يديه .

وبفعل **ربط التوراة بالانجيل** ، رسخ في الاذهان تقريبا في الشرق والغرب ، ان عودة **اليهود الى فلسطين ، واقامة دولة لهم ، واعادة بناء الهيكل . انما هو حق ديني وارادة الهية ..**

وقد نجحت اليهودية — الصهيونية في اقناع البشر بقداسة التوراة . ودخلت توراتها الى كل بيت مسيحي . مضحك أن اقول ذلك ، او مؤلم سيان . والاجدر أن اقول : تغلغلت مبادئها في كل عقل . وكل وجدان زاخر بشحنات من المعتقدات التوراتية . فاذا لنا هذا السيل الجارف من الكتب

التي تتناول ديانة اليهود ، وحياتهم في مراحل التاريخ المختلفة . وكلها تنبع من مصدر واحد وتصب في بركة واحدة : فهم من أنقى الشعوب عنصراً ، وأقوى صلة بالله من سائر الامم . فتاريخهم دين ، وارضهم منبع اشعاع غذى الحضارات ، وعقيدتهم اسمى العقائد و ..

لقد كتب الكثير في تاريخ اليهود، واختص العديد من المفكرين والمؤرخين في الابحاث الدائرة في فلك اليهود : دينهم وتاريخهم . حتى لتاخذك الدهشة من الآلاف المؤلفة من الكتب والابحاث والمعاجم التي تبحث في تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة . واعتبر بعض هذه الكتب في المناهج المقررة في المدارس والجامعات . فيتخرج المتعلم والباحث ، وقد انطبع في ذهنه بأن اليهــود هم دعاة عقيدة التوحيد في العالم ، وهم بناة الحضارة الانسانية وهم ..
اما مؤلفو هذه الكتب والمعاجم فهم من رجال الدين اليهود ، والغالبية من النصارى ، الذين يعتقدون بأن التوراة هي الأساس في دينهم ، وان الانجيل جاء مكملا للتوراة .

وهناك فريق آخر من العلماء والباحثين ، تشعر لاول وهلة انهم اخذوا على أنفسهم عهداً بتقصي الحقائق والنظر الى الدين والتاريخ نظرة علمية مجردة من العواطف والميول . ولكن اكثرهم انجرفوا في تيار رجال الدين ، واصبحوا ، ربما من حيــث لا يشعرون ، ينفخــون في أبواقهم ويرددون آياتهم . ولعل السبب الذي جعل الباحثين ورواد العلم يتعثرون في دروب البحث والتحقيق هو أن اكثر المراجع التي اعتمدوا عليها هي ابواق لليهــود واليهودية ..

وهناك فئة قليلة من الباحثين ، تسلحت بفكر حر وتزودت بعقــل باحث . بدأت تلقي الأضواء ، منذ اوائل القرن العشرين ، على اليهــود ديناً وتاريخاً . لكنهم لم يستطيعوا التحرر الكامل من قبضة الفكر الصهيوني . فالمؤرخون والباحثون الغربيون يذكرون في مؤلفاتهم اسم « بلاد اليهود » بدلاً من « أرض فلسطين » عن قصد ، أو بفعل اللاشعور الذي خلفته في نفوسهم المؤثرات اليهودية من كتب دين أو أبحاث أو محاضرات وندوات ، كونت قاعدة فكرية عندهم . منها يستمدون مفاهيمهم ، وعليها يرتكزون في أبحاثهــم ..

خذ مثلا الباحث والمؤرخ الشهير الذي يسمي أرض فلسطين « بلاد اليهودية » مع أنه يرى في كتابه الواسع الانتشار « معالم تاريــخ الانسانية » ، بعد بحث وتدقيق ، أن ارض فلسطين هي بلاد الكنعانيين والفلسطينيين .

كأني بك تقــول بحدة وانفعال : لا .

مؤلم أن ننكر الحقيقة يا أخي . فالتوراة في كل بيت مسيحي ، وفي كل كنيسة ، وكل مجمع ، وكل مدرسة ، وكل ناد .. والفكر الديني متأصل في ذواتنا . ينعكس فعله في الكثير من تصرفاتنا ، ويظهر تأثيره في طبيعــة

تفكيرنا . ولا يزال يلعب في حياتنا الدور الذي كان له منذ أربعة آلاف عام. فكثير من تصرفاتنا وافكارنا ، انما يعود اليه ويرتبط به . وهذه الافكار الدينية لا يزال لها التاثير الكبير في حياة الانسان المعاصر ، توجه سلوكنا في الحياة ، وتقود خطوات الكثيرين منا . ولبعضها من القوة والتاثير والفعل في النفوس ما يجعل الانسان يعيش في قلب الماضي ويعاصر احداثه .

فالعالم الذي شكلته التوراة ، والانسان الذي كونته ، والاحداث التي رافقت مرحلة التكوين . هي التي تؤلف القاعدة الفكرية في ذهن كل منا ، وتحدد الكثير من معالم شخصيتنا ، وتفعل فعلها في نفوسنا وفي سلوكنا خاصة البسطاء والسذج ، وهم الغالبية العظمى في مجتمعنا ، يغرقون في احداث الماضي الاسطورية .ويضفون هالة من التقديس على ما حدث في أزمنة البدء . فهم يعيشون بمفهوم اسفار البدء بما تتضمنه من احداث خارقة وآيات معجزة . يفسرون الحياة بهذا المفهوم . ولشدة ارتباطهم بأحداث الازمنة الاولى ، كانت عقليتهم امتدادا للعقلية اليهودية القديمة . وهذه المفاهيم والافكار تلقن للاجيال الطالعة في الجامعات الاوروبية والاميركية عن طريق كتب التاريخ القديم التي يضعها اليهود أو المسيحيون المتهودون الذين يتعصبون للتوراة أكثر من اليهود انفسهم . وقد كان العرب ، وما زالوا ، يقبلون هذه الاقوال الشائهة . يرددون ما تلقنه اساتذتهم ، ويعلكون ما اخرجته مطابعهم من دون تمحيص او امعان أو تأمل .

ومن المؤسف القول : انه من الصعوبة بمكان تغيير المفاهيم التاريخية ، والدينية التي ترسخت في اذهان الناس ، بفعل التوراة ، منذ اكثر من الفين من الاعوام .

أما الطوائف المسيحية ، خاصة البروتستانتية وما تفرع عنها من طوائف ، كالانجيليين ، والمتجددين ، وشهود يهوه ، والسبتيين ، والى آخر ما هنالك من جماعات ودعوات ، التوراتيون اكثر من أصحاب التوراة انفسهم ، فلنا معهم جولة مناقشات في كتاب آخر .

فكيان اسرائيل الديني كان ، ولا يزال ، متجذرا في صدور المسيحيين الغربيين ، للعلاقة القائمة بين التوراة وبين الانجيل . وأخذ هذا الكيان ينمو ويكبر مع نشوء القوميات في القرن التاسع عشر ، حتى صار كيانا سياسيا . عملت انكلترا على زرعه في فلسطين ، وجاءت اميركا تسقيه وترويه من عيون أبنائها ومن دمائهم .

وفي حرب السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ اظهرت اميركا ، بوجه وقح ، مدى ارتباطها بدولة اسرائيل ، والتزامها الشديد بالمحافظة على الكيان المسخ الذي وضعته وحضنته بريطانيا ، وقدمته للمربية اميركا ترعاه وتحميه .

رب سائل : ما السر الذي جعل السياسة البريطانية العاهر ، تضع نتيجة ليلة سفاح مع الصهيونية ، هذا المسخ الاشوه « اسرائيل » .

ومن ثم تسلمه الى اميركا ترامه وتعطف عليه ، لدرجة تمنع الطعام عن افواه بنيها لكي تشبعه حتى التخمة ؟

يجيبك وايزمن ، رئيس دولة اسرائيل ، بقوله (من حقك ان تسال : ما هي اسباب حماسة الانكليز لمساعدة اليهود ، وشدة عطفهم على اماني اليهود في فلسطين ؟ والجواب ان الانكليز ، لا سيما اصحاب المدرسة القديمة ، هم اشد الناس تأثرا بالتوراة . وتدين الانكليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا ، لان **الانكليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة ، من وجوب عودة اليهود الى فلسطين . وقد قدمت الكنيسة الانكليزية من هذه الناحية اكبر المساعدات**) (٢) .

وازالة الكيان السياسي لا تتم قبل ازالة الكيان الديني من عقول الغربيين ومن عواطفهم . لان الدول الكبرى ، وعلى رأسها اميركا وانكلترا ، مؤمنة بهذا الكيان ، مقتنعة بشروطه ومبادئه وتوسعاته . ويصعب على العرب مقارعة هذه الدول العين بالعين والسن بالسن . فلا يبقى غير عملية غسل الدماغ الغربي من الاباطيل التي حشتها فيه اليهودية المتصهينة ، وتنقية عواطف الغربيين التي افسدها عهر اليهود ودعارتهم ، وشوهها الدجل والدهاء والخلابة والفجور والعقوق . اصابع الصهيونية الخمس تقبض بها على عنق اميركا . واميركا تستقطب كره العالم لها ، وتضرب بمصالحها الاقتصادية عرض الحائط ، في سبيل المحافظة على الكيان المسخ ، طفلها المدلل اسرائيل .

وقضية تنقية العواطف من فساد التوراة ، وتنوير العقول المظلمة ، بالوعي والحق والمعرفة ، وتفتيح العيون الكليلة على حقيقة التوراة ، ليست بالأمر السهل . لان هذه التوراة متجذرة في نفوس ٩٩ في المائة من العالم المسيحي ، واقول بتحفظ ، في نفوس العالم الاسلامي . وقليلون من عرفوا حقيقة التوراة ووقفوا على قصصها الخرافية وحكاياتها الاسطورية . وقليلون من ردوها الى اصولها في بلاد كنعان ، وما بين النهرين ، ومصر . وبينوا كيف مسخ اليهود هذه القصص التي سرقوها عن الامم ، وشوهوها بأنفاس الحقد والكراهية ، ووضعوها على لسان الههم « يهوه » فجاءت آيات في الحقد والرعب والدم والجنس والخيانة والغدر والخلابة والفجور .. الى آخر ما هنالك من الموبقات والمنكرات التي يخجل من ذكرها الانسان . واذا كان لنا من عزاء في ان الذين عرفوا التوراة وردوها الى اصولها وكشفوا عما فيها من سم زعاف ، هم كتاب ، وان كتبهم تملأ المكتبات ، ففي نفوسنا يعربد أسف صارم وحزن شديد ، لان ٩٩ في المائة من العالم لم يسمعوا بهذه الكتب ، ولم يروها . لا لان الصهاينة اخفوا بعضها من المكتبات فور صدوره ، ولا لان الدعاية الصهيونية اقوى منها . بل لان اكثر الناس لا يعطون للقراءة اي وقت ، او اي ثمن . وقسم آخر لا يأبه لمثل هذه الدراسات

---

٢ — مذكرات وايزمن ص ١٨

لانها تتناول كتابا « مقدسا » لا ينتابه الشك من خلفه أو من بين يديه . فكيف بالكلمة المكتوبة ، المؤيدة بالحجج والبراهين والادلة والمنطق العقلي الصارم . هي مرفوضة سلفا قبل أن تمر عليها العين او تطرق أبواب السمع .

اما التوراة الجزء الاول من كتاب المسيحيين المقدس ، الذي يطلقون عليه اسم « العهد القديم » ، فهي في كل كنيسة ، وفي أكثر البيوت ، وفي اغلب المدارس . واخص بالذكر مدارس الطوائف المنشقة عن البروتستانتية ، كالانجيليين ، والمتجددين ، والطوائف التي انشاها اليهود ، وطفروا في العالم ينشرون مبادئها بين الناس ، كالسبتيين ، وشهود يهوه . اقول ان هذه الطوائف تحفظ وتقرأ وتبشر من التوراة أكثر مما تفعل من الانجيل . وتحاول ، بأساليب ملتوية والسنة كما للأفاعي ، ان تقنعك بأن التوراة كتاب مقدس ، وانها في أصل الانجيل ، وأن المسيح يهودي ، وان الانجيل مكمل للتوراة ، و ...

وتخرج انت من الكنيسة ، أو تتخرج من المدرسة ، وفي صدرك يقين بقدسية التوراة ، والايمان بكل ما جاء فيها ..

مؤلم أن تكون الغالبية العظمى من امتنا ، ان لم نقل جميعها ، تعتقد أن عدونا ينحصر في الافراد الصهاينة الذين يشكلون دولة اسرائيل . ومما يؤسف له ان كثرة من مفكرينا تأخذ بالاعتقاد هذا . واذا كان هناك قلة من المفكرين تربط بين صهاينة اسرائيل وبين الصهيونية العالمية ، فهم يرون في الصهيونية العالمية حركة سياسية ولدت في أواخر القرن التاسع عشر ، وتجسدت ، بعد وعد بلفور ، في كيان سياسي ، هو ما يسمى دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ .

أما المفكرون الذين يعرفون ويبحثون ، أولا يبحثون ، في الصهيونية كحركة دينية ولدت مع موسى ، واتخذت العقيدة الدينية لباساً لها . وحملها اليهود في ذواتهم ، وأغلب افراد الطوائف المسيحية ، خاصة المتهودة منها ، فهم قلة نادرة . واصواتهم تضيع في هذا الصخب العاتي ، فلا يسمعهم احد . واذا صدف مرة وسمعهم واحد من الناس ، كما حدث لي ، ادرك أن بصيرته كانت عمياء ، وتفتحت للنور .

ان عدونا الحقيقي لا ينحصر في صهاينة اسرائيل ، ولا في الصهيونية العالمية ، التي توجه دفة الحكم ، وتسيّر مركبة الاقتصاد والاعلام في أكبر دولة في العالم.ولها تأثير كبير في اغلب الامم ، خاصة الدول الغربية . ان عدونا يكمن في الباعث الذي دفع الصهيونية الى الظهور على مسرح الاحداث في أواخر القرن التاسع عشر ، في المحرك المخبوء وراء هذه الظواهر السياسية . وهو بمثابة الدم الذي يبث فيها الروح ويحفظ لها الحياة . وهذا المحرك هو ..

هل عرفته ؟

لقد زحف علينا الصهاينة بفكرة عقائدية عمرها ثلاثة الاف عام . وما فتئوا يزرعونها في أفكار الشعوب طوال هذه الاجيال . وهنا تكمن قوتهم رغم قلة عددهم . فالصهيونية دعوة سياسة من اشد العقائد السياسية ضراوة وفتكا ، في اطار من عقيدة دينية ، تعتبر من ابشع العقائد التي عرفها تاريخ الانسانية ، من حيث تعصبها الذميم ، وعزمها على الفتك بجميع الامم .

وقد استطاعت الصهيونية أن تخدع سائر الامم التي تمت بصلة الى احد الكتب الدينية الثلاثة : التوراة ، والانجيل ، والقرآن أو الى جميعها ، خاصة شعوب العالم الغربي . واستطاعت أن تلجم الفكر ، وتقوده بالتالي الى النهيق من على منابرها .

خطأنا الاكبر كان يوم فسرنا تحركات الصهيونية من خلال ما نعتقده نحن . وعمينا . اعمانا الجهل والتخلف وضحالة الوعي . اعمانا التسامح والمحبة التي هي روح المسيحية والمحمدية . اعمانا تقديسنا لتوراتهم ، وجهلنا لماضينا ، اعمانا ..

اني أرثي وأرثي بمحبة فائقة ، لحال الذين يقبلون اليهودية كدين ، ويرفضون الصهيونية كقومية . ويحاربون الكيان السياسي الذي تجسدت فيه دولة اسرائيل . **لان بذور الصهيونية مطمورة في كتاب العهد القديم .** وما شق أرض التاريخ عن هذه البذور غير العهد القديم . وما جمّع الصهاينة واعادهم الى فلسطين **الا كتاب العهد القديم ، وما القلب الذي يدفق دم الحياة في جسد الصهيونية المحلية في فلسطين ، والعالمية ، غير كتاب العهد القديم .**

ماذا يترتب علينا بعد هذا النوم الطويل في احضان الجهل والتخلف وضحالة الوعي و..؟ ان نبحث في الباعث المخبوء ، الذي جعل من الصهيونية خلية دم تتسرب الى أفكارنا ووجداناتنا من حيث لا نشعر ومن حيث لا ندري . ان نحفز القدرة الواعية فينا ، لنكون قادرين على تفسير تحركات الصهيونية ، من خلال معتقداتهم ونواياهم . والاهداف التي يرمون اليها . عندها ترى العجب العجاب .

وكاني بك تصرخ بألم وتحسر مرير : يا الله . كم كنت اعمى البصيرة ؟ ويومها ما أمر المك ، وما اضرى حسرتك ، حين ترى الناس كل الناس في مجتمعك العربي « ما لنا وللغرب » ، لا يبذلون ادنى نصيب من الجهد لمعرفة حقيقة هذا الاخطبوط الذي رجع الى ديارنا رجوعا دينيا قاهراً . تسنده في استيلائه على أرضنا وابادة شعبنا ، قوة غاشمة باطشة ، تفتك بايعاز من اوامر « يهوه » العنيفة المسطرة في كتاب العهد القديم .

وترفع اصبعك بوجهي احتجاجا : أنّى لنا ان نعرف وأين حقيقة هذا الاخطبوط الذي استولى على عقولنا قبل أن يستولي على أرضنا . وقد خرج منا ، منا نحن ، من يحارب فينا الفكر الحر ، أو يشلح غطاء الغفلة والنسيان وعدم الاهتمام على ثمار الفكر الحر . او يرفض تقبل الكتب — المشاعل . اعني بها الكتب التي تحلل الذات اليهودية ، او التي تنقض

اسس العلاقة القائمة بين التوراة وبين الانجيل . او التي تبحث في جذور المعتقدات اليهودية واصولها . اقول : يرفض تقبل الكتب ــ المشاعل ، لانها تنقض الاساس في وجدانه ، وتخلخل القاعدة في فكره .

وقد هدفت من هذه الدراسة المتواضعة الى تسليط ضوء العقل الكاشف على مضامين العهد القديم في الكتاب المقدس آملا ، بتواضع جم ، ان يكون لي شرف المساهمة مع بعض مفكري العالم ، في تقشع الغشاء الكثيف الذي يحجب نور الحق عن البصائر العمياء . عل العالم الغربي المشرع الوية الوثنية اللاانسانية،يعصي حاديه « يهوه » اله الصهيونية الحقود . ويشرع وجهه للالهة المحبة ، المضحية . التي عرفت بشارتها في ارضنا المعطاء ، وانارت شعوب العالم . وحاولت جاهدا التحرر من تأثير الميول والعواطف . وركنت ، قدر المستطاع ، الى المنطق والعقل ، آخذاً بالطريقة العلمية المبنية على الحجة والبرهان ، للوصول الى الحقيقة التي ننشدها جميعــا .

ورحت اتساءل بمرارة قاتمة : ترى استطيع تعرية افكار الشعوب عــن اعظم فضيحـــة في التاريــخ ، بقيـــت تسكــر وتعربــد وتتماجن في عقول الناس وعواطفها مدى نيف وثلاثة الاف عام ، وبالتحديد منذ صعد موسى الى طور سيناء ليستلم الواح العهد التي خطها « يهوه » بيده" الكريمة ، الفاضلة ، المحبة ، المتسامحة .."

فاذا استطعت ان امسح الغشاوة عن بعض العيون ، فنعم وتمت . واذا مرت على كلماتي عيون رمداء وعقول جامدة ، فالمحاولة نصف الطريق . ولا بد ان تنجب البشرية اطباء كثرا يمسحون العيون الرمداء بنفس القوة التي زرع فيها اليهود هذا المرض في عيون الناس .

لقد حسب العرب ، كل العرب ، انهم امام دولة سياسية . فراحوا يسلطون الاضواء الكاشفة على هذا الجسم الغريب الذي زرعه الاستعمار في ارضنا . وما زال يكلاه بالعناية والرعاية . يحللون ويدرسون ابعــاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحزبية ، وفي القليل الدينية . معتقدين انهم قادرون على تنظير هذا المرض السرطاني الذي راح يمتد في ارضنا ، محاولا ان يستنزف جهودنا وينهك قوانا . او على اكتشاف نقطة الضعف في هذا الكيان . عندئذ تسهل مهاجمته والقضاء عليه .

وغاب عن ظنهم ، وهذا خطأ فاحش ، ان هذه الدويلة صنعتهــا الصهيونية بمساعدة الغرب المسيحي المتهود . **وفي اعتقاد القوتين الصانعتين ان مساعدة اليهود في العودة ، واقامة الدولة اليهودية ، وبناء هيكل سليمان و.. انما هو تحقيق لنبوءات التوراة ، وتنفيذ لرؤيا الخلاص و..**

وخفي عن بالهم ان القضاء على هذا المرض السرطاني ، لا يكــون في تنظير المرض ، ومعالجته بالادوية التي هي اقرب ما تكون الى المسكنات . بل يكون في بحث اسباب المرض ، والقوى المختلفة التي تساعده علــى الامتداد والانتشار والسيطرة على اجزاء اخرى من الجسم العربي . وفي

البواعث التي تدفعه لينشط ويتحفز ويثب في الوقت المناسب والظرف الملائـــم .

اعني العودة الـــى الجذور ، الى العوامـــل المكونـــة والاسباب الدائمة . وهذا ما سأحاوله في هذه الدراسة الموجزة ، وفي الدراسات اللاحقة . فان قصرت ، وما أكثر الاسباب المثبطة والعوامل العائقة ، فعذري ان في المحاولة نصف الطريق .

هناك مئات الكتب ، ان لم نقل الالاف ، عالجت الصهيونية كظاهرة سياسية ، برزت الى الوجود في اواخر القرن التاسع عشر . وراح الدارسون يتتبعون اطوارها ، ويقف الباحثون عند أسباب حياتها ووسائل نموها ، من مؤتمرات ومؤامرات وجاسوسية وخيانة وغدر وخداع ... وما رافق ذلك من تغاضي الدول الكبرى كانكلترا واميركا ، عن هذه الاسباب وتعامي الاخرين . حتى استطاعت الصهيونية ان تقف على قدميها بمساعدة انكلترا أولا واميركا ثانيا ، وتأخذ شكل كيان سياسي . هو ما يدعوه العالـــم « دولة اسرائيل » . اما صهيونيـــة التوراة المتجذرة في يقـــين المسيحيين وايمانهم ، بفعل لا وعي ، سببته العلاقة القائمة بين التوراة وبين الانجيل ، في كتاب مقدس واحد . **وتبني الغرب المسيحي لمشكلة تجسيد الكيان الديني في كيان سياسي ، هو دولة اسرائيل . بتأثير التوراة التي تجري** ، مـــن خلال تقديسهما ، في اعراق المسيحيين . فمسألة لم يلتفت اليها من الدارسين الا نفـــر قليـــل .

المسيحي الغربي يؤمن بأن عودة اليهود الى فلسطين ، وبناء هيكل سليمان ، واقتلاع أصحاب الارض من مساكنهم ، ليحل محلهم « شعب الله المختار » ، هو أمر حتمي . طالما وعدهم « الله » به . وكرر وعده فـــي التوراة « المقدسة » التي تشربت بها نفس الغربي مع نموه في أحضان اليهودية ، في البيت ، والمدرسة،والكنيسة ، والنادي والمجتمع ، عبـــر الكتاب المقدس ، بجزئيه : التوراة والانجيل . ويؤمن بأن المساعـــدة في تحقيق نبوءات التوراة واجب ديني وفرض مقدس . تحتمه نفسه التي شبت على مبادىء التوراة ، وتشربتها ، حتى لا تستطيع منها تحررا أو فكاكا .

ومن هنا غزا **المبشرون العالم ، وطوف الرسل في ارجاء المعمورة** ، وترددت في قباب الكنائس أصداء المواعظ ، وعلت في النـــوادي والمحافـــل أصوات المحاضرين . وجميعهم يدعون الى الايمان العميق بنبوءات التوراة ، والمساعدة في تحقيقها . لان فيها خدمة للكنيسة وللرب .. **فتشرب الجميـــع مبادىء الصهيونية المضمنة في التوراة بلا شعور** . وآمنوا بها من حيث لا يعون . حتى صارت جزءا من ذواتهم . وكان البعض يعملون عن وعي ، ويخططون

بصمت وتآمر ، لتحقيق هذه الاهداف ، لانهم يهود اعتنقوا المسيحية بغرض التخريب والتشويه والتزييف ، او لان الدم اليهودي يجري في اعراقهم ، والتراث الصهيوني يكوّن جبلة افكارهم . او لان الصهيونية استطاعـــت شراءهم بالمال ، وسخرتهم لخدمة هذه الغايات ونشرها بين الناس .

ومن المؤسف ان تبقى التوراة . رغم النصوص المكتشفة في بلاد الشرق القديم ، هي المرجع الوحيد للباحثين في تاريخ فلسطين والشرق العربي . باعتبارها من الكتابات القديمة جدا . وزاد من اهميتها كونها كتابا مقدسا تتناقله الايدي وتحفظه الصدور في البيت والمدرسة والمعبد والمنتدى . وجميع ما تضمنته اسفارها من شرائع واحداث وقصص واشعار وتنبوءات ، يتقبله الناس ، ويتقبله الدارسون دون بحث او تحقيق ، لان هالة القدسية تظلله ، ولان المصادر الاساسية التي استقيت منها التوراة كانت لا تزال طي القبور . وعلى جدران الهياكل والقصور ، لم تمتد اليها يد ولم يسلط عليها نـور .

وعندما تمت الاكتشافات في بلاد ما بين النهرين ، وسوريا ، ومصر ، تبين للباحثين والدارسين ان اسفار التوراة « المقدسة » منقولة برمتها نسخا أو مسخا عن الاداب والشرائع المصرية . والكنعانية ، والبابلية . فظهرت الابحاث المتعددة ، تلقي الاضواء على التوراة ، وتكشف صلتها بالاداب والشرائع المتقدمة عليها .

ورغم ان عشرات المجلدات تناولت مصادر التوراة واصولها ، فقد بقيت كتابا مقدسا ، وبقي العهد القديم « التوراة » يطبع مع العهد الجديد « انجيل المسيح » في كتاب واحد بعنوان « الكتاب المقدس » ، بجميع اللغات ، وعند مختلف الطوائف ، وفي جميع انحاء العالم .

والاعجب من ذلك انه في عصر الاكتشافات وعصر دراسة التوراة ، واعادتها الى المصادر التي مسخت عنها ، عظم انتشار التوراة في محاولة لترسيخ الايمان بها في كل صدر في الشرق والغرب ، عن طريق البعثات والرسل والجمعيات والكتب التي تصدرها اوروبا واميركا الى العالم . وما تحمل هذه البعثات والكتب من روح صهيونية . هي قائمة في قلوب الغربيين ، توجهها كيف تشاء وتنطقها بما تريد .

وابشع الاوهام التي انطلت على المسيحية ، ان اليهود شعب مختار من الله ، وان توراتهم كتاب علوي مقدس ، وأن ...

وسرت هذه الاضاليل في نفوس المسيحيين ، فاذا هم يعتبرون مسيحهم يهوديا ، وان المسيحية هي استمرار لليهودية ، او اكمال لها . وكانت الآية الواردة في انجيل متى (٣) حجة لهم وبرهانا على أن المسيح جاء يكمل شريعة موسى وسواه من انبياء اليهود . وبسبب هذه الاضاليل التي ضمنوها في التوراة ، وأوهموا الناس بقدسيتها وجلالها ، راح العالم يمد يد المساعدة والعون لهذا الشعب المشتت ، المضطهد ، المشرد عن « أرضه » ، في العودة الى « أرض الميعاد » . الارض التي يعتقدون أن ربهم « يهوه » اقتلع منها

---

٣ — في انجيل متى ١٧/٥ يقول المسيح (لا تظنوا اني جئت لا نقض الناموس والانبياء ما جئت لانقض ، بل لاكمل) .

شعبها ، ووهبها لليهود ، شعبه الخاص . حتى لنرى بن غوريون رئيس حكومة اسرائيل يقف بتبجح وغرور ، في الولايات المتحدة ، الدولة العمياء ، او التي تتعامى عن الحقيقة ، ليقول أمام ممثلي جميع وسائل الاعلام : **(ان اليهود لا يحتلون شبرا واحدا من ارض العرب . ولا يزال العرب يحتلون مساحات واسعة جدا من الارض اليهودية . الارض التي وعدهم بها الله) .**

« الارض التي وعدهم بها الله » ؟ كذا .. وعدهم بها الله . فهم كما يقول كتاب العهد القديم ، شعبه المختار ، وهو الهمم الخاص . يبيد الشعوب أو يطردها من أمامهم ، ويملكهم أراضيهم . وقد وعدهم بأرض كنعان ميراثا ابديا .

ولكن . هل يسمح لي بن غوريون ، وأي بن غوريون اخر ، بسؤال بسيط : متى كانت الارض التي وعدهم بها الله « ارضا يهودية » كما يقول ؟ **أليست هي ارض الكنعانيين والفلسطينيين** واليبوسيين والحوريين و.. **كما يقول العهد القديم ، كتابهم وكتاب الشعوب الاميركية ، المقدس .**

ثم ، متى يعلن ذلك بن غوريون ؟ وأين ؟ في منتصف القرن العشرين ، وفي أكبر دولة تدعي الحضارة والرقي ، وأمام وسائل الاعلام ، وجه الدولة .

فهل ان اضاليل اليهود لا تزال تتجذر في عقول اهل القرن العشرين ؟ أم ..

هنا قد ينبري احدهم قائلا : ان اليهود يسيطرون في اميركا على قوة اعلامية هائلة . تحتضن كل ما يصدر عن زعماء اسرائيل من بيانات وتصريحات ، وتنشرها على الملأ في العالم . ولو ملكنا مثل هذه القوة لنقضنا هذا الادعاء ، واستهجنا هذه التصريحات .

لا يا اخي . لا تستطيع نقض هذا التصريح ، أو كشف دعواه الباطلة . لانك لا تستطيع نقض القاعدة الفكرية والخلفية الدينية ، التي هي بمثابة تربة ينمو فيها عقل المسيحي الغربي ، ويتغذى منها .

ولا تزال هذه الخدع تأخذ من النفوس مكانها ومن القلوب أوطانها . ذلك ان الدعوات التبشيرية المتعددة التي تفرعت عن البروتستانتية ، كالانجيلية ، وشهود يهوه ، والسبتية ، وسواها ، تغرس هذه الخدعة في نفوس الصغار والسذج و..

فالصهيونية المتجسدة في دولة اسرائيل ليست بنت وعد بلفور ، كما يدعي ، للأسف الشديد ، معظم الدارسين . **وانما هي بنت الوعد الاول ، وعد « الله » لابراهيم ،** في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وليست صنيعة هرتزل ، نبي الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر . بل هي صنيعة موسى ، نبي الصهيونية الأول .

الصهيونية حركة دينية ودعوة قومية . قطعت على نفسها عهدا بتحقيق العهد الاول الذي قطعه « الله » لبني اسرائيل ، وتحقيق الرؤى الدينية والآمال اليهودية .

وعندما ولدت الصهيونية كفكرة دينية ، اراد المفكرون العقائديـــون الاوائل من مثل ليو بنسكر وتيودور هرتزل واحد هاعام وناحوم سوكولوف وحاييم وايزمن ، أن يجسدوها في كيان سياسي ، فكان لهـــم ما ارادوا .

المهم انها ولدت فكرة دينية ، وأربابها الاوائل هم مفكرون عقائديون . وعندما شبت الصهيونية السياسية ، بقيت مرتبطة أوثق ارتباط بالديـــن اليهودي . ومن الواضح أنه كلما كانت الحاسة الدينية قوية في اليهود ، كلما كانت الصهيونية السياسية اكثر استفحالا واشد ضراوة . والعكس بالعكس .

فالصهيونية حركة عدوانية توسعية ، حركة دينية سياسية . تستند في دعواها الدينية الى وعد ((يهوه)) لآباء اليهود بتمليكهم ارض كنعان .

ومن هنا ، **فالقضية الفلسطينية قضية عقائدية** قبل أن تكون قضيـــة سياسية . والصراع الدائر بين الفلسطينيين ، أصحاب الارض ، وبين الدخلاء الصهاينة ، لهو اخطر صراع عرفته البشرية . واظن انها لن تعرف اخطر منه . ذلك انه ، وان اتخذ شكلا سياسيا طارئا ، عميق الجذور بعيد الافاق ، يعود الى اكثر من الفي سنة ، ويمتد بقوة اكبر من القوة التي حفظته حتى اليوم .

فقد التقى جماعة لصوص من ديـــار مختلفة ، وسحـــن متباينة ، وجنسيات شتى ، ولغات تربو على الثمانين ، واجتمعوا في أوكار العهر والحقد ، وأسسوا عصبة لاحتكار الله ، وابتزاز الاموال ، وسرقة الارض ، متسترين بالدين ، متسلحين بوعد الههم ((يهوه)) اله العهد القديم ، الجزء الاول من الكتاب المقدس لدى جميع الطوائف المسيحية .

ومن هنا فان **الجذور الدينية لفكرة تجميع اليهود ، واقامة دولـــة اسرائيل ، راسخة في اغلب النفوس المسيحية** ، ان لم نقل جميعها . لان مفاهيم العهد القديم تكوّن القاعدة الفكرية عند بعض الفئات ، وتشكل جوانب فكرية وروحية هامة عند الفئات الاخرى .

وكتاب العهد القديم هو في الاصل كتاب اليهود الديني يربط اليهود ، بعقيدة معينة ، من خلال ما يرويه من أحداث تاريخهم .

واذا أردت الوقوف على حقيقة هذا الكتاب ، ومعرفة خلاصة هذه العقيدة ، لوقعت على وثيقة سياسية ، تلبست ثوب الدين ، واستخدمت الله والانبياء لتنفيذ مخططها المرسوم ومنهجها الموضوع . **انه الوثيقـــة التي تستند اليها الصهيونية في ما تدعيه من حق في هذا الجزء من الوطن العربـــي .**

وفي هذه الدراسة الموجزة سأحاول القاء بقعة من الضوء على كتاب العهد القديم ، لأتبين الصلة التي تربط اليهود بأرض فلسطين ، وأتعرف على القرابة التي تشدهم اليها .

ان نقطة الانطلاق في صورة العدو ، والارض ـ ربه الجديد ، استمرها من رواية صهيونية ، ومن روائية ، من زعماء ذلك القبيل .. موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي الذي تعرفون ، له ابنة : يعيل دايان . ادركتها حرفة الادب ، ولها الان اكثر من رواية . وفي روايتها الثانية « طوبى للخائنين » تروي « يعيل » من خلال عائلة عفري ، المهاجر الصهيوني ، في احدى المستعمرات ، الصورة الخلفية للتكوين الصهيوني القائم في الارض المحتلة اليوم . وفي الرواية بعض ما يروى . اذ يتصدى الأب عفري ، الذي يمثل الصهيوني الحديث ، مستعمر الارض ، لابنه الفتى نمرود ، وقد عرف انه يتردد على الكنيس للصلاة بتأثير يهودي عتيق . فيقول عفري لابنه في حدة : في القديم ، حين كنا في روسيا كان لا بد من اطاعة التلمود ، والمحافظة على الدين . اما الان فقد اصبح لدينا شيء اهم : **الارض** . لقد تركت في روسيا كل ما يتعلق بي من متاع واقارب ، ووجدت هنا **ربا جديدا** ، **هذا الرب الجديد هو خصب الارض** ، هو زهر البرتقال ، الست تشعر بهذا ؟ ويتناول عفري حفنة من تراب الارض يسكبها في كف الصبي ، ويقول : امسك هذا التراب ، اقبض عليه ، تحسسه ، تذوقه . **هذا هو ربك الوحيد** .

هذه الفقرة الكافرة تفتح نافذة على الجذر الاعمق والاخفى في الفكر الصهيوني . تفضح في نسيجه المكون نقطة الغور التي شغلت خط الصهاينة منذ هرتزل الاول حتى دايان الاخير . بن غوريون يعترف بهذا ، يعترف بأن (ما يربط اليهود ليس الدين اليهودي ، فاليهود الملحدون يهود ايضا . وليس العرق ، فهم ليسوا من عرق واحد . وليس اللغة ، فهم يجهلونها وتكاد تكون لغة متحجرة . **ولكن رؤيا العودة** ، العودة الى ارض الميعاد) .

ويضيف العجوز الذي تعطيه شيبته في عيون اليهود ، ملامح قضاة اليهود الاولين (كل الشعوب نشأت وتكونت ملتصقة بارض معينة ، الا اليهود . بينما الدين اليهودي هو دين ذو ارض . هو اول دين ذو ارض معينة) .

ويقول ايغال الون نائب رئيسة الوزراء في دولة اسرائيل (جاء اليهود الى البلاد ، لكي يستردوا الارض التي يعتقدون انها كانت ارض ابائهم . **الارض التي وعدها الله لهم ولذراريهم في العهد القديم** المبرم قبل الاف السنين بين الله وبين ابراهيم (٤)) . ما فعلت الصهيونية كي تصل الى هذه الارض ، قصة تمتد على أعناق ثمانين عاما . هجرة تزحف ومال يجمع ، ووعود تعطى ، وكلب استعماري ، وضياع عربي جهول ، وضجيج بكل افق .. تعرفون ، بلى تعرفون المأساة . بعضكم عاشها بأعصابه ودم اهله . الصرخة التي

---

4) Allon Yigal — 'Shield of David' 'The Story of Israel's Armed Forces. Weidenfield And Nicolson. 1970. P. 15.

جمدتها الفاس على فم الطفل فما تنطلق. والامعاء التي رشقتها القنبلة على شجرة تهتز ، والرعب الذي تحجر عينا مستديرة بوجه العجوز الى الابد .

ان الحركة الصهيونية التي بدات بهرتزل ونورداو ، ثم ركبها وايزمن وبن غوريون ، وانتهت اخيرا بجيل دايان ورابين ، قد انتصرت . « **نريد ارضا** » كانت هي الصيحة . ثم تحولت الى « **نريد هذه الارض** » . ثم صارت « **نريد المزيد من الارض** » . ثم اضحت اخيرا « نريد الحدود الطبيعية لأرضنا » .. وان صيحة اخرى لتتهيأ منذ الان منادية بالمدى الحيوي .. خطوة خطوة . تحركوا .. اما نحن فقد مشيناها .. حائط المبكى القديم ، ملاحم الاضطهاد .واساطيره ، ارض الاجداد ، تاريخ اليهود الفريد ، مزاريب المال ، الاحتلال ، التعصب الوحشي ، الفؤوس في الجماجم .. كل ذلك انما وضعوه لخدمة فكرة واحدة : امتلاك الارض . وايزمن قال « ان بريطانيا تعهدت له بتسليم ارض فلسطين خالية من سكانها العرب » . ويراندس مستشار الرئيس الاميركي ويلسون ، فسر وعد بلفور بأن القصد منه هو أن يصبح اليهود اكثرية في فلسطين . وعلى العرب أن يرحلوا الى الصحراء . والكونغرس الاميركي طالب عام ١٩٤٢ باجلاء السكان العرب عن فلسطين ان هم عارضوا في انشاء الدولة المقترحة .

ما حسب احد حساب العرب . كمية مهملة كانوا ، والمد الاستعماري في الاوج .

هل بينكم من قرأ البيان الذي اعلن قيام دولة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ؟

الكلمة الاولى فيه تبدأ هكذا « **ارض اسرائيل هي مهد الشعب اليهودي** » ..

انه يتألف من تسع عشرة فقرة . ثلاث منها فقط لا تتحدث عن تلك الارض . الزعماء الصهيونيون الثمانية والثلاثون الذين وقعوا البيان ما شغلهم في ست عشرة فقرة منه الا حديث الارض .. « **الرب الجديد** » الذي وجدوه أخيرا .

والآن ..

ما هي ارض اسرائيل ، او ما هي ارض الدين اليهودي ؟ وماذا فعلت الصهيونية كي تصل الى هذه الارض ؟

في الازمات المصيرية تبدو العودة للبديهيات نوعا من الكشف للمجهول . ويبدو تثبيت بعض القيم والمفاهيم قريبا من الخطر والشان من اخراج المعجزة ومن الحاح الخبز اليومي . بلى .. اكرر . **ان الارض هي القضية** . (٥) وهل في كتاب العهد القديم من حديث غير حديث الارض ؟ وهل من عمل ليهوه ، اله العهد القديم ، غير الارض ؟ وهل شغل كتاب العهد القديم ، وانبياءه ، وملوكه ، غير الارض ؟

فما هي قصة الارض كما رواها كتاب العهد القديم ؟

---

٥ — من مقال للدكتور شاكر مصطفى في مجلة الاداب البيروتية عدد اذار ١٩٦٦

قصة الارض

في كتاب العهد القديم

الارض ، الارض ، الارض .

راينا في ما تقدم نماذج من اقوالهم وتصريحاتهم . وهي صدى خافت لما يتردد في هيكل ربهم — الارض .

هذا حديثا . وقديما كانت الارض ربهم . فتاريخهم « التوراة » او ما يسمى « بالعهد القديم » ، تدور جميع أخباره وقصصه وشرائعه حــول محور واحد ، الارض . وجميع أناشيده وأشعاره تتغنى بالارض . والهم الوحيد الذي ظل ابدا يعاودهم قبل غزوهم أرض كنعان ، وبعد تشريدهم ونفيهم منها، الارض .

اي ارض ؟
ماذا يقول كتــاب العهد القديــم ؟

لعنة نـــوح

لا يفرد سفر التكوين في كتاب العهد القديم ، لمسألة الخلق والتكوين الا جزءا يسيرا « ثلاث صفحات » اذا قيس بما افرده الكتاب المذكور « مئات الصفحات » لسرد تاريخ اليهود ، واصولهم القبلية ، وتفصيل اخبار الحروب التي خاضتها قبيلة بني اسرائيل مع اصحاب الارض .

وفي الفصل السادس يطلع علينا كاتب السفر بخبر مفاده (ان ابناء الله راوا بنات الناس انهن حسنات . فاتخذوا لانفسهم نساء من كل مــا اختاروا .. ودخل بنو الله على بنات الناس ، فولدن لهم أولادا .. ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر في الارض .. فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض ، وتأسف في قلبه . فقال الرب امحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته .. لاني حزنت اني عملتهم .. واما نوح فوجد نعمة في عيني الرب . تكوين ٦/٢) .

ولم يسكن غضب الرب حتى اغرق الارض ، واخمد فيها انفـــاس الحياة . (فظهرت رؤوس الجبال .. واستقر فلك نوح على جبال ارارط .. وخرج نوح وأولاده الثلاثة : سام وحام ويافث . وابتدأ نوح يكون فلاحا . وغرس كرما ، وشرب من الخمر ، فسكر ، وتعرى داخل خبائه . فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، واخبر اخويه خارجا . فأخذ سام ويافث الرداء ، ووضعاه على اكتافهما ، ومشيا الى الوراء ، وسترا عورة ابيهما ، ووجهاهما الى الوراء ، فلم يبصرا عورة ابيهما . فلما استيقظ نوح من خمره ، علــم بما فعل أبنه الصغير ، فقال : **ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لاخوته .** وقال : مبارك الرب اله سام ، وليكن كنعان عبدا لهم . تكوين ٩/٢٠) .

كنا نظن ان الطوفان التوراتي كان لمحو العالم الغارق في الخطيئة . واعادة خلق عالم جديد ، صاف ونقي ، يتعاون بالتسامح والاخاء ، ويعمر الارض اجيالا واجيالا بالمحبة ، قبل ان ينتاب روحه الشر او تفسده الخطيئة . ولكننا نفاجأ بيهوه التوراة ، بعد ان اخذ وعدا على نفسه بانه لن يخرب الارض بطوفان جديد ، يقسم الشعوب في العائلة البشرية الاولى ، بين سادة وعبيد . فكان ميراث شعبه حقد ضار وكراهية عمياء لجميع الشعوب ، خربوا بها الارض بأعنف واقسى مما خربها الطوفان . وكان مهر شعب باللعن وتتويجه بالعبودية ، اسهل على يهوه من اطعام جائع او مواساة مريض .

وجاء الاب الاول ، نوح ، الناطق باسم يهوه ، يوزع البركات واللعنات بين ابنائه ، بعد ليلة سكر وتعر . يجلل واحدا بالسيادة ، ويصم آخر بالعبودية . وكان الاحساس الانساني نضب في صدر الانسان الاول بعد الطوفان . **فكانت اللعنة الاولى باعثاً للعداء والحقد والكراهية . وكانت وصمة يلصقها اليهود ، بامر يهوه ، في وجه كل من يريدون اقصاءه من الاشخاص والقبائل والشعوب .** ففي العائلة البشرية الاولى بعد الطوفان ، يبدأ نوح بلعنة احد ابنائه ، ومباركة اخر . ويصنف ابناءه بين ملعون يبقى عبدا لأخيه ، وبين مبارك يظل سيدا لاخيه . فكان من الطبيعي ، وهم يسلسلون نسبهم أن يعيدوا اصولهم الى الابن المبارك . **ويجعلوا اصحاب الارض ابناء الابن الملعون .**

ومنذ عملوا ، في سفر تكوينهم ، على ربط نسبهم بالاب الاول ، عملوا في الوقت ذاته ، على حشر اتجاهاتهم السياسية والقومية في تاريخهم الديني ، وضمنوه نزعاتهم العنصرية وميولهم العدوانية ، نحو كافة الامم والشعوب .. فنوح يلعن ، باسم يهوه ، اب الكنعانيين ، ويبارك أب اليهود . وغالبا ما تمثلت اتجاهاتهم السياسية في اضفاء البركة على أب ، ووصم الاخر بلعنة . وكان تفسيرهم للبركة او اللعنة ، انها ابدية ، تلحق ذريته الى اخر الدهر .

ففي سفر التكوين سردوا قصة الخلق بشكل مقتضب ، وسلسلوا آباء البشر بايجاز مبتسر . الغاية منه ربط نسبهم باقدس شخصية عرفتها تلك الازمان ، على ما يظهر، أعني به ابراهيم . وارساء أسس العداء بين الشعوب ، وتنظيم قواعد البغض والحقد . وما كتبوا سفر التكوين الا ليكشفوا عن اصولهم عبر توزيع الشعوب في مختلف بقاع الارض . فجعلوا اصلهم كريما ، اختاره الله من بين جميع الامم ، ودفق عليه البركات . بينما لم يكن نصيب الفروع الاخرى غير الدعوة بالعبودية ، واللعنات .

ترى لماذا صب اللعنة على كنعان . ونوح هو الذي سكر وتعرى . وحام هو الذي ابصر عورة ابيه ؟ الأن الكنعانيين سبقوا اليهود في مضمار

الحضارة ، ام لانهم اعطوا العالم الروح والمحبة والحكمة ؟

أم لان الكنعانيين هم اصحاب الارض ، التي فكر نبيهم وقائدهم ، موسى بغزوها ، بعد ان انهكه وقبيلته التبدي في الفيافي والقفار .

كانت لعنة نوح اول تعبير عن حقد موسى على شعـوب كنعان . فموسى البس كنعان اللعنة ، وموسى الصق بوجهه وصمة العبودية .

لم يكن لموسى غير هذا الاسلوب ، يعبر به عن نقمته وحقده على كنعـــان .

وقد التزم كتاب العهد القديم بالاسلوب ذاته حتى اخر فصل فيه . لان القاعدة التي ارساها موسى ارتكزت عليها عمارة العهد القديم كلها . ولا يزال اليهود حتى اليوم بالروح نفسها ، ويعبرون بالاسلوب ذاته .

فطوفان نوح كان لهدم العالم الغارق في الخطيئة . ولكنهم لم يعيدوا العالم الى الكمال الذي كان له في البدء . وانما ارسوا اسس العداء بين الشـــعوب .

الوعـــد ــ الوثيقـــة

ثم يسرد كاتب العهد القديم انساب بني نوح . وما ان ينتهي الفصل الحادي عشر بذكر « ابرام » ، الحفيد التاسع في سلسلة ابناء سام ، حتى يطلع علينا في الفصل الثاني عشر بقوله « وقال الرب لابرام : اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك ، الى الارض التي اريك .. فذهب ابرام كما قال له الرب .. **فاتوا الى ارض كنعان .. وظهر الرب لابرام** وقال : **لنسلك اعطي هذه الارض** . تكوين ١٢/١ » .

لماذا اراد الرب ان يقتلع ابرام من ارضه ، ويخلعه من عشيرته . ووعده بأن يزرعه ونسله في ارض اخرى . ارض معمـــورة بأصحابها ، عامرة بأمجادهم وحضاراتهم ؟

لماذا اختار الرب ابرام ونسله من بعده ؟

يفسر رجال الدين المسيحي هذا الاختيار بوجود « **قصـــد الهي** » . ولو سألتهم : ما تفسيركم « للقصد الالهي » ؟ وما الدافع الذي يكمن وراء هذا العطاء السخي ، الدامي . لان فيه ابادة شعب ، واعطـــاء ارضه لشعب اخر ؟ لداروا في معميات ، لا اثر فيها للمنطق المعقول .

هي من نوع اللعب بالالفاظ : الله كبير .. نحن حشرات .. لا نفهم ، لا نعرف قصده .. خلاص .. اختيار .. شعب مكرس .. ارادة الله ..

وهكذا .. تدور وتدور حتى تشعر بأعصابك وقد اضحت فريسة الخدر والعيـــــاء .

هل كان ابرام نبيا ؟ ام انه « وجد نعمة في عيني الرب » كما وجدها نوح ؟ ولماذا وجد هذه النعمة من دون سائر البشر ؟
لمـــاذا ولمـــاذا ؟
من يدري !
اليست هي مقاصد الله ، كما يقول العامة ، وعلماء الدين واللاهوت ؟
ويتساءل المرء بدهشة بالغة : من الذي اختار الاخر ؟ اهو الرب الذي اختار شعبه ؟ ام هو الشعب الذي اختار ربه ؟

لماذا اختار الله شعبا خاصا من دون سائر الشعوب ؟ اليست بقية الشعوب من خلق الله ؟
لماذا ارتضى ان يكون الها خاصا بقبيلة معينة ؟ اليس هو ربا للجميع والها للكـــل ؟

ولماذا اصطفى فلسطين وطنا لهم وموطنا لبيته وسكناه ؟ وقصر همه على قطعة ارض . ينزوي في بيت صغير فيها . يغذي في شعبه الخاص روح الحقد والانتقام والقتل والخيانة والغدر والخديعة ؟
واله المحبة والرحمة والعدل ، رجمته الصهيونية ، كما ترجم الزانية . ولا تزال تعيش بانتظار اله جبار يضع الامم تحت اقدامها .

لماذا خص الرب ابرام بوعده ؟
اهذا وعد اله محبة ، وشمول انساني . ام هو وعد اله قومي ، عنصـــري ؟
لماذا اختار الله ابراهيم ؟ الانه كان يؤمن بالتوحيد ؟
التوراة نفسها تنقض هذا الادعاء في قولها ان « عشيرته عبدت الهة اخرى . يشوع ٢٤/٢ » . في وقت كان شعب كنعان قد عرف الاله الواحد قبل ابراهيم بالاف السنين . ام « ان الله اراد اختياره ، فطلب منه ان يؤمن باله واحد » (٦) . فنزل ابراهيم عند رغبة الرب ، وآمن .

ولماذا اراد الله اختياره ، ولماذا انتقته الارادة الالهية من بين سائر البشر ؟ وهل تميز ارادة الله بين هذا وذاك ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟
اما ان نقول « ان الله لم يختر ابراهيم لانه كان يؤمن بالتوحيد ، ولكن آمن بالتوحيد لان الله اختاره من بين ذويه (٧) » فاننا نكون كمن يرتجف

---

٦ ـــ من المؤسف ان يسقط قلم بعض الدارسين في مثل هذه الزلات . امثال الدكتور كمال يوسف الحاج في كتابه « الصهيونية بين تاريخين » بالاشتراك مع عبد الله النجار . بيروت ١٩٧٢ ص ٢٤٣ .
٧ ـــ المرجع السابق ص ٢٤٣

خوفا ، ويحاول اقناع نفسه بانه غير خائف .

لماذا اختاره الله ؟ ولماذا لم يختر هذا وذاك وتلك ؟ أمن العدل ان يختار الله واحدا من البشر ، ويصطفي سلالته شعبا مختـــارا . يخطط لهم في الحروب ، ويتودهم في المعارك ، ويأمرهم بابادة الشعوب ، وابسال كل نسمة حيـــاة ؟

أم ان القضية لا تعدو ان تكون حظا ونصيبا ، كما يعبر العامة ، عن رفعة شأن واحد من الناس ، واتضاع اخر .

يقول كتاب العهـــــد القديم ان ابراهيم قـــد خرج علـــى تقاليـــــد قومه . ونسأل كتاب هذا العهد ، وجميع المؤمنين به : هل الخروج علـــى التقاليد يحتم الخروج من الارض ؟ واذا كان ابراهيم قد عرف الهه في أرض الكلدانيين . فلماذا لم يقم شعائر العبادة حيث تكشف له الهه ؟ ولماذا اراد أن يرفع هذه الشعائر في أرض كنعان ؟ وهل **تكون عبادة الله او الاتصال به محصورة في أرض خاصة او في بقعة معينة ؟**

يقول الكاتب « وحدث جوع في الارض . فانحـــدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك . لان الجوع في الارض كان شديدا . تكوين ١٢/١٠ » . ثم عاد « وسكن في أرض كنعان .. فقال له الرب : ارفع عينيك ، وانظـــر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . **لان جميع الارض التي انت ترى ، لك اعطيها ، ولنسلك الى الابد . تكوين ١٣/١٤ »** .

وفي أرض كنعان تكلم الرب مع ابرام مرات عديدة . وفي كل مـــرة يؤكد له الوعد . ففي الفصل الخامس عشر من سفر التكوين « قال له : انا الرب الذي اخرجك من « أور » الكلدانيين ، ليعطيك هذه الارض لترثها » . وفي الفصل ذاته (قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك **اعطي هـــذه الارض . من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفـــرات)** . (وقال الرب لابرام : اعلم يقينا ان نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم . ويستعبدون لهم ، فيذلونهم اربع مئة سنة. ثم .. الامة التـــي يستعبدون لها ، انا أدينها) .

رب سائل : لماذا حكم يهوه على نسل ابراهيم « شعبه المختـــار » بالتغرب في أرض مصر ؟ ولماذا قضى عليهم بأن يكونوا عبيدا اذلاء للمصريين ؟ ولماذا أراد لهم التغرب اربع مئة سنة ، ما دام قد وعدهم بأرض كنعان ملكا أبديا . ولماذا حكم على الامة المصرية بالادانة ؟

ولماذا لم يترك يهوه قومه المختارين في أرضهم ، في ما بين النهرين ، ويدفق عليهم الخيرات ماء وأنهارا وخصوبة أرض ؟

لماذا لماذا ؟

الا تعتقد أن اليهود ، حين بدأوا كتابة هذه الاسفار في القرن الخامس قبل الميلاد لم يجدوا غير هذا الاسلوب في النيل من الامم التي استعبدتهم ،

والحكم عليها بالادانة ؟ وكان هذا الحكم كان تعويضا عن الآلام التي اكتووا بها من المصريين .

وفي الفصل السابع عشر « ظهر الرب لابرام ، وقال له .. اقيم عهدي بيني وبينك ، وبين نسلك من بعدك ، في اجيالهم عهدا ابديا ، لاكون الها لك ، ولنسلك من بعدك . واعطي لك ولنسلك من بعدك **ارض غربتك . كل ارض كنعان** ملكا ابديا »

وليتك تجيبني على سؤال : هل الدين يحدد الارض أم القومية ؟ وهل تعتقد ان العدالة الالهية تقتلع جذور شعب من أرضه ، بالفتك والابادة . لتهب الارض الى شعب اخر ، وهل تسميها عدالة ، ام ظلما . ومن ابشع ضروب الظلم في تاريخ البشرية ؟

لماذا حكم الرب على شعوب كنعان بالافناء في حرب ابادة ؟

تقول : كفروا . وكتاب التوراة اليهودية يدّعون أن يهوه يعطي الارض لليهود ، ويبيد أصحابها الاصليين . لان اليهود شعب مقدس ، مؤمن بالله . اما أصحاب الارض فانجاس ، كفار عبدوا الها غيره . هم يلصقون هذا الادعاء في وجوه البشر ، في محاولة لرفع التهمة عن يهوه ، بانه غير عادل ، حين يكرم شعبا ، وينزل الحيف والظلم بشعب اخر .

ولكن المعتقدات التي خلفها الكنعانيون محفورة على جدران معابدهم ، والابتهالات التي رددت اصداءها قباب هياكلهم . فيها دلالة قاطعة على سمو نظرتهم الى الله والانسان ، وعلى نضجهم الروحي المبكر . فقد **عرفوا (ايل) الله** . واسكنوه في السماء البعيدة . فرفعوا القيم الاخلاقية من حضيض المادية الى يفاع القيم المعنوية والروحية . وراوا في الله ابا للبشر جميعا . « **فملكي صادق ملك شاليم** (٨) ، اخرج خبزا وخمرا ، وكان كاهنا لله العلي ، وبارك ابرام قائلا : مبارك ابرام من الله العلي . مالك السموات والارض . تكوين ١٤/٨ » . **والمسيح جاء على رتبة ملكي صادق** . كما جاء في رسالة العبرانيين ٦/٥ — العهد الجديد .

الا تعتقد ان فكرة اهتمام الله ببني اسرائيل من دون سائر الشعوب ، ووعده لهم بتمليكهم اراضي شعوب اخرى ، والاستيلاء على هذه الارض بالقوة المسلحة ، المصحوبة بالفتك والافناء ، أمر لا يقبله العقل ، ولا يقره منطق سليم ؟. والا . فأين محبة الله ؟ واين عدالته ؟ واين تساميه ؟..

« ان عزو مثل هذا الوعد ب « أرض كنعان » ، القائم على القتل وابادة الجنس ، الى الله عز وجل . ان هو الا سبة موجهة الى ذات الله جل جلاله . كما انه لا يمكن ان يكون هناك دين سماوي يأمر بأبادة الجنس

---

٨ — شاليم : السلام . ثم دعيت اورشليم اي مدينة السلام

البشري والفتك بالشعوب المسالمة البريئة (٩) » .

« وان كل ما ورد في توراتهم من وعود ، بمنحهم فلسطين ، باعتبارهم الشعب المختار . وما شابه هذه الاساطير . ان هي الا من نسج الخيال ومن ترتيب كتبة التوراة (١٠) » .

اولا تعتقد ان الوعود الالهية التي نسبوها الى الههم « يهوه » ، كانت لتبرير عملية الاستيلاء والاحتفاظ بالارض . لانها ميراث وعد مقدس . والابقاء على نزعة الحنين ضارية في صدورهم للعودة اليها اذا ما اقتلع اصحاب الارض اقدامهم منها ؟

الا يكون الاقرب الى العقل والمنطق أن موسى النبي ، حين كان زعيما لقبيلة يهودية ضاربة في صحراء سيناء ، فكر بغزو اطراف ارض كنعان . لكنه مات قبل أن يحقق حلمه . فقام بعده قائده وخادمه يشوع بن نون ، واستولى على تخوم كنعان الجنوبية ، وتوغل في بعض المرتفعات .

وعندما بدا اليهود بكتابة التوراة زمن موسى ، او بعده . أو عندما صاغوها من جديد بعد السبي ، ابتدعوا فكرة الوعد الالهي ، ليكون تبريرا لما استولوا عليه ، أو لما يمكن أن يستولوا عليه في الازمان القادمة .

ثم .. الا ترى أن منطق كاتب ، أو كتاب العهد القديم ، ليس المنطق المباشر ، الذي ينزع من الاسباب الى النتيجة ؟ فلا يبدو هناك اي داع يدفع الرب الى اختيار ابرام ، ولا سبب يبرر قطع العهد معه . وانما هو **المنطق التبريري** الذي يؤمن بالنتيجة ، ثم يرتد مفتشا عن الاسباب والاعذار التي تؤدي الى هذه النتيجة ، ليبرر ايمانه بها .

وهذا المنطق التبريري وسيلة يعتمدها اصحـــاب النوايا السيئة ، ليرفعوا مسؤولية تحقيق نواياهم السيئة عن عاتقهم ، وينيطوها بسبب من أسباب القدر .

فكاتب التوراة اراد أن يبرر غزو القبائل الاسرائيلية لارض كنعان . فجعل نوحا يسكر ، ويتعرى في خبائه . ثم ساق حام الى الخيمة ليبصر عورة ابيه . فتكون الحادثة تبريرا للعنة . وأراد لنوح أن يقذف اللعنة بوجه كنعان بن حام « لان الوعد سيعطي لابراهيم بارض كنعان » ، لا بوجه حام الذي ارتكب الذنب . وقصد ان تكون اللعنة ابدية . الغاية منها الحاق العبودية بكنعان مدى الحياة « فيكون عبدا لاخوته الى الابد » .

وكاتب التوراة هو الذي جعل ابراهيم ابنا لسام . واراد له الانتقال من اور الى بلاد كنعان . فيكون انتصار بني اسرائيل ، واستيلاؤهم علـــى

---

٩ ــ العرب واليهود في التاريخ ــ الدكتوراحمد سوسة ــ ط ٤ ــ دمشق ١٩٧٥ . ص ٦

١٠ ــ المرجع السابق ص ٢٤

أرض كنعان نتيجة حتمية لدعاء نوح ، بأن يكون كنعان عبد لاخوته .

وكان القصاصين التوراتيين ما اخترعوا حكاية ابراهيم الا ليبرروا بها عملية الاستيلاء .. وما علقوا نسب ابراهيم بسام بن نوح الا لان لعنة نوح ، الناطق باسم يهوه ، التي لحقت كنعان نسل حام ، هي خالدة وربانية . الغاية منها اضفاء صفة الحتمية على مجريات الامور ، لصالح بني اسرائيل طبعا . واضفاء صفة الربوبية عليها . لان كل شيء حصل بارادة يهوه . يهوه الذي حشروه في كل شيء ، كذريعة تبرر نواياهم واعمالهم السياسية .

فقد شعر كتاب العهد القديم بأن اوامر يهوه بابادة الكنعانيين من غير ذنب اقترفوه ، امر لا تقبله العقول ولا تقره النفوس . فلجاوا الى حيلة يبررون بها جرائمهم : **جعلوا لعنة يهوه تشمل نسل كنعان كله** . ولعنته تعني الحرمان من حق الحياة . وعلى مدى كر السنين ، والى نهاية الدهور ، تبقى كل جرائم الحقد والكراهية لبني كنعان ، ترتع في هذا الدعاء الرباني الخصب . وكانت لعنة العبودية وصمة يلصقها اليهود في وجوه الافراد والشعوب والممالك ، الذين يقفون عائقا امام تحقيق مطامعهم او تنفيذ غاياتهم .

والملاحظ أن سفر التكوين لا يعير اي اهتمام لمسالة الخلود ، والحياة الابدية . او السمو بالانسان الى مجال روحي رحب . وكل ما فيه سرد أخبار قبيلة ، اضناها التشرد ، وانهكها التبدي والترحال ، حتى صار استيطانها في أرض أملا ضاريا ، يلهب كيان افرادها بسوط مسعور . من هنا كان ابتداعها وعدا الهيا . تبرر به استيلاءها على أرض الاخرين .

والواقع ان تدوين سفر التكوين ، خضع لمجموعة عوامل سياسية واجتماعية ، ظهرت اثارها في اعتبار قبائل وشعوب المنطقة المحدودة بالفرات شمالا ، والبحر غربا ، والنيل جنوبا ، والبادية شرقا ، اعداء لهم . ومن هنا نرى الههم « يهوه » يحجب بركته عن بعضهم ، وقد يلعنهم . ويعد قبيلته بتمليكهم اراضي الامم الاخرى . محاولا بذلك اخماد شعورهم بالذل والانتباذ . لعدم قدرتهم على الارتباط بأرض معينة . ولعدم وجود صلة لهم بأرض نشأوا فيها وتكون انسانهم معها .

وهذا الوعد الالهي اعطي بارض لم تعرفها القبيلة اليهودية من قبل . وانما كانت ارضا ماهولة باصحابها الذين عمروا عذريتها بافكارهم وحفروا في وجهها امجادهم . ولم يكن الوعد بارض بلا خطيئة ، حيث لا أمراض ولا شيخوخة ، كما كان اعتقاد المجتمعات البدائية (١١) . بل كان وعدا بتمكينهم من الاستيلاء ، بالمذابح البشرية ، على جنة ارضية مادية بحتة . أراد اليهود اغتصابها بالحرب والعنف . سواء كانت جنتهم الارضية هي

---

١١ ـــ مع الكلمة الصافية لقاسم الشواف ـــ دمشق ١٩٦٩ . ص ١١٥

ارض كنعان ، التي تفيض لبنا وعسلا . ام جنة عدن بأنهارها الاربعة : دجلة والفرات والنيل والنهر الهندي المقدس (١٢) . فان هاتين الجنتين هما لاصحابهما . ولا يمكن لكتاب مقدس ، كالعهد القديم ، ان يصنفهما على غير ذلـــك .

ولم يكن همهم التفتيش عن جنة مفقودة ، عاشوا على امل العودة اليها ، كما فعل البابليون والكنعانيون وعبروا عنها « بالحياة الابديـــة » والخلود . فاونا بشتيم بطل الطوفان البابلي ، فتش عنها . وجلقامش ملك اوروك ، وخدين المجد والعظمة ، وبطل الانتصارات « الاقوى بـــين الرجال ، والامجد بين الابطال » ترك مجده ، وثار على مظاهر الصولة والسلطان . وآثر البحث عن حياة ابدية . وفي صدره ايمان عميق راسخ رسوخ الجبال ، بأن سعيه الروحي وهجوده العميق لا بد يقودانه الـــى حياة ابدية ، هي وراء هذا العالم المادي الشرير .

أما معتقدات اليهود فلم ترتبط بأرض ، كسائر معتقدات شعوب الشرق القديم . لانهم لم ينشأوا في أرض معينة . فجاءت معتقداتهم تدور حول محور واحد ، هو البحث عن ارض . وكان وعد الههم « يهوه » بمثابة وثيقـــة مقدسة تبرر اقتحام انفسهم في ارض ماهولة ومعمورة باصحابها . وتحضر للاستيلاء على هذه الارض بمذابح بشرية وحرب ابادة .

التغرب في ارض كنعان

يقول كاتب العهد القديم « وتغرب ابراهيم (١٣) في أرض الفلسطينيين اياما كثيرة . تكوين ٣٤/٢١ » .

« وكان في الارض جوع ، فذهب اسحاق بن ابراهيم الى ابي مالك ، ملك الفلسطينيين .. فظهر له الرب ، وقال .. تغرب في هذه الارض .. لاني لك ولنسلك اعطي جميع هذه البلاد ، وافي بالقسم الذي اقسمت لابراهيم ابيك . تكوين ١/٢٦ » . ثم ظهر الرب ليعقوب (١٤) « اسرائيل » بـــن اسحاق وقال « انا يهوه ، اله ابراهيم ابيك واله اسحاق . الارض التي

---

١٢ ـ جورج بوست ـ قاموس الكتاب المقدس

١٣ ـ كان ابرام ، فغيره الرب الى ابراهيم في قوله له « لا يدعى اسمك بعد ابرام . بل يكون اسمك ابراهيم . تكوين ٥/١٧ . ومن صفات يهوه رغبته في تغيير اسماء مختاريه او اطلاق الاسماء على مواليدهم .

١٤ ـ بعد مصارعة يعقوب للرب قال له الرب « لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب . بـــل اسرائيل ، لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت . تكوين ٢٨/٣٢ »

انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك . تكوين ١٣/٢٨ » .

هنا قد يتبادر الى ذهنك سؤال : لماذا انحصرت الذرية في اسحق ، واستبعد اسماعيل ؟ ولماذا حيكت الحيــل والمؤامرات لحصرها ايضا في يعقوب ، واستبعاد عيسو ؟ لماذا اعطيت البركة لهذا ومنعت عن ذاك ؟ ما القاعدة ، وما المبررات في اعطاء واحد ، وحرمان اخر ؟.

من يــدري !

هي مقاصد الله ، كما يقول العامة ، وعلماء الدين واللاهوت .

وانت . الا تعتقد انه المنطق التبريري ذاته الذي اعتمده كاتب العهد القديم ، عندما جعل من لعنة نوح لكنعان مبررا لاعطاء الوعد الى ابراهيم ، الذي يعود بنسبه الى سام . وكان حكمه على كنعان بأن يكون عبدا لاخوته ، مبررا لغزو القبائل الاسرائيلية لارض كنعان .

فالكاتب شخص متعصب لبني قومه «اسرائيل» . قاده تعصبه الــى ابعاد اسماعيل ، بكر ابراهيم ، الى ارض المشرق . وجعل يهوه يقيم عهده مع اسحق . فلم يجد ما يبرر به فعلته غير الادعاء بأن اسماعيل ابن الجاريــة ، فلا يرث مع اسحق ابن السيدة . فقد قالت « السيدة » سارة لزوجهــا ابراهيم « ان ابن هذه الجارية « هاجر » لا يرث مع ابني اسحق » . وأيد يهوه كلام سارة « فقــال لابراهيم : لا يقبــح في عينيك من اجل الغلام « اسماعيل » ، ومن اجل جاريتك . في كل ما تقول لك سارة ، اسمــع لقولها . تكوين ١٢/٢١ » .

اما في قصر الوعد على يعقوب « اسرائيل » ، فلم يجد الكاتب مــن المبررات غير الدهاء والحيلة والخداع . فقال « تزاحم الولدان في بطن رفقة ، زوجة اسحق . فمضت لتسأل يهوه . فقال لها : في بطنك أمتان ، ومن احشائك يفترق شعبان . شعب يقوى على شعب ، وكبير يستعبــد لصغير . تكوين ٢٢/٢٥ » . ومن الطبيعي ان يكون البكر هو عيسو ، الذي حكم عليه يهوه ، او كاتب العهد القديم ، وهو بعد في بطن امه ، ان يكون عبدا لاخيه « يعقوب » الذي اتى بعده .

وقد اتخذ الكاتب من حكم يهوه هذا ، ومن محبة رفقة « الام » ليعقوب اكثر من عيسو ، مبررا للجوء يعقوب وامه الى الحيلة والدهاء . ومن الطبيعي ان يؤيد يهوه تصرفهما ، لان فيه تحقيقا لحكمه . فيقول الكاتب : ان عيسوأتى من الحقل يوما ، وقد اعياه التعب « وكان يعقوب في البيت قد طبخ عدسا . فقال عيسو ليعقوب : اطعمني من هذا الاحمر . فقال يعقوب : بعني اليوم بكوريتك . فقال عيسو : ها أنا ماض الى الموت . فلماذا لي بكورية ؟ وباع بكوريته ليعقوب . تكوين ٣٠/٢٥ » . بصحن من طبيخ العدس .

اما الحيلة التي لجأت اليها الام ، فكانت اشد وادهى . يقول الكاتب « وحدث لما شاخ اسحق وكلت عيناه ، انه دعا عيسو ، ابنه البكــر ،

وقال له : اخرج الى البرية وتصيد ، واصنع لي اطعمة حتى تباركك نفسي قبل ان اموت . وكانت رفقة سامعة .. فكلمت يعقوب ، وكانت تحبه ، قائلة : خذ جديين من المعزى ، فاصنع اطعمة لابيك .. حتى يباركك قبل وفاته . فقال يعقوب لامه « رفقة » هوذا عيسو اخي رجل اشعر ، وانا رجل املس.ربما يجسني ابي،فاجلب على نفسي لعنة لا بركة.فقالت له امه. لعنتك علي يا ابني .. فصنعت اطعمة .. والبست يدي يعقوب وملاسة عنقه جلود جديي المعزى .. فدخل يعقوب الى ابيه . فقال اسحق : اسرعت يا ابني . فأجابه يعقوب : ان يهوه الهك قد يسر لي . فقال اسحق ليعقوب : تقدم لاجسك يا ابني . انت هو ابني عيسو. ام لا ؟ فتقدم يعقوب الى اسحق ابيه ، فجسه ، وقال : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه . فباركه » . وكانت البركة ما اعتاد يهوه ان يبارك به رجاله الخلص او شعبه المختار . قال « ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل . كن سيداً لاخوتك . تكوين ٢٧/٥ » .

ثم جاء عيسو بالصيد . فقال له ابوه اسحق « قد جاء اخوك بمكر ، واخذ بركتك .. فقال عيسو لابيه : الك بركة واحدة يا أبي ؟ باركني أنا ايضا » . ففتح اسحق فاه ، وكانت بركته لعنة . قال « بلا دسم الارض يكون مسكنك ، وبلا ندى السماء من فوق . وبسيفك تعيش ، ولاخيك تستعبد تكوين ٢٧/٣٩ » .

ثم دعا ابنه يعقوب وقال له « يعطيك الله بركة ابراهيم لترث ارض غربتك التي اعطاها الله لابراهيم . تكوين ٢٨/٤ » .

فكاتب التوراة يريد ان يهب الارض الى يعقوب « اسرائيل » . فماذا فعل ؟ وكيف برر هذه الهبة اليهوية ؟ جعل الجنينين يتزاحمان في بطن الام ، مقدمة لسؤالها يهوه . ووضع الجواب على لسان يهوه ، بأن الكبير يستعبد للصغير . فكان من الطبيعي أن يكون البكر عيسو . هنا فقد الكاتب المبررات المقنعة بتحويل الوعد لصالح يعقوب . فلجأ الى الحيلة ، بأن جعل الام تحب ابنها يعقوب اكثر من محبتها لعيسو ، وذلك مقدمة لحبك المؤامرة ضد عيسو . وعندما البست رفقة يدي يعقوب جلود المعزى ، كان مقدمة لطلب ابيه اليه ان يجس يده ، لان الكاتب اراد للاب ان يشك . وقد عبر عن شكه بقوله : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو . ورغم شكه ، فقد باركه ، لان الكاتب جعل الاب اعمى . وعماه كان مقدمة لعدم التمييز بين ابنيه .

ثم « دعا اسحق يعقوب ، واوصاه قائلا : لا تأخذ زوجة من بنات كنعان . اذهب الى فدان ارام (١٥) ، وخذ لنفسك زوجة من بنات « لابان »

---

١٥ ـ فدان ارام : في بلاد ما بين النهرين

اخي امك . والله يعطيك بركة ابراهيم ، لترث ارض غربتك ، التي اعطاها الله لابراهيم . تكوين ١/٢٨ » .

فذهب يعقوب الى بلاد ما بين النهرين ، ورعى غنم خاله « لابان » ، وتزوج من راحيل وليئة ابنتي خاله ، ومن جاريتيهما . فولدن له اثني عشر ابنا ، شكلوا في ما بعد ما يسمى باسباط اسرائيل .

ثم « قام يعقوب ، وحمل أولاده ونساءه على الجمال ، وساق مواشيه التي اقتنى في فدان ارام ، ليجيء الى اسحق ابيه ، الى ارض كنعان . تكوين ١٧/٣١ » .

« وسكن يعقوب في ارض غربة ابيه ، في ارض كنعان . تكوين ١/٣٧ » . الارض التي كانوا يتسلحون ، في الاستيلاء عليها ، واستملاكها يوما ، بوثيقة يهوه — الوعد .

حرب الابادة

رأينا الوعد ، وعرفنا بعض خطوطه وابعاده . اما عملية الاستيلاء . فكيف خططوا لها ؟ وكيف قاموا بالتنفيذ ؟

لقد رافقت عملية الاستيلاء على مرتفعات فلسطين ، قديما وحديثا ، عمليتان بالغتا الاهمية : **المجازر والوحشية** ، **وحرب الابادة** . وكان لهاتين العمليتين هدفان بارزان ، يعتبران بمثابة الدعامتين الاساسيتين اللتين قامت عليهما دولة اسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد ، وفي القرن العشرين بعده . اولهما : **ايقاع الذعر في النفوس** . والثاني : **تنظيف الارض من شعوبها** . لتكون طاقتها قادرة على استيعاب القبائل الاسرائيلية .

وقد راى بنو اسرائيل أن اهم عملية تخدم هذين الهدفين ، وتؤدي اليهما ، هي حرب الابادة . فكانوا اثناء استيلائهم على اجزاء من فلسطين ، يرتكبون من المجازر الوحشية ما يقشعر لدى سماعه الانسان ، فيبيدون من يظفرون بهم ، وينشرون ظلال الرعب والخوف في نفوس من تبقوا احياء ، فيركنون للهرب والفرار .

عاشت هذه « القبيلة الهمجية » (١٦) في حالة بدائية وحشية ، وفي زمان غاشم ، لم يعرف قانونا غير القوة « شريعة الغاب » . يشد ازرهم

---

١٦ — التعبير لدوستويفسكي في مقالته « المسالة اليهودية » التي نشرها عام ١٨٧٧ في « مفكرة كاتب » . ترجمها ابراهيم الكوني في مجلة بيروت المساء العدد ٩٨ لسنة ١٩٧٥ .

ويسير معهم اله صغير صغير ، وكأنه يعاني من عقدة تفوق الالهة الاخرى عليه . ولذلك تراه يبث روحه الحاقدة في صدورهم ، فيبيح لهم الفتك والتذبيح والحرق والتدمير ، لينفي عنه شعوره بالضعف ، أو ليرضي عقدة الغرور المستعرة في ذاته . ولذلك كانت غزوة اليهود لارض فلسطين شرسة ووحشية وحاقدة وكان الههم « يهوه » يؤرث نيران الحقد والكراهية في نفوسهم ، ويؤجج لهيب الثأر والشراسة في صدورهم . فمذ عاد يعقوب من فدان ارام ، ونصب خيمته امام مدينة « شكيم » في ارض كنعان « تكوين ١٨/٣٣ » ، راح يعمل على تنفيذ الخطة التي انتهجها بنو اسرائيل في استيلائهم على الارض : المجازر الوحشية ، وحرب الابادة . يساعدهم في ذلك ربهم يهوه ، اله الحقد والرعب والذم . **فقد شردت ابنة يعقوب « دينه »** يرقص في عينيها المهر ، وتفح في اعراقها افاعي الجنس . **وارتمت في احضان شاب نابلسي . فاتخذ اليهود من ذلك ذريعة للفتك والابادة .** وراحوا يحيكون في طواياهم السيئة خطة الافناء .

كيـــف ؟

يقول كاتب العهد القديم أن « دينه ، ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب ، خرجت لتنظر بنات الارض . فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الارض . فأخذها واضطجع معها .

وتعلقت نفسه بدينه ابنة يعقوب ، واحب الفتاة ، ولاطفها . فكلم شكيم بن حمور اباه قائلا : خذ لي هذه الصبية زوجة . وسمع يعقوب انه نجس دينه ابنته .. فجاء حمور ابو شكيم الى يعقوب ليتكلم معه . واتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا . وغضب الرجال واغتاظوا جدا لانه صنع قباحة في اسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب .. وتكلم حمور معهم قائلا : شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم . اعطوه اياها زوجة ، وصاهرونا . تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا . **وتسكنون معنا ، وتكون الارض قدامكم . اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها .** ثم قال شكيم لابيها ولاخوتها دعوني اجد نعمة في اعينكم . فالذي تقولون اعطي . كثروا علي جدا مهراً وعطية . فاعطي كما تقولون لي ، واعطوني الفتاة زوجة . فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور اباه بمكر .. وقالوا لهما لا نستطيع ان نعطي اختنا لرجل اغلف ، لانه عار علينا .. ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر ، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ، ونسكن معكم ، ونصير شعباً واحداً .. فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم ، ولم يتأخر الغلام ان يفعل الامر ، لانه كان مسروراً بابنة يعقوب .. فاتى حمور وشكيم ابنه الى باب مدينتهما ، وكلما أهل مدينتهما قائلين : هؤلاء القوم مسالمون لنا . فليسكنوا في الارض ويتجروا فيها . **وهوذا الارض واسعة الطرفين امامهم** .. فاختتن كل ذكر ..وحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين ، ان ابني يعقوب شمعون ولاوي اخوي دينه ، اخذا كل واحد سيفه واتيا الى المدينة بأمن ، وقتلا كل ذكر . وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف .. ثم اتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة .. غنمهم

وبقرهم وحميرهم ، وكل ما في المدينة ، وما في الحقل اخذوه . وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم ، ونساءهم ، وكل ما في البيوت ..

ثم قال الله ليعقوب : قم اصعد الى بيت ايل . واقم هناك .. ثم رحلوا . وكان خوف الله على المدن التي حولهم ، فلم يسعوا وراء بني يعقوب . تكوين ٣٤ » .

فكاتب العهد القديم يعتبر ان شكيم « صنع قباحة في اسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب .. ونجس دينه » . ولكنه لا يعتبر عمل راوبن بن يعقوب قباحة حين « ذهب واضطجع مع « بلهة » زوجة ابيه . وسمع اسرائيل . تكوين ٢٢/٣٥ » . فلم يغضب اسرائيل ، ولا « يهوه » رب اسرائيل . ولا يعتبر عمل لوط قباحة حين اضطجع مع ابنتيه « تكوين ٣٢/١٩ » . ولا يعتبر عمل يهوذا بن يعقوب قباحة حين اضطجع مع كنته ، وحبلت منه « تكوين ١٨/٣٨ » ورب اسرائيل لم يغضب حين كان بنو عالي الكاهن « يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع « بيت يهوه » . صم ٢٢/٢ » . وايضا لا يعتبر الكاتب عمل امنون بن داود قباحة ، حين اضطجع مع « ثامار » اخته « صم ١/١٢ » ...

يقول الكاتب ان « شكيم لاطف الفتاة » . وعندما جاء ابوه حمور الى يعقوب قائلا « صاهرونا .. دعوني اجد نعمة في اعينكم .. اعطي كما تقولون » . نحس ان في قوله صفاء الفطرة **وبراءة النفس الكنعانية ، المفطورة على الطيبة والتسامح** . التي تفرح بالبذل للمحتاج ، وتنتشي بالعطف والتحنان على الغريب النازل في ديارهم .

اما يعقوب وبنوه ، فقد فحت في صدورهم افاعي الحقد والانتقام . وفارت في نفوسهم رغبة بالقتل والابادة . وتحفزوا لتطبيق تعاليم يهوه . فاستغلوا طيبة الحوريين الكنعانيين ، وصفاءهم ، « وتكلموا بمكر » .

كيف ؟

الحوريون ، اصحاب نابلس ، فرسان ، واهل شجاعة واقدام . اما اليهود . فهل في جعبهم غير المكر ، وهل تنبض اقواسهم بغير الحيل والخداع ؟ رسموا الخطة ، وقاموا بالتنفيذ « قالوا لا نعطي اختنا لرجل اغلف .. فحسن كلامهم في عيني حمور .. ولم يتاخر الغلام ان يفعل الامر ، لانه كان مسرورا بابنة يعقوب » . وهكذا اختتن كل ذكر في المدينة نزولا عند رغبة شكيم .

وبينما كان اهل نابلس يئنون وجعا ، وقد انهكتهم جراح الاختتان ، انقض عليهم اليهود ، يعملون السيف في رقابهم ، ويمسحون بيوتهم سلبا واحراقا .

وكانت امارات السرور تطفر من وجه يهوه . وقلبه يرقص فرحا . فقد استطاع شعبه الخاص ، بالمكر والدهاء ، ان يقضي على الحوريين .

وقد ساعد يهوه في تنفيذ هذه المجزرة ، حين نشر خوفه « على المدن التي حولهم ، فلم يسعوا وراء بني يعقوب » .

اما قول حمور ليعقوب « **الارض قدامكم .. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا** » . **فهو صورة عن النفس الكنعانية التي حاولت ان تحتضن بني اسرائيل ، وتصير معهم « شعبا واحدا »** .

وفي كتاب العهد القديم مجموعة من **الصور** ، ذات دلالة عميقة على نوايا شعب كنعان الطيبة ، الصافية ، في احتضان هذه القبيلة الهمجية . فعندما « تغرب ابراهيم في جرار » قال له ابي مالك ، ملك جرار ، « **هوذا ارضي قدامك . اسكن في ما حسن في عينيك** . تكوين ١٥/٢٠ » .

وعندما ماتت سارة قال ابراهيم لبني حث « **انا غريب ونزيل عندكم . اعطوني ملك قبر لادفن ميتي** » فقالوا له « في افضل قبورنا ادفن ميتك » . غير ان ابراهيم طلب مغارة « المكفيلة » بثمن . فاجاب صاحبها « عفرون » بكرم ونبل وشهامة وسمو كنعاني « لا يا سيدي . اسمعني . **الحقل وهبتك اياه ، والمغارة التي فيه لك وهبتها . تكوين ٢٣/ ١١** » .

كانت مجزرة شكيم قبل الرحيل الى مصر . اما بعد الخروج من مصر ، وبعد التبدي في صحراء سيناء اربعين عاما ، فقد كانت الهجمة على ارض كنعان اشد شراسة واضرى حقدا واكثر وحشية .

موسى ويهوه

يخبرنا كاتب العهد القديم بأن يعقوب « اسرائيل » وجميع نفوس بيته ، وعددهم سبعون ، ارتحلوا الى مصر ، لان الجوع كان شديداً في ارض كنعان . وكان يهوه قد بدد الخوف من نفس يعقوب بقوله « لا تخف من النزول الى مصر ، لاني اجعلك امة عظيمة هنا ك. انا انزل معك الى مصر ، وانا اصعدك ايضا . تكوين ٤٦/ ٣ » .

وفي مصر لم يؤكد يهوه ، كعادته في التأكيد ، وعده بتمليكهم ارض كنعان . وينتهي سفر التكوين بقول « يوسف لاخوته : انا اموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض الى الارض التي حلف لابراهيم واسحق ويعقوب . تكوين ٥٠/٢٤ » . ليطلع علينا سفر الخروج بخبر مفاده ان ملك مصر مات ، فتنهد بنو اسرائيل من العبودية . وصرخوا « فسمع الله انينهم ، وتذكر ميثاقه مع ابراهيم واسحق ويعقوب . خروج ٢٤/٢ » . فاختار الرب موسى ، نبيا وقائدا ، وناداه قائلا : « انا اله ابيك ، اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب . فغطى موسى وجهه ، لانه خاف ان ينظر الى الله .. فقال الرب : اني قد رايت مذلة شعبي .. **فنزلت**

لانقذهم من ايدي المصريين .. واصعدهم الى ارض جيدة وواسعة ، الى ارض تفيض لبنا وعسلا . الى مكان الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين .. فالان هلم فارسلك الى فرعون وتخرج شعبي بني اسرائيل من مصر . خروج ٦/٣ » .

« تذكر ميثاقه .. » . وهل ينسى الله ؟

وهل ظهر الله لموسى حتى خاف موسى من النظر اليه ؟

وهل ينزل الله من السماء ؟ وكيف ؟ واي مركبة فضائية تحمله الى الارض ؟

« اصعدهم الى مكان الكنعانيين » .. واين يريد الله ان يقذف بهذه الشعوب من ارضها ، ليضع مكانها شعبه الخاص ؟ في البحر .. في القفار .. في القطب الشمالي .. الجنوبي .. ليت ..

وهل عند اله التوراة غير قانون واحد ، حكم به على هذه الشعوب ؟ الحرق والابادة .

عاد موسى الى مصر لتحرير الاسرائيليين المستعبدين . فقد عمل الفرعون على تسخيرهم في بناء المعابد واقامة القلاع وشق الطرقات . فثاروا عليه . فحاول الفرعون اذلالهم واخضاعهم حتى يذعنوا له الطاعة .

وعندما وصل موسى الى مصر كان عقل هذه الثورة وقلبها . وحين صار لكلامه فعل السحر في نفوسهم ، قادهم تحت جنح الظلام هربا من مصر . وبقي يتبدى في صحراء سيناء مدى اربعين عاما ، مشيعا بين اتباعه ، بطريقة الفرض والاقناع ، ان للسماء الها اقوى من الهة المصريين . وان هذا الاله سيخلص القبائل العبرية من العبودية ، ويمدها بأرض فلسطين .

وبقي يضرب في التيه . يدرب رجاله على القتال ، ويربي فيهم جيلا شابا قويا ، يستطيع ان يغزو بلاد كنعان ، ويحتلها ، او يحتل قسما منها . وقد ادرك موسى بثاقب بصره وبعد نظره ، ان خير وسيلة ترفعه الى النفوذ والملك وتؤدي به الى المجد والسلطان ، هي في تجميع اليهود في وحدة سياسية — دينية . اي وحدة سياسية يجمع شملها الدين . ووحدة دينية ، هدفها تحقيق الاغراض السياسية . فقرر أن يكون جيشا من الجماعات اليهودية ، التي تبعته في خروجه من مصر . يقوده للاستيلاء على اراضي الشعوب الاخرى ، وفرض السيطرة عليهم . فوجد من الضرورة ان يكون لجماعته اله ، يرعاهم ، ويطعمهم ، ويحميهم ، ويخطط لهم في المعارك ، ويقودهم في الحروب . ووجد ان خير الصفات تكون لهذا الاله هي الغضب ، والحقد ، والاغتباط بسفك الدماء . واشعال نار الحروب ، ونصر شعب او جيش على اخر ، والانتشاء برائحة المحرقات ، وسحق كل الشعوب المعارضة لحكمه . طبيعي بقوته الالهية . ويكون بينه وبين اتباعه نوع من المنفعة المتبادلة . فهم يعبدونه ويقدمون له الذبائح والقرابين . وهو ينصرهم في الحروب ، ويملكهم اراضي الامم .

وهذه الصفات هي ، في الغالب ، صفات موسى . اعطاها لربه وقاد بها اتباعــه .

فموسى حين حاول ان يجمع قومه بيهوه ، كان من الطبيعي ان يجعل منه الها قوميا خاصا بهم . يخضعونه لاشباع رغباتهم . ويجعلون منه قائدا يعمل على تحقيق نزواتهم . مما ادى الى انكار الهة الامم الاخرى . فاعتبروا الامم ، رجسا ونجاسة . وكذلك الهتهم . وانغلقوا على انفسهم وعلى الههم . منشأ عن ذلك في نفوسهم اعتقاد بأنهم شعب الله المختار .

« ثم كلم الله موسى ، وقال له : انا يهوه . وانا ظهرت لابــراهيم واسحق ويعقوب باني الاله القادر على كل شيء . واما باسمي يهوه فلم اعرف عندهم . وايضا اقمت معهم عهدي أن أعطيهم ارض كنعان ، ارض غربتهم التي تغربوا فيها .. وانا ايضا قد سمعت انين بني اسرائيل الذين يستعبدهم المصريون ، وتذكرت عهدي . لذلك قل لبني اسرائيل : انا يهوه . وانا اخرجكم من تحت اثقال المصريين .. واتخذكم لي شعبا واكون لكم الها .. وادخلكم الى الارض التي رفعت يدي ان اعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب . اعطيكم اياها ميراثا . انا يهوه . خروج ٣/٦ » .

انــــا يهـــوه .

ومـــن هو يهـــوه (١٧) ؟

لا يعنينا هنا البحث في طبيعة يهوه ، واخلاقه ، وصفاته (١٨) . او التطور الذي طرأ على فكرة الاله عند بني اسرائيل ، في مراحل حيــاتهم المختلفة . ولا يهمنا تقصي المصدر او المصادر التي استقى منها موسى فكرة الاله يهـــوه .

ويكفي ان نعلم انه اله حرب اقليمي ، قبلي . مثله مثل الهة القبائل او الممالك الاخرى ، المنتشرة في الشرق القديم . اتخذه موسى الها ، وجعله ينطق بما يشاء . ويضع الاوامر والاحكام على لســـانه لتكتسب صفة المقدس . وفرض عبادته على قومه بني اسرائيل بالارهاب المصحوب بالقتل والتذبيح . فعندما كان موسى مجتمعا بالرب في جبل سيناء « ورأى الشعب

---

١٧ ـــ ورد تفسير هذا اللفظ في هامش الفصل الثالث من سفر الخروج كما يلي : « يهوه : هو في العبرانية اسم علم للاله الحقيقي . معناه يكون . وقد ترجم في هذه الترجمة بلفظة رب » .

فلفظة رب ، والله ، واله ، ويهوه ، الواردة في كتاب العهد القديم ، ذات دلالة واحدة . وكلها اسماء لمسمى واحد : يهوه ، اله القبيلة الاسرائيلية .

١٨ ـــ قصرت بحثي في هذا الكتاب على الارض . اما يهوه ، اله التوراة . صفاته ، خلقه .. وشرائعه ، فهي مدار بحثنا في الكتاب القادم .

ان موسى ابطأ في النزول من الجبل . اجتمع الشعب على هرون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا . خروج ١/٣٢ » . « **ثم اعطى الرب موسى ، عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء ، لوحي الشهادة . لوحي حجر مكتوبين باصبع الله** .. وقال له : اذهب انزل ، لانه قد فسد شعبك الذي اصعدته من ارض مصر .. صنعوا لهم عجلا مسبوكا ، وسجدوا له .. **فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وافنيهم** .. فتضرع موسى امام الرب الهه ، وقال : لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي اخرجته من ارض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة ؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين : اخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ، ويفنيهم عن وجه الارض ؟ ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل ، عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم اكثر نسلكم كنجوم السماء ، واعطي نسلكم كل هذه الارض ، التي تكلمت عنها . فيملكونها الى الابد . فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه . خروج ١/٣٢ » .

ـــ كان من المتعارف عليه ، في تلك الازمان ، ان لكل قبيلة الها . يسير امامها ، يعمل لمساعدتها ، ويسهر على رعايتها . ينصرها في الحروب ويطرد من امامها الاعداء . وعندما طالت غيبة موسى نسيه قومه ، ونسوا الهه . وطلبوا من هرون ان يصنع لهم الهة اخرى .

ـــ اله موسى كتب لوحي الشهادة باصبعه ..! واخرجهم بخبث من مصر ..! وندم على الشر الذي نواه ..!

ـــ ويهوه كان ينطق بلسان موسى حين قال : اتركني ليحمى غضبي عليهم ، فافنيهم . فخاطبه موسى بلهجة هي اقرب الى التأنيب منها الى العتاب . وحذره من مغبة الغضب الذي ظهر عليه . فقد يصبح مضغة في فم المصريين الذين يقولون متشفين : اخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال .

وعندما قال موسى ليهوه : ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . كان يرمي الى الظهور امام قومه ، بمظهر المنقذ لهم من غضب يهوه وشره . ويرمي الى تأليف قلوبهم بيهوه ، وسوقهم غنما لعصاه ، وجنودا تحت لوائه .

واذا كان الرب قد ندم على الشر الذي نواه . فان موسى واتباعه شنوا هجوما على العصاة ، الذين رفضوا يهوه ، وعبدوا العجل ، فيما هم نيام في خيامهم . وذبحوا منهم اربعة عشر الف رجل غدرا . وقد تكررت هذه المذابح اكثر من مرة .

ثم ان النفس المتصلبة ، القاسية . وروح العنف والحقد التي كانت لموسى . اعطاها ليهوه . فاذا به اله قاس ، مرعب ، حقود ، منتقم ، غيور ، كموسى نفسه ، وصاحب نفسية بدوية ، تشتعل بالثأر والانتقام . يسير امام المحاربين لانه رب الجنود ، ويأمر بتدمير المدن ، وتذبيح البشر ،

في هجمات بربرية وحشية . يبدو يهوه الموسوي ذا نفسية همجية ، لا يخالجها شعور بشفقة او حنان . وانما هي أتون نار ، يضطرم بالحقد والبغض وضراوة الانتقام . تأمر بالقتل والتذبيح والتدمير .

ويهوه ابدا الى جانب موسى . يحثه على الاغارة على المدن الكنعانية العامرة بالحضارة الانسانية ، لتدميرها وافناء شعوبها .

ومنذ اتخذ بنو اسرائيل يهوه الها لهم ، جعلوه الها غاضبا ، ظالما ، قاسيا . يسر لرائحة المحرقات ، وينتشي برائحة الدم . ومنذ بدأ يهوه حياته الرعوية لهذا الشعب ، اعطاهم نموذجاً من حياته ، حين قبل ذبيحة هابيل التي تثير شهواته وتروي نفسه المتعطشة للدم . ورفض تقدمة قايين المتواضعة التي لا اثر للدم فيها .

فالتوراة تحدثنا بأن ابني آدم وحواء : هابيل ، وقايين . كان الاول راعيا للغنم . وكان الثاني عاملا في الارض . « وحدث من بعد ايام أن قايين قدم من اثمار الارض قربانا للرب . وقدم هابيل أيضا من ابكار غنمه ومن سمانها . **فنظر الرب الى هابيل وقربانه** . ولكن الى قايين وقربانه لم ينظر . تكوين ٤/٣ » .

فيهوه يفضل تقدمة هابيل ، لانه اله الحقد والرعب والدم . يغتبط بمشاهد الذبح ، وينتشي برائحة الدم والمحرقات .

ويبدو ان موسى كان ينسى ، او قل كان يعجز احيانا عن تحقيق الوعود التي يقطعها على نفسه لقبيلته . فينسب الى يهوه النسيان . وكان موسى وحده القادر على الاتصال بيهوه ومحادثته ، وبالتالي تذكيره بوعوده . فيصعد الى يهوه ، او ان يهوه ينزل اليه ، كلما شعر موسى ان في نفسه وفي جنده قوة وعزما على تحقيق وعد .

وقد بر يهوه ، او موسى . لا فرق . فهما اسمان لحقيقة او شخصية واحدة . بر بقسمه . وأخرجهم من مصر بعدما انزل بأهلها سلسلة من الكوارث والويلات تقشعر لها الابدان . وفعل من العجائب ما اهله لأن « **يتمجد بفرعون وبجيشه . ويعرف المصريون اني انا يهوه** . خروج ١٤/٤ » .

وقبل ان يدخلهم الى الارض التي رفع يده مقسما ، ان يعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب . قال لموسى « ان ملاكي يسير امامك ، ويجيء بك الى الاموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين ، فابيدهم . لا تسجد لالهتهم ، ولا تعمل كاعمالهم .. ارسل هيبتي امامك ، وازعج جميع الشعوب الذين تاتي اليهم . واعطيك جميع اعدائك مدبرين . **وارسل امامك الزنابير .. لا اطرد الشعوب من امامك في سنة واحدة ، لئلا تصير الارض خربة . فتكثر عليك وحوش البرية** . قليلا قليلا اطردهم من امامك الى ان تثمر ، وتملك الارض ، **واجعل تخومك من بحر سوف الى بحر فلسطين ومن البرية الى النهر . فاني ادفع الى ايديكم سكان الارض** .

فتطردهم من امامك . لا تقطع معهم عهدا . خروج ٢٣/٢٣ » .

ومتى كانت هذه الشعوب اعداء لموسى ، او لبني اسرائيل ؟ فليس هناك ما يشير الى اي موقف عدائي بين القبيلة الاسرائيلية وبين الشعوب الكنعانية .

الا يعني هذا ان اليهود كانوا ينوون الاستيلاء على الارض . فجعلوا من شعوبها اعداء لهم . ونسبوا الى الههم يهوه فرضه عليهم طريقة التعامل مع اهل كنعان : لاعهد ، لا تعامل ، لا تعايش . بل استئصال أرومتهم واستملاك اراضيهم .

وفي صحراء سيناء « **كلم يهوه موسى قائلا : ارسل رجالا ليتجسسوا** ارض كنعان التي انا معطيها لبني اسرائيل . عدد ١/١٣ » .

رب سائل : لمَ التجسس ، ما دام يهوه قد وعدهم ، وقطع معهم عهدا بتمليكهم الارض ؟ اليس هو الاله القادر على كل شيء ؟ الا يستطيع ابادة الشعوب اصحاب الارض بلمحة بصر . ويعطي الارض الى شعبه المختار ؟

وعلى ابواب الارض ، احس موسى بقوة الجيوش الكنعانية ، وبحضارة اهل كنعان ، بواسطة جواسيسه ، او بالمناوشات البسيطة مع اهل البلاد آن يغير على بعض الثغور . فبدأ يعاني من مرارة الحقد ، تتلمظها شفاه نفسه . وبسيف الكراهية الكليل ، يسلطه على رقاب الشعوب الكنعانية .

فيضع على لسان الهه « يهوه » ما يناسب الحالة النفسية التي يعانيها . والامل الاهوج الذي يترنح في اعماق ذاته .

وراح يهوه بدوره ، يعد مختاريه باستعباد الشعوب . وكأنه تعبير عن ردة فعل معاكسة لشعورهم بالاضطهاد والتنكيل الذي عانوه . والعبودية التي ذاقوا مرارتها ، في بابل وفي مصر . ويغرس في نفوسهم بذور الحقد على الكنعانيين . لان موسى ارتد خائبا عن ارضهم . ولانهم اصحاب مجد وحضارة .

وبعد خروجهم من مصر تسنم يهوه مركز القيادة . فقد « كلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع ، في اول الشهر الثاني ، في السنة الثانية لخروجهم من ارض مصر ، قائلا : **احصوا كل جماعة بني اسرائيل** .. من ابن عشرين سنة فصاعدا . كل خارج للحرب عدد ١/١ » . وذلك استعدادا لمهاجمة الثغور الكنعانية ، والاستيلاء على الاراضي التي وعدهم بها . ومن ثم يصار الى توزيعها على عشائر اليهود الغازية .

وفي قيادته لبني اسرائيل ، وعدهم بأن يطرد الامم من امامهم . قال لموسى « **يطرد من امامك شعوبا اكبر واعظم منك ، ويأتي بك ويعطيك ارضهم** . تثنية ٣٨/٤ » .

ووعد ان يأتي بهم « **الى مدن عظيمة جيدة لم يبنوها ، وبيوت مملوءة**

كل خير لم يملأوها ، وابار محفورة لم يحفروها . وكروم وزيتون لم يغرسوها . تثنية ٦/١٠ » . ووعدهم ايضا بأن يكون « هو العابر امامهم نارا آكلة ، يبيد الشعوب ، ويذلها . تثنية ٣/٩ » .

فيهوه ما فتيء ، بعد خروجهم من مصر ، يمنيهم بالمعجزات يصنعها امامهم . ويفرد في وجوههم الوعود الوافرة ، بالاغراء والترغيب . كما يسلط على رقابهم سيف الوعيد والتهديد ، اذا هم ضعفوا عن تحقيق « المشيئة الالهية » في الاستيلاء على ارض كنعان ، وافناء اهلها . ومن ثم الاستيطان فيها .

التمـــــرد

انصاع موسى لرغبة يهوه « وارسل جماعة ليتجسسوا ارض كنعان . وقال لهم : انظروا الى الارض ، والشعب الساكن فيها ، اقوي هو ام ضعيف ؟ قليل ام كثير ؟.. وما هي المدن التي هو ساكن فيها ؟ امخيمات ام حصون ؟. عدد ١٣ /١٧ » .

« فصعد الرجال ، وتجسسوا الارض .. ثم رجعوا بعد اربعين يوما .. وقالوا لموسى : ان الشعب الساكن في الارض معتز ، والمدن حصينة ، عظيمة جدا .. وقالوا : لا نقدر ان نصعد الى الشعب ، لانهم اشد منا .. فكنا في اعيننا كالجراد ، وهكذا كنا في اعينهم . عدد ٢١/١٣ »

« فاشاعوا مذمة الارض التي تجسسوها ، في بني اسرائيل قائلين : الارض التي مررنا فيها لنتجسسها هي ارض تأكل سكانها . عدد ٣٢/١٣ » .

فركب الخوف قلوب بني اسرائيل ، واعتراهم الوجل . وتذكروا ما قاسوه من العذاب والجوع . فكفروا بامنيات يهوه المعسولة ووعوده البراقة . وراحوا يتغنون بتمنيات العودة الى مصر « ورفعت كل الجماعة صوتها ، وصرخت . وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني اسرائيل . وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر .. ولماذا اتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف ..

اليس خيراً لنا ان نرجع الى مصر . عدد ١/١٤ » .

وعندما استبد بهم الطوى ، وانهكتهم سياط الحرمان . فكروا بخلع نير موسى عن رقابهم . فائتمروا « وقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا ونرجع الى مصر . عدد ٤/١٤ »

وامام هذه التحديات لموسى ورب موسى . غضب يهوه الموسوي ، واغتاظ من بني اسرائيل المتمردين على موسى ، وسخط عليهم لندمهم على

الخروج من مصر . واعتراه غضب شديد ، لعدم تصديقهم الايات والمعجزات التي صنعها امامهم . وكاد ان يفتك بهم ، كما يبدو في قوله لموسى « حتى متى يهينني هذا الشعب ؟ وحتى متى لا يصدقونني بجميع الايات التي عملت في وسطهم . اني اضربهم بالوباء وابيدهم . عدد ١١/١٤ » . لولا ان تدخل موسى محاولا تهدئة نار الغيظ التي اشتعلت في صدر يهوه ، وتسكين اوار الغضب المتقد في نفسه . مذكرا الرب بانه « طويل الروح ، كثير الاحسان » معاتبا اياه في شيء من اللوم الداني من التانيب ، كما يبدو في قوله له « فان قتلت هذا الشعب ، يتحدث الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين : لان الرب لم يقدر ان يدخل هذا الشعب الى الارض التي حلف لهم ، قتلهم في القفــر .. فالان ، اصفح عن ذنب هذا الشعب . عدد ١٥/١٤ » .

وكأن يهوه قد شعر بخطاه ، وندم علــى ما بدر منــه ، من سخط وغضب . فقال لموسى « قد صفحت حسب قولك . ولكن جميع الرجال الذين راوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر ، وفي البرية ، وجربوني الان عشرات المرات ، ولم يسمعوا لقولي . لن يروا الارض التي حلفت لابائهم . وجميع الذين اهانوني لا يرونها . عدد ٢٠/١٤ » .

« وكلم الرب موسى وهارون قائلا : حتى متى اغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي .. قل لهم .. في هذا القفر تسقط جثثكم .. وبنوكم يكونون رعاة في القفر اربعين سنة .. اما الرجال الذين ارسلهم موسى ليتجسسوا الارض ، واشاعوا المذمة الرديئة على الارض .. فماتوا بالوباء امام الرب . عدد ٢٦/١٤ » .

ترى لماذا غضب يهوه على مختاريه ، وحكم عليهم بالتيهان في صحراء سيناء اربعين عاما ؟

الأن الجماعة الذين ارسلهم موسى لتجسس الارض قالوا : ان الارض تأكل سكانها . واشاعوا مذمة الارض . فثبطوا من عزيمة موسى وعزيمة جنده ؟ ام لانهم تذمروا على يهوه — موسى . وهانت ثقتهم به ؟

ام ان موسى قضى عليهم بالتبدي في صحراء سيناء اربعين عاما ، لانتظار جيل شاب وفتي يقوى على القتال ويصبر على الحرب ؟
أم ..

« ثم بكروا صباحا ، وصعدوا الى راس الجبل قائلين : هوذا نحن نصعد الى الموضع الذي قال الرب عنه . فاننا قد اخطأنا . فقال موسى .. لا تصعدوا لان الرب ليس في وسطكم ، لئلا تنهزموا امام اعدائكم .. انكم قد ارتددتم عن الرب . فالرب لا يكون معكم .. لكنهم صعدوا . وامــا تابوت عهد الرب ، وموسى ، فلم يبرحا من وسط المحلة . فنزل العمالقة والكنعانيون .. وضربوهم وكسروهم . عدد ٤٠/١٤ » .

ولما تأخر موسى بادخال جماعته الى الارض التي وعدهم بها يهوه ،

تمردوا عليه ، وتحسروا على خروجهم من مصر . وانبرى منهم رجلان قالا لموسى « اقليل انك اصعدتنا من ارض تفيض لبناً وعسلاً ، لتميتنا في البرية .. ولم تأت بنا الى ارض تفيض لبنا وعسلا . ولا اعطيتنا نصيب حقول وكروم ..

فاغتاظ موسى جدا وقال للرب : لا تلتفت الى تقدمتهما .. ثم كلم الرب موسى وهارون قائلا : افترزا من بين هذه الجماعة فاني افنيهم في لحظة .. ثم انشقت الارض.. وابتلعتهم .. وخرجت نار من عند الرب واكلت المئتين والخمسين رجلا .. فتذمر كل جماعة بني اسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين : أنتما قد قتلتما شعب الرب .. فكلم الرب موسى قائلا : أطلعا من وسط هذه الجماعة فاني افنيهم في لحظة . فخرّا على وجهيهما . ثم قال موسى لهارون : خذ المجمرة ، واجعل فيها نارا على المذبح ، وضع بخورا . واذهب مسرعا الى الجماعة ، وكفّر عنهم ، لان السخط قد خرج من قبل الرب . قد ابتدأ الوباء . فأخذ هارون ، كما قال موسى وركض الى وسط الجماعة . واذا الوباء قد ابتدأ في الشعب . فوضع البخور وكفّر عن الشعب . ووقف بين الموتى والاحياء . فامتنع الوباء . فكان الذين ماتوا بالوباء اربعة عشر الفا وسبع مئة . عدد ١٦/١٢ » .

وهل كانت ارض مصر تفيض لبنا وعسلا ، كما قالوا لموسى ؟

اذن . لماذا خرجوا منها ؟

وكيف يدّعي يهوه بأنه « سمع انين بني اسرائيل ، الذين يستعبدهم المصريون .. فنزل ليخرجهم من تحت اثقالهم » . ما داموا يتحسرون على خروجهم من مصر ، ارض العسل واللبن . ويتمنون العودة اليها والموت فيها . وبلغ بهم التحسر والندم حدا جعلهم يأتمرون لخلع نير موسى عن اعناقهم ، وترئيس آخر يعود بهم الى مصر .

ولماذا تذمروا وتمردوا على موسى ، واله موسى ؟ ألأنهما لم يأتيا بهم الى ارض تفيض لبنا وعسلا ؟ ام لان الجواسيس اشاعوا مذمة الارض . فاعترى الوجل نفوسهم وقصم الخوف ظهورهم ؟.

ولماذا لم يصدقوا الايات التي عملها الرب في وسطهم ؟ كما قال عن نفسه . وضاق ذرعا بهم وباهانتهم له ، فقرر ان يفنيهم في لحظة . ولو لم يسرع هارون بالمبخرة ، ويقف بين الموتى وبين الاحياء لكان الوباء قضى عليهم .

لماذا ؟

على ابواب الارض

وعندما وصلوا الى تخوم ارض كنعان « ارسل موسى رسلا من قادش الى ملك ادوم قائلا : دعنا نمر في ارضك . لا نمر في حقل ولا في كرم ، ولا نشرب ماء بئر .. لا نميل يمينا ولا يسارا ، حتى نتجاوز تخومك . فقال له ادوم : لا تمر بي لئلا اخرج للقائك بالسيف .. وابى ادوم ان يسمح

لاسرائيل بالمرور في تخومه . فتحول اسرائيل عنه . عدد ٢٠/ ١٤ » .
« ولما سمع الكنعاني ملك عراد ، الساكن في الجنوب ، ان اسرائيل جاء في طريق « اتاريم » ، حارب اسرائيل ، وسبى منهم سبيا . عدد ١/٢١ » .

وعادوا الى الشكوى والتذمر « وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا اصعدتمانا من مصر لنموت في البرية . لانه لا خبز ولا ماء » . فكان من الطبيعي ان يسخط عليهم يهوه ، لانهم يخالفون مشيئته ، ويتمردون عليه وعلى صفيه موسى . « **فارسل الرب على الشعب الحيات المحرقة** ، فلدغت الشعب . فمات قوم كثيرون من اسرائيل » .

وكان من الطبيعي ان يعود الشعب عن تمرده وعصيانه . « فأتوا الى موسى وقالوا : قد اخطأنا اذ تكلمنا على الرب وعليك . فصل الى الرب ليدفع عنا الحيات » . ومن البديهي ان يستجيب لهم موسى « فصلى لاجل الشعب » . ومن البديهي ايضا ان يغفر لهم رب موسى ، ويستجيب لطلبهم . « فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة ، وضعها على راية . فكل من لدغ ، ونظر اليها يحيا . **فصنع موسى حية من نحاس ، ووضعها على الراية . فكان متى لدغت حية انسانا . ونظر الى حية النحاس ، يحيا .** عدد ٥/٢١ » .

راينا ان اول مجزرة ارتكبوها في ارض كنعان قبل الرحيل الى مصر ، كانت **مجزرة شكيم** . اما بعد الخروج من مصر ، وبعد التبدي في صحراء سيناء اربعين عاما ، فقد كانت الهجمة على ارض كنعان اشد شراسة واضرى حقدا واكثر وحشية .
وعلى ابواب الارض بدأوا ينفذون حرب التحريم والابادة والافناء . وكانهم كانوا يعبرون ، بالحروب الوحشية ، عن ضراوة الحقد الذي يغتلي في صدورهم على الشعوب الكنعانية ، التي قطعت شوطا بعيدا في العمران ، والحضارة الانسانية . بينما عانوا من التسخير في ارض مصر مدى اربعمائة سنة . وعاشوا جيلا يتبدون في صحراء سيناء . سلاحهم الحقد والانتقام ، وهمهم تدمير حضارة الامم . لان الشعور بالضعف ، ومعاناة العبودية ، والتخلف . ترك في نفوسهم عقدة لا يحلها غير التذبيح والتحريم وشرب دماء الامم .
وكان اول نذر وحشي لهم حين حاربهم الكنعاني ملك عراد . « فنذر اسرائيل نذرا للرب ، وقال : **لئن دفعت هؤلاء القوم الى يدي احرم مدنهم** . عدد ٢/٢١ » . وكان من الطبيعي ان يستجيب يهوه ، اله الحقد والرعب والدم ، لهذا النذر . « **ودفع الكنعانيين . فحرموهم ومدنهم** . عدد ٣/٢١ » .

ثم ارسل اسرائيل الى سيحون ملك الأموريين قائلا : دعني امر في ارضك . لا نميل الى حقل ولا الى كرم ، ولا نشرب ماء بئر .. فلم يسمح سيحون لاسرائيل بالمرور في تخومه .. بل حارب اسرائيل . فضربه اسرائيل بحد السيف ، وملك ارضه . عدد ٢١/٢١ » .

قد تسال : لماذا لم يسمح لهم هؤلاء الملوك بالمرور في اراضيهم ؟ الانهم « **شعب لا ينام حتى ياكل فريسة ، ويشرب دم قتلى** . عدد ٢٣/٢٤ » . ام لانه ، بتعبير بالاق بن صفور ملك موءاب ، « **يلحس كل ما حولنا ، كما يلحس الثور خضرة الحقل** . عدد ٢٢/٤ » .

ام لان ملوك كنعان شعروا بالحقد يغتلي في نفوس بني اسرائيل ، وبشهوة الانتقام تضطرم في صدورهم ؟ وادركوا ان هذه القبيلة الهمجية مقبلة على حرب تحريم وابادة ؟

ام ..

« ثم تحولوا ، وصعدوا في طريق باشان . فخرج عوج ملك باشان للقائهم .. فقال الرب لموسى : لا تخف منه ، لاني قد دفعته الى يديك ، مع جميع قومه وارضه . فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الاموريين .. **فضربوه وبنيه وجميع قومه ، حتى لم يبق لهم شارد** . وملكوا ارضه . عدد ٢١/٢٣ » .

« واقام اسرائيل في شطيم . وابتدا الشعب يزنون مع بنات موءاب . فدعون الشعب الى ذبائح الهتهن . فأكل الشعب ، **وسجدوا لآلهتهن** .. وجاء رجل من بني اسرائيل ، وقدم الى اخوته المديانية امام عيني موسى واعين كل جماعة بني اسرائيل ، وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع . فلما راى ذلك فينحاس الكاهن اخذ رمحا .. وطعن الرجل والمراة . فامتنع الوباء عن بني اسرائيل . وكان الذين ماتوا بالوباء اربعة وعشرين الفا . عدد ١/٢٥ » .

فالحادثة ، كما ترى ، بسيطة : تعلق اسرائيلي ببغي من اهل مديان . استطاعت ان تغويه مع بعض الشبان الاسرائيليين ، حتى جعلتهم يسجدون لبعلها . ومع ان كاهنا وثب على الشاب والبغي وقتلهما . لكن قتلهما لم يشف غليل يهوه . فامر موسى بالانتقام . وكان الانتقام رهيبا . فقد« كلم الربموسى قائلا: انتقمنقمة لبني اسرائيل من المديانيين.. فتجندوا على مديان ، كما امر يهوه ، **وقتلوا كل ذكر ، وملوك مديان قتلوهم** .. وسبى بنو اسرائيل نساء مديان واطفالهم . ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم ، **واحرقوا جميع مدنهم** . عدد ١/٣١ » .

وكان كل هذا القتل والتحريم والسبي والنهب لم يطفيء لهيب الحقد في صدر موسى . بل « سخط على وكلاء الجيش .. لانهم ابقوا كل انثى حية .. وقال لهم : **الان اقتلوا كل ذكر من الاطفال . وكل امراة عرفت رجلا ، اقتلوها** . عدد ١٤/٣١ » .

فهذه الحادثة ، تعلق اسرائيلي بمديانية ، جرت الابادة والتدمير على كل مديان . اما بغي اريحا فقد امر يهوه بابقائها حية ، وافناء جميع اهل اريحـــا .

ومما يجدر ذكره ان موسى لجا الى مديان حين هرب من مصر . وتزوج منبنت كاهنها. وهذا الكاهنقدم نصائحجليلة لموسى. ووفد اليه بعد خروجه من مصر وتبديه في صحراء سيناء ، مرحبا به وببني اسرائيل ،

مظهرا استعداده لخدمتهم . وليس في الاسفار ما يشير الى اي موقف عدائي بين موسى وبين اهل مديان . فهل كانت المراة المديانية هي السبب في الغزو والفتك والتدمير والسلب والسبي ، بقسوة وحشية وعنف بربري ؟ أم هي ضراوة الحقد والانتقام في صدر موسى . تمثلت في هجمات وحشية على شعوب كنعان ؟

ثم « كلم الرب موسى .. قائلا : انكم عابرون الاردن الى ارض كنعان . فتطردون كل سكان الارض . لاني قد اعطيتكم الارض لكي تملكوها .. وان لم تطردوا سكان الارض من امامكم ، يكون الذين تستبقون منهم اشواكا في اعينكم ومناخس في جوانبكم . عدد ٣٣/٥٠ » .

فقديما كانت شريعة يهوه تقضي بتنظيف الارض من سكانها . وحديثا بقيت الشريعة ذاتها ، تفعل في نفوس اليهود ، ما كانت تفعله في القرن العاشر قبل الميلاد .

قال موشيه منوحن « طبعوا في قلوبنا الفتية ، بالترديد المتواصل ، ان ارض الوطن يجب ان تصبح لنا مطهرة من الاجانب » . (١٩)

وحين شرد اليهود قرابة مليون عربي من موطنهم ، فلسطين عام ١٩٤٨ ، هتف بن غوريون « لقد نظفت البلاد بشكل رائع ، ومهدت لاسرائيل ، باعجوبة ، مهمتها الشاقة » (٢٠) .

وفي سفر التثنية يلخص الكاتب احداث بني اسرائيل ، التي فصلها في السفر السابق « العدد » . وكأنه يهدف ، من خلال عرض الجوانب ، الى لوم بني اسرائيل ، وتأنيبهم ، لتخاذلهم وتقاعسهم عن تنفيذ ما امر به يهوه . محاولا ان يبث في صدورهم شيئا من انفاس العزيمة والجراة . مرغبا اياهم في اقتحام ارض كنعان ..

يقول الكاتب ، في مستهل السفر ، انه في السنة الاربعين لخروج بني اسرائيل من مصر « ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا : يهوه الهنا كلمنا في حوريب قائلا : كفاكم قعود في هذا الجبل . تحولوا وارتحلوا ، وادخلوا جبل الاموريين ، وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر . ارض الكنعاني ولبنان الى النهر الكبير ، نهر الفرات . انظر قد جعلت الارض امامكم . ادخلوا ، تملكوا الارض التي اقسم الرب لابائكم ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم . تثنية ١/٥ » .

---

19) Moshe Menuhim: «The Decadence of Judaism In Our Time». The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1969. P. 50.

وموشيه منوحن علم من اعلام اليهود في امريكا . عندما ظهر كتابه هذا استولى اليهود على جميع نسخه ، ووجهوا الى المؤلف والناشر كتب التهديد . حتى احجما عن اعادة طبعه . ومنوحن هذا تخرج وليفي اشكول في كلية هرتسيليا في يافا — تل ابيب .

٢٠ — اسرار المؤامرة الصهيونية — عبد الله النجار — ص ٥٩ .

ويتابع موسى شارحا شريعة يهوه ، القاضية بتمليك اتباعه بني اسرائيل ، ارض الكنعاني ولبنان . فيقول « ثم ارتحلنا من حوريب ، وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف، الذي رايتم في طريق جبل الاموريين، كما امرنا الرب الهنا . وجئنا الى قادش. فقلت لكم قد جئتم الى جبل الاموريين الذي اعطانا الرب الهنا . انظر قد جعل الرب الهك الارض امامك . اصعد ، تملك ، كما كلمك الرب اله آبائك . لا تخف ولا ترتعب . فتقدمتم الي جميعكم وقلتم دعنا نرسل رجالا قدامنا ليتجسسوا (٢١) لنا الارض ، ويردوا لنا خبرا عن الطريق التي نصعد فيها ، والمدن التي ناتي اليها .. فأخذت منكم اثني عشر رجلا .. فصعدوا الى الجبل وتجسسوه .. لكنكم لم تشاءوا ان تصعدوا . وعصيتم قول يهوه الهكم . وتمرمرتم في خيامكم . وقلتم : الرب بسبب بغضته لنا قد اخرجنا من ارض مصر ، ليدفعنا الى ايدي الاموريين لكي يهلكنا . الى اين نحن صاعدون ؟ قد اذاب اخوتنا قلوبنا ، قائلين : شعب اعظم واطول منا . مدن عظيمة محصنة الى السماء . فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم . الرب الهكم السائر امامكم هو يحارب عنكم ، حسب كل ما فعل معكم في مصر امام اعينكم . وفي البرية حيث رايت كيف حملك الرب الهك كما يحمل الانسان ابنه ، في كل الطريق التي سلكتموها ، حتى جئتم الى هذا المكان . ولكن في هذا الامر لستم واثقين بالرب الهكم السائر امامكم في الطريق ، ليلتمس لكم مكانا لنزولكم ، في نار ليلا ليريكم الطريق التي تسيرون فيها ، وفي سحاب نهارا . وسمع الرب صوت كلامكم ، فسخط ، واقسم قائلا : لن يرى انسان من هؤلاء الناس ، من هذا الجيل الشرير ، الارض الجيدة التي اقسمت ان اعطيها لابائكم .. وعلي ايضا غضب الرب بسببكم قائلا : وانت ايضا لا تدخل الى هناك . يشوع بن نون الواقف امامك هو يدخل الى هناك . شدده لانه هو يقسمها لاسرائيل . واما اطفالكم .. فهم يدخلون الى هناك ، ولهم اعطيها ، وهم يملكونها .

فأجبتم وقلتم لي قد اخطأنا الى الرب . نحن نصعد ونحارب .. فقال الرب لي : قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا ، لاني لست في وسطكم ، لئلا تنكسروا امام اعدائكم . فلم تسمعوا .. وصعدتم الى الجبل ، فخرج الاموريون .. للقائكم ، وطردوكم كما يفعل النحل ، وكسروكم . تثنية ١/١ » .

وفي الفصل الثاني يتابع موسى حديثه ، معيدا على مسامعهم ما فعلوه ، مذكرا اياهم بما فعله يهوه لاجلهم . يقول « ثم تحولنا وارتحلنا الى البرية على طريق بحر سوف . كما كلمني الرب . ودرنا بجبل سعير اياما

---

٢١ — نسي كاتب التوراة ما ذكره سابقا في الفصل الثالث عشر من سفر العدد ، من ان يهوه هو الذي طلب الى موسى ارسال الجواسيس الى ارض كنعان ، في قوله « ثم كلم الرب موسى قائلا : ارسل رجالا ليتجسسوا ارض كنعان .. » بينما يذكر الكاتب هنا ان رجال موسى هم الذين طلبوا اليه ارسال الجواسيس .

كثيرة . ثم كلمني الرب قائلا : كفاكم دوران بهذا الجبل . تحولوا نحو الشمال .. ثم تحولنا ومررنا في طريق برية موءاب . فقال لي الــرب .. الان قوموا واعبروا وادي زارد .. والايام التي سرنا فيها من قادش حتى عبرنا وادي زارد كانت ثماني وثلاثين سنة . حتى فني كل الجيل .. كمـــا اقسم يهوه لهم . ويد الرب كانت ايضا عليهم لابادتهم .. ثم كلمني الرب قائلا : قوموا ارتحلوا ، واعبروا وادي ارنون ، فقد دفعت الى يدك ملك حشبون الاموري وارضه . ابتدىء تملك ، واثر عليه حربا . في هذا اليوم ابتدىء اجعل خشيتك وخوفك امام وجوه الشعب تحت كل السماء . الذين يسمعــون خبــرك يرتعدون ، ويجزعــون امامك » .

وهكذا « دفع يهوه الهنا امامنا ملك حشبون . فضربناه وبنيه وجميع قومه . واخذنا كل مدنه في ذلك الوقت ، وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء الاطفال . لم نبق شارداً . تثنية ٢ » .

وفي الفصل الثالث يتابع موسى سرد اخبار حروبهم وايامهم على ابواب الارض . فيقول « ثم تحولنا وصعدنا في طريق باشان .. فدفع يهوه الهنا الى ايدينا عوج ملك باشان ، وجميع قومه . فضربناه حتى لم يبق لـــه شارد . واخذنا كل مدنه .. فحرمناها .. الرجال والنساء والاطفال .. واخذنا في ذلك الوقت من يد ملكي الاموريين الارض التي في عبر الاردن .. وامرت يشوع في ذلك الوقت قائلا : عيناك ابصرتا كل ما فعل الرب الهكم بهذين الملكين . هكذا يفعل الرب بجميع الممالك التي انت عابر اليها . لا تخافوا منهم لان الرب الهكم هو المحارب عنكم .

وتضرعت الى الرب في ذلك الوقت قائلا : يا سيد يهوه . انت قد ابتدأت تري عبدك عظمتك ويدك الشديدة . فانه اي اله في السماء وعلى الارض يعمل كاعمالك وكجبروتك . دعني اعبر وارى الارض الجيدة التي في عبر الاردن . هذا الجبل الجيد ، ولبنان لكن الرب غضب علي بسببكم ، ولم يسمع لي . بل قال لي الرب كفاك . لا تعد تكلمني ايضا في هذا الامر . اصعد الى راس الفسجة وارفع عينيك الى الغرب والشمال والجنــوب والشرق ، وانظر بعينيك . لكن لا تعبر هذا الاردن . واما يشوع فأوصه وشدده وشجعه لانه هو يعبر امام هذا الشعب . وهو يقسم لهم الارض التي تراها . تثنية ٣ » .

وصايا يهـــوه

وعندما شعر موسى بعجزه ، واحس بدبيب الموت يسري في عروقه . راح يشجع قبيلته على غزو الارض ، ويبــث في نفــوس قومه الشعور بالشجاعة ، والصبر ، واحتمال المكاره . ويطلب اليهم العمل بالفرائض والاحكام التي لا توحي بغير الدخول الى الارض ، وابادة سكانها ، ومن ثم احتلالها .

فكاتب العهد القديم يبدأ الفصل الرابع بقوله « فالان يا اسرائيل اسمعوا الفرائض والاحكام التي انا اعلمكم ، لتعملوها ، لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الارض التي الرب اله ابائكم يعطيكم . تثنية ٤ » .

وبعد أن يعدد الكاتب بعض بنود هذه الشريعة (٢٢) . يقول موسى « وهذه هي الوصايا والفرائض والاحكام التي امر الرب الهكم ان اعلمكم ، لتعملوها في الارض التي أنتم عابرون اليها لتمتلكوها .. الارض التي حلف لابائك ابراهيم واسحق ويعقوب ، ان يعطيك . الى مدن عظيمة جيدة لم تبنها . وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها . وابار محفورة لم تحفرها . وكروم وزيتون لم تغرسها .'. فاحفظوا وصايا يهوه الهكم .. لكي تدخل وتمتلك الارض الجيدة التي حلف الرب لابائك ان ينفي جميع اعدائك من امامك . تثنيـــة ٦ » .

وعلى ابواب الارض ، يؤكد شريعته القاضية بابادة الشعوب التـــي يظفرون بها ، وافناء العشائر التي ينالونها . ويفرض عليهم الا يعاهدوا احدا . اما وصاياه واحكامه ، فكانت بلسان موسى في قوله « متى اتى بك الرب الهك الى الارض التي انت داخل اليها لتمتلكها . وطرد شعوبا كثيرة من امامك : الحثيين والجرجاشيين والاموريـــين والكنعانيـــين والفرزيين والحويين واليبوسيين . سبع شعوب اكثر واعظم منك . ودفعهم الرب الهك امامك ، وضربتهم . فانك تحرمهم . **لا تقطع لهم عهداً ، ولا تشفـــق عليهـــم** . تثنية ٧ »

ويتابع موسى مخاطبا قومه ، في محاولة لتبديد المخاوف من نفوسهم . يذكرهم بما فعله يهوه لاجلهم من اعاجيب ومعجزات ، وبما سيفعله حـــين يدخلون الارض . عاقدا في صدورهم الايمان بأن يهوه ابدا معهم . يرافقهم في ترحالهم . يحارب معهم ، ويطرد الاعداء من امامهم . قال موسى « تأكل كل الشعوب الذين الرب الهك يدفع اليك . لا تشفق عيناك عليهم .. وان قلت في قلبك : هؤلاء الشعوب اكثر مني . كيف اقدر ان اطردهم ؟ فلا تخف منهم . اذكر ما فعله يهوه الهك بفرعون وبجميع المصريين .. هكذا يفعل يهوه الهك بجميع الشعوب التي انت خائف من وجهها . يرسل الزنابـــير عليهم حتى يفنى الباقون . لا ترهب وجوههم ، لان يهوه الهك في وسطك . اله عظيم ومخوف .. يطرد هؤلاء الشعوب من امامك قليلا قليلاً . لا تستطيع ان تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية . يدفعهم الرب الهك امامك ، ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا . ويدفع ملوكهم الى يدك ، فتمحو اسمهم من تحت السماء . لا يقف انسان في وجهك حتى تفنيهم . تثنية ١٧/٧ » .

ثم يرغبهم موسى بالارض وخيراتها . ويذكرهم بأكلهم الخبز بالذل والمسكنة . متخذا من هذا التذكير بماضيهم القاتم باعثا ، يشحن صدورهم

---

٢٢ ــ لنا عودة الى شريعة موسى في كتاب اخر .

برغبات ضارية للاستيلاء على ارض العسل واللبن . فيقول « احفظ وصايا يهوه الهك .. لانه آت بك الى ارض جيدة . ارض انهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال . ارض حنطة وشعير وكروم وتين ورمان . ارض زيتون وعسل . ارض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ، ولا يعوزك فيها شيء . تثنية ٨/٦ » .

ثم يعود موسى الى النغمة ذاتها ، مؤكدا لهم بأن الرب يسير امامهم يحارب عنهم . ويطرد الشعوب من امام وجههم . محاولا بهذا التاكيد ان يشد من ازرهم ، ويقوي من عزائمهم .. يقول « انت اليوم عابر الاردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا اكبر واعظم منك . ومدنا عظيمة ومحصنة الى السماء .. فاعلم اليوم ان الرب الهك هو العابر امامك نارا آكلة . هو يبيدهم ويذلهم امامك ، فتطردهم وتهلكهم سريعا ، كما كلمك الرب تثنية ١/٩ » .

وقد كانت رغبة يهوه تتمثل في تجمعهم وزحفهم على احدى المدن ، لتخريبها وابسال كل نسمة حياة فيها . هي رغبة الملك او القائد . لكن الكاتب يجعلها رغبة يهوه . فالرغبات البدائية التي كانت تغتلي في صدورهم حولوها الى نبوءات . ادعوا بها معرفة الغيب ، ومشاركة الخالق في سبر اغوار الوجود . وسخروا الخالق الذي جعلوه طوع ارادتهم ورهن اشارتهم ، الى تحقيق هذه الرغبات .

فرغبتهم في قهر الامم القوية ، وهم الضعفاء المستضعفون . والتغلب على الامم الحضارية ، وهم البدائيون المتخلفون . واستملاك ارض ، وهم البداة المستعبدون في مصر ، المشردون في صحراء سيناء . جعلتهم يسخرون الههم « يهوه » لنصرتهم وشد ازرهم في الحروب .. وجعلتهم ينسبون الى الههم يهوه وعده المشهور بتمليكهم ارض كنعان . هذا الوعد الذي يتكرر بصور مختلفة ، وعلى افواه انبياء عديدين ، لتأكيده وحفره في صدورهم ، لا يزول ما دامت في صدورهم انفاس حياة .

يقول موسى « ويهوه يطرد جميع الشعوب من امامكم . فترثون شعوبا اكبر واعظم منكم. كل مكان **تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . من نهر الفرات الى البحر الغربي ، يكون** تخمكم . لا يقف انسان في وجهكم . يهوه الهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الارض التي تدوسونها. تثنية ٢٣/١١ » .

وتكاد تنحصر **وصايا يهوه واحكامه في تدمير مظاهر الحضارة وابادة الشعوب** . فهو يقول لهم « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها . استدعها الى الصلح . فان اجابتك الى الصلح ، وفتحت لك . فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ، ويستعبد لك . وان لم تسالمك . بل عملت معك حربا فحاصرها . واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، **فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . واما النساء والاطفال والبهائم** ، وكل ما في المدينة . كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك . وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا . التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا .

واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك يهوه الهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها تحريما : الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . كما امرك الرب الهك . تثنية ٢٠/١٠ » .

وهو يهددهم في حال تقاعسهم عن تنفيذ احكامه ، بان « يذهب بك الرب ، وبملكك الذي تقيمه عليك الى امة لم تعرفها انت ولا آباؤك .. وتكون دهشا ومثلا وهزاة في جميع الشعوب الذين يسوقك يهوه اليهم .. بنين وبنات تلد . ولا يكونون لك .. لانهم الى السبي يذهبون . تثنية ٢٨/٣٦ » .

يظهر إن الكاتب سطر هذا السفر بعد السبي . فملكهم الذي اقاموه في بعض مرتفعات فلسطين ، لم يعمر طويلا . فقد سبتهم الجيوش المصرية ، والاشورية ، والبابلية . ومن ثم شتتتهم في جميع الشعوب .

واعتقد جازما ، ان الكاتب دون اسفار العهد القديم في السبي البابلي . يتضح ذلك من قوله « يجلب الرب عليك امة من بعيد . من اقصاء الارض ، كما يطير النسر . امة لا تفهم لسانها .. تحاصرك في جميع ابوابك ، في كل ارضك .. فتستأصلون من الارض التي انت داخل اليها لتمتلكها . ويبيدك الرب في جميع الشعوب . تثنية ٢٨/٤٩ » .

فيهوه لم يعد بحياة ابدية ، او بفردوس سماوي . العمل الصالح يعني انتصارات ، وامتلاك اراضي الشعوب . والعمل الطالح اوبئة وامراض . الخير بقاء في الارض . والشر تقذفكم الارض . فحفظ احكامه والعمل بها امر ضروري للبقاء في الارض . لان احكامه تتمثل في القتل وابادة الشعوب .

ويحاول كاتب العهد القديم ان يجمع قلوب المسبيين حول يهوه . كما فعل موسى حين اخرجهم من مصر . واجتاز بهم صحراء سيناء حتى اتى بهم الى ابواب ارض كنعان . فقد جمعهم بيهوه ، وكتلهم حوله ، وساقهم به ..

يقول « فان رددت في قلبك بين جميع الامم الذين طردك يهوه الهك اليهم . ورجعت الى يهوه الهك . وسمعت لصوته حسب كل ما انا اوصيك به اليوم .. يرد الرب الهك سبيك ويرحمك ، ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك اليهم يهوه الهك . ان يكن قد بددك الى اقصاء السموات . فمن هناك يجمعك الرب الهك . ومن هناك ياخذك ، وياتي بك الرب الهك الى الارض التي امتلكها اباؤك ، فتمتلكها . تثنية ٣٠/١ » .

وينهي الكاتب سفر التثنية بقوله « فذهب موسى ، وكلم بهذه الكلمات جميع اسرائيل . وقال لهم : انا اليوم ابن مئة وعشرين سنة . لا استطيع الخروج والدخول بعد . ويهوه قد قال لي لا تعبر هذا الاردن . يهوه الهك هو عابر قدامك . هو يبيد هؤلاء الامم من قدامك ؟ فترثهم .. فمتى دفعهم يهوه امامك تفعلون بهم حسب كل الوصايا التي اوصيتكم بها . تشددوا وتشجعوا . ولا ترهبوا وجوههم . لان يهوه الهك سائر معك . لا يهملك ولا يتركك . فدعا موسى يشوع وقال له امام اعين جميع اسرائيل : تشدد

وتتشجع ، لانك انت تدخل مع هذا الشعب الارض التي اقسم الرب لابائكم ان يعطيكم اياها . وانت تقسمها لهم . والرب سائر امامك . هو يكون معك ولا يهملك ولا يتركك . لا تخف ولا ترتعب . تثنية ٣١ » .

يهوه ، يهوه ، يهوه . والارض ، الارض ، الارض .

« يهوه كلمنا في حوريب قائلا : **كفاكم قعود .. ارتحلوا وادخلوا جبل** الاموريين .. تملكوا الارض .. جعل يهوه الارض قدامك .. **اصعد تملك ..** الرب يحارب عنكم .. الرب حملك كما يحمل الانسان ابنه .. سمع الرب صوت كلامكم .. قال الرب لي : قل لهم لا تصعدوا ولا تحاربوا ، لاني لست في وسطكم .. **كفاكم دوران بهذا الجبل** . تحولوا نحو الشمـــال .. قال الرب **قوموا واعبروا** وادي زارد .. قوموا واعبروا وادي ارنون .. دفع الرب ملك حشبون وأرضه .. **ابتدىء تملك** .. ودفع ملك باشان .. قال الرب لموسى : لا تعد تكلمني في هذا الامر ..

يهوه **يرسل الزنابير .. يطرد الشعوب ..** يهوه قال لي لا تعبـــر الاردن .. يهوه سائر معك .. يبيد الامم من قدامك ..

تلاحظ ان يهوه كان قريبا من شعبه الخاص . ولكن قربه منهم ، وتقربهم اليه ، وعبادتهم له ، ليس بدافع المحبة المتبادلة ، والايمان العميق . **بل بدافع سياسي عنصري** . يقودهم في الحروب وينصرهم على اعدائهم ، **ويمكنهم من الاستيلاء على الارض** التي وعدهم بها . ولذلك ترى أن خضوعهم له مشروط بنصره لهم على اعدائهم ، وتمكينهم من الاستيلاء على اراضي الشعـــوب .

ومحبته ليست كمحبة الالهة الاخرى لشعوبها . التي تقضي بتعليمهم ، ورفع مستواهم ، ومواساتهم ، وتخفيف الاعباء عنهم ، وزرع الامال فـــي صدورهم . ولا يمكن رفعها الى مستوى محبة الاله لسائر البشر . لانها مقصورة على جماعة من الناس . اختارهم يهوه من بين سائر الشعوب وخصهـــم بمحبتـــه ورعايتـــه ، ووعدهـــم بابادة الشعـــوب من قدامهم ، ونصرهم على اعدائهم ، واعطائهم اراضي شعوب اخـــرى بشرط عبادته ، وتنفيذ احكامه وفرائضه . اذن هي ليست محبة . وانمـــا انانية . اختارت شعبا وارادت له التفوق والانتصار على جميع الشعوب .

وعلاقتهم بيهوه علاقة ملك قاهر ، بشعب مضطهد ، ضعيف ، مقهور . وعدهم بتمليكهم ارض قوم اخرين . ولذلك **انحصرت وعوده ومواثيقـــه وشرائعه بقيادته لهم ، واخراجهم مـــن ارض وادخالهم الى اخرى** . اذا عطشوا يفجر المياه من قلب الصخر . واذا جاعوا يمطر عليهم المن والسلوى .

وظلت المساومة هي الرابط بينهم وبين الههم . وظلت **العلاقة علاقة صفقة** . جعلوا انفسهم **فيها رابحين** ابدا . فهم يعبدون يهوه بشرط : ان يمنحهم ارضا . ولكنهم تركوه كثيرا ، اما هو فلم يتركهم . ونسوه طويلا ، ولم ينسهـــم .

ويهوه لم تشغله غير قضية الاستيلاء على ارض كنعان . وتمليكهـــا

لبني أسرائيل . ولذلك فهو يدبر الخطط الحربية ، ويقود شعبه الخاص . يبيد الامم من قدامهم ، ويطرد الشعوب .

ويهوه وحده ، من بين سائر الهة الشرق القديم ، عقد ميثاقا مع اتباعه ، بني اسرائيل ، باعطائهم ارضا ماهولة باصحابها ، عامرة بحضاراتهم .

ملحمة الغزو

ايضا وايضا في سفر يشوع : الارض ، الارض ، الارض . هي الشغل الشاغل ليهوه . وهي مدار تفكيره ومحط اهتمامه .

مع فارق بسيط في **اسلوب المخاطبة** . ففي سفر التكوين كان يمنح الارض بصيغة الوعد . يقول : لنسلك اعطي هذه الارض . وفي سفر الخروج صار الوعد مقرونا بشرط زمني ماض : متى ادخلك الرب ارض الكنعانيين ، تعمل كذا .. او حاضر : حين تدخلون الارض التي يعطيكم الرب ، تعمل كذا .. وفي سفر اللاويين ايضا بقي الوعد بالارض مقرونا بشرط زمني ماض : متى جئتم الى الارض التي انا اعطيكم ، تعملون .. اما في سفر العدد فراح يخاطبهم بصيغة اسم الفاعل ، الحاضر مؤكدا لهم ادخالهم الارض . فيقول : انكم عابرون الاردن الى ارض كنعان .. انكم داخلون الى ارض كنعان .. وفي سفر التثنية ، الاسلوب ذاته : الارض التي انتم عابرون اليها لتمتلكوها .. اما في سفر يشوع فقد اضحى الخطاب **في صيغة امر : قم اعبر ..**

يبدأ الكاتب السفر بقوله « وكان بعد موت موسى ان يهوه كلم يشوع قائلا : قم اعبر هذا الاردن انت وكل الشعب الى الارض التي انا معطيها لبني اسرائيل . كل موضع تدوسه بطون اقدامكم لكم اعطيته . من البرية ولبنان ، الى النهر الكبير ، نهر الفرات ، والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم . يشوع ١/١ » .

وكما كان موسى باسم يهوه ، يشجعهم ويشد من ازرهم ، ويعدهم بأن يسير يهوه امامهم ، ويحارب عنهم ، ويطرد الجيوش من قدامهم . فان يهوه ، في سفر يشوع ، راح يقوم بمهمة موسى . فيخاطبهم مباشرة . قال ليشوع « لا اهملك ولا اتركك . تشدد وتشجع ، لانك انت تقسم لهذا الشعب الارض التي حلفت لابائهم ان اعطيهم . انما كن متشددا وتشجع جدا .. تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب . لان يهوه الهك معك حيثما تذهب . تثنية ١/٥ » .

وفي هذا السفر تبدأ قصة غزو الارض . فبعد ان نقل يشوع امر يهوه بالعبور ، قال الكاتب « فارسل يشوع رجلين جاسوسين .. الى اريحا . فذهبا ودخلا بيت امراة زانية اسمها راحاب . واضطجعا هناك . فقيل لملك اريحا : هوذا قد دخل الى هنا الليلة رجلان من بني اسرائيل لكي يتجسسا الارض . فارسل ملك اريحا الى راحاب يقول : اخرجي الرجلين

اللذين اتيا اليك .. فاخذت المراة الرجلين ، وخبأتهما ، وقالت : نعم جاء الي الرجلان ثم خرجا في الظلام.واما هي فاطلعتهما على السطح ، ووارتهما بين عيدان كتان .. ثم قالت لهما : علمت ان الرب قد اعطاكم الارض . وان رعبكم قد وقع علينا . وان جميع سكان الارض ذابوا من اجلكم . لاننا قد سمعنا .. بما عملتموه بملكي الاموريين .. سمعنا فذابت قلوبنا ، ولم تبق بعد روح في انسان بسببكم.. فالان احلفا لي .. بأن تستحييا ابي وامي واخوتي ، وتخلصا انفسنا من الموت . فقال لها الرجلان .. اذا اعطانا الرب الارض نعمل معك معروفا وامانة . يشوع ١/٢ » .

كيف علمت الزانية راحاب ان الرب قد اعطاهم الارض ؟

لست ادري !

وانت ! الا تعتقد ان اسلوب التوراة تغلب عليه **صفة التقرير** . فكاتب التوراة ينسب المعرفة لمن يريده ان يعرف ، والجهل لمن شاء له الجهل. ربما لان الكاتب يدون هذه الاخبار بعد زمن طويل . فهو يقرر واقعا حصل . أو ربما يريد الايحاء لقارىء التوراة ، ان كل ما يقصه حاصل او هو في طريق الحصول . لانه ارادة ربانية ومشيئة الهية . ومن يقوى على تغيير ما اراده الله ؟

اما قولها : **ان رعبكم قد وقع علينا** ، عندما سمعنا بما عملتموه بملكي الاموريين . ففيه شيء من الحقيقة . او قل هو الحقيقة . لانهم في غزوهم لكل مدينة او قرية ، كانوا يعملون فيها القتل والتذبيح ، ثم النهب والتدمير . نزولا عند رغبة يهوه ، وعملا بشريعته التي تأمرهم بابادة الشعوب وتدمير المدن ..

ترى .. اليس ما يجري في فلسطين منذ عام ١٩٢٠ مطابقا لسلوك اليهود واخلاقهم ، واخلاق الههم « يهوه » ، المضمنة في كتاب العهد القديم ؟

عاد الجاسوسان قائلين « ليشوع ان الرب قد دفع بيدنا الارض كلها . وقد ذاب كل سكان الارض بسببنا . يشوع ٢٤/٢ » . « فبكر يشوع في الغد . وارتحلوا من شطيم ، وأتوا الى الاردن .. وقال يشوع للشعب : تقدسوا لان الرب يعمل غدا في وسطكم عجائب . يشوع ١/٣ » .

ثم قال يشوع « تعلمون ان الله الحي في وسطكم . وطردا يطرد من امامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والاموريين واليبوسيين . هوذا تابوت عهد سيد كل الارض ، عابر امامكم في الاردن . فالان انتخبوا اثني عشر رجلا من اسباط اسرائيل . ويكون حينما تستقر بطون اقدام الكهنة حاملي تابوت الرب في مياه الاردن ، ان مياه الاردن المنحدرة من فوق ، تنفلق وتقف ندا واحداً . يشوع ١٠/٣ » .

كيف عرف يشوع ان مياه الاردن تنفلق حالما تستقر اقدام الكهنة فيها ؟

لست أدري !

وانت . الا تعتقد ان كاتب التوراة يقرر أمورا حصلت في اذهان الناس ،

بمعجزات ربهم الخاص . وظل الرواة يتناقلونها جيلا بعد جيل ، بقالب من المبالغة والتضخيم ، يفوق مبالغات الاساطير ، حتى قيض لها من يدونها اثناء السبي البابلي ، بنفس الاسلوب الذي كانت تروى فيه . قاصدا مـن ذلك ان يجمع اليهود بايمانهم بالههم الخاص . ويدفق في صدورهم الامل بأن الههم لا ينساهم ، وانه سيجمعهم ويعيدهم الى الارض التي حلف أن تكون لآبائهم. ويورثها من بعدهم لابنائهم . أو هي امور حاصلة حكما بمعجزة من يهوه القائد الذي يسير امامهم ، يطرد الشعوب من قدامهم ، ويكلل هاماتهم بالنصر .

سلاح المعجـزات

ثم كان ما قرره يهوه . فمند ((انغماس ارجل الكهنة ، حاملي التابوت ، في ضفة المياه . . وقفت المياه المنحدرة من فوق •• فوقف الكهنة حاملو التابوت على اليابسة في وسط الاردن ، وجميع اسرائيل عابرون على اليابسة . يشوع ١٥/٣ » .

وكانت هذه اول معجزة صنعها يهوه مع قبيلته على ابواب الارض .

اما المعجزة الثانية فكانت في اقتحام اريحا . يقول الكاتب ان « اريحا كانت مغلقة ،مقفلة بسبب بني اسرائيل . . فقال الر بـ ليشوع : انظر . قد دفعت بيدك اريحا وملكها ، جبابرة البأس . تدورون دائرة المدينة . . ستـة ايام . وسبعة كهنة يحملون ابواق الهتاف السبعة امام التابوت . وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات ، والكهنة يضربون بالابواق . ويكون . . عند استماعكم صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة ويصعد الشعب » .

ثم يؤكد الكاتب حصول ما امر به يهوه . يقول « وكان في اليوم السابع انهم بكروا عند طلوع الفجر ، وداروا دائرة المدينة سبع مرات . .وكان في المرة السابعة ، عندما ضرب الكهنة بالابواق ، ان يشوع قال للشعب : اهتفوا لان الرب قد اعطاكم المدينة . فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب . **راحاب الزانية فقط تحيا** هي وكل من معها في البيت ، لانها خبأت المرسلين اللذين ارسلناهما . وأما أنتم فاحترزوا من الحرام . . كل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد ، تكون قدسا للرب ، وتدخل في خزانة الرب . . فهتـف الشعب وضربوا بالابواق . . فسقط السور في مكانه ، وصعد الشعب الـى المدينة . . **وحرّموا كل ما فيها ، من رجل وامراة ، من طفل وشيخ ، حتـى البقر والغنم والحمير بحد السيف** •• واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . يشوع ٦ » .

لكن بني اسرائيل الذين هدموا اسوار اريحا ، بمعجزة يهوية ،واحرقوها وحرموها . انهزموا امام اهل « عاي » ، حتى « ذاب قلب الشعب ، وصار مثل الماء . يشوع ٥/٧ » .

اما كاتب التوراة فقد وجد مبررا ، كعادته لهذه الهزيمة . فادعى ان احد الجنود قد « أخذ من الحرام . فحمي غضب الرب على بني اسرائيل . يشوع ١/٧ » .

او قل ان يشوع نسب هزيمته امام اهل عاي ، الى غضب يهوه .وهو يبغي من ذلك الى تحقيق هدفين : الاول جمع الذهب والفضة والاواني التي سرقها الشعب . والثاني ربط الهزيمة بغضب يهوه . لكـي يثبت ايمانهـم بيهوه ، واتكالهم عليه . وانه ما دام معهم وراضيا عنهم فلن يقهروا . وهذا مما يشد من عزائمهم ، لتحقيق المطالب التي يضعها يشوع على لسان يهوه .

فمــاذا فعــل ؟

« مز قيشوع ثيابه ، وسقط على وجهه الى الارض ، امام تابوت الرب الى المساء .. فقال الرب ليشوع : قم .. قد اخطأ اسرائيل . بل تعدوا عهدي الذي امرتهم به . بل اخذوا من الحرام . بل سرقوا . بل انكروا . بل وضعوا في امتعتهم . يشوع ٧/١٠ » .

ثم جمع يشوع بني اسرائيل ، فتقدم الجندي الذي « تعدى عهد الرب ، وعمل قباحة في اسرائيل » وقال « حقا انيقد اخطأت الى يهوه اله اسرائيل . رايت في الغنيمـــة رداء شنعاريا نفيسا ومئتي شاقــل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلا . فاشتهيتها واخذتها ، وها هي مطمورة في الارض في وسط خيمتي . يشوع ٧/٢١ » .

فنفذ يشوع حكم يهوه عليه . اخذه « وبنيـــه وبناتـــه وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله .. فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة ، واحرقوهم بالنار . يشوع ٧/٢٤ » .

وعندها « رجع يهوه عن حمو غضبه .. وقال ليشوع : لا تخــف ولا ترتعب . خذ معك جميع رجال الحرب ، واصعد الى عاي ، فقد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وارضه . فتفعل بعاي كما فعلت باريحها وملكها . يشوع ٨/١ » .

نلاحظ ان كاتب التوراة نسب الى يهوه من الاوامر الموجهة الـــى يشوع ما جعل هذا الاخير ينتصر . « فلقد انتخب ثلاثين الف رجل ، جبابرة البأس » نزولا عند رغبة يهوه .وقال « انتم تكمنون للمدينة .. اما انا وجميع الشعب فنقترب الى المدينة . ويكون حينما يخرجون للقائنا اننا نهرب قدامهم .فيخرجون وراءنا حتى نجذبهم عن المدينة .. وانتم تقومون من المكمن ، وتملكون المدينة . ويدفعها يهوه الهكم بيدكم . يشوع ٨/٣ » .

وهكذا نجحت الخطة التي لقنها يهوه ليشوع . « وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في البرية ، حيث لحقوهم ، وسقطوا جميعا بحد السيف ، حتى فنوا ، ان جميع اسرائيل رجع الـــى عاي ، وضربوها بحد السيف . فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم ، من رجال ونساء ، اثنى عشر الفا . جميع اهل عاي . ويشوع لم يرد يده التى مدها بالمزراق حتى حرم جميع سكان عاي .. وملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء . يشوع ٨/٢٤ » .

فالكاتب لايعيد سبب انهزامهم في الهجوم الاول الى قلة عددهم . اذ هون

الجاسوسان امر اقتحام عاي ، حين قالا ليشوع « لا تكلف كل الشعب ، لانهم قليلون .. بل يصعد نحو الفي رجل ويضربوا عاي . يشوع ٣/٧ » . وانما يبرر الانهـزام بغضب يهوه عليهم ، لان احدهـم اخذ من الحرام ،اي حصة يهـوه :

اما في الهجوم الثاني فقد غيّر يشوع الخطة . اذ اخذ معه ثلاثين الـف رجل . ونصب كمينا للمدينة . ونسب الخطة الى يهوه ، ليزيد من ثقتهـم به واتكالهم عليه . وليعمق في نفوسهم الايمان بأن نصرهم يعني رضى يهوه عنهم . وانهزامهم هو غضبه عليهم .

ويخبرنا كاتب العهد القديم أن « ادوني صادق ملك اورشليم ، لمـا سمع ان يشوع قد اخذ عاي ، وحرمها ، وفعل بها ما فعل باريحا .. ارسل الى ملك حبرون وملك يرموث وملك لخيش وملك عجلون ، يقول : اصعدوا الي واعينوني .. فقال يهوه ليشوع : لا تخفهم ، لاني بيدك قد اسلمتهم .. فازعجهم الرب امام اسرائيل .. وبينما هم هاربون من امام اسرائيل » كانت **المعجزة الثالثة** التي صنعها يهوه مع قبيلته على ابواب الارض . **اذ « رمى الهاربين بحجارة عظيمة من السماء ، فماتوا . والذين ماتوا بحجارة البرد اكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف** . يشوع ١/١٠ » .

« فهرب اولئك الخمسة الملوك ، واختبأوا في مغارة في «مقيدة» .. ثم اخرجوا اليه اولئك الملوك الخمسة من المغارة .. فدعا كل رجال اسرائيل ، وقال : تقدموا ، **وضعوا ارجلكم على اعناق هؤلاء الملوك** ، .. **ثم قتلهم ، وعلقهم على الخشب حتى المساء** . يشوع ١٦/١٠ » .

اليس قول يشوع « ضعوا ارجلكم على اعناق الملوك » تعبيرا عـن حقد مرير ، يتأكل في صدورهم ، وشهوة مكمودة تتلظى لانتقام رهيب ، يروي ظمأها ويكبت اوارها ؟

فعملية غزو بني اسرائيل لبعض المرتفعات في فلسطين ، تمت بمعجزات من يهوه ، وبقيادته لهم ، وتخطيطه لحروبهم ، كما يقول الكاتب .

اما **المعجزة الرابعة** فكانت حين « كلم يشوع الرب .. وقال .. **يا شمس دومي على جبعون .. فوقفت الشمس في كبد السماء** ، ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل . حتى انتقم الشعب من اعدائه .. والرب حارب عـن اسرائيل . يشوع ١٢/١٠ » .

يشوع يحارب .. ومالت الشمس أو كادت ، فراجعه حقد قديـم الداء ، سوار . فامر الشمس بالتوقف ، حتى يجهـز على اعدائه . لان ضراوة الانتقام ما فتئت تنهش صدره ، ولان منهج الحرق والابادة الذي طبقه في اريحا وفي عاي ، لم يرو غليل الحقد المضطرم بين ضلوعه .

وكانت الشمس رهن اشارة من أصبعه . كيف لا ؟ والرب معـــه . وهل عصى الرب يوما امرا صدر عنه ؟ الا ينصاع لتحقيق اي رغبة له ؟ فكيف برغبة القتل والابادة ، التي هـي خلاصة وصايا يهـوه وفرائضه واحكامـه ؟

ترى . هل اثبتت الحسابات الفلكية والرياضية القديمة ، والحديثة ، ايقاف حركة الطبيعة ؟ اظن لا . وهل تثبتها في المستقبل ؟ ربما . اقول ربما ، لئلا يجفل المسيحيون المتهودون ، الذين يرفعون هذه القصص الخرافية ، الوحشية ، الى مرتبة التقديس .

حاضرهم اشبه بماضيهم من الماء بالماء

هذه القصص « المقدسة » هي التي تروى على مسامع الاطفال اليهود في فلسطين المحتلة ، وخارجها . فتحقن نفس الطفل ، منذ نعومة اظفاره بحب الفتك والتدمير . وتبث في صدره منذ نشاته روح العداء والكراهية للشعوب ، كل الشعوب .

يقول موشيه منوحن ، بعدما تخرج من كلية هرتسيليا في يافا ، انه ظل وقتا طويلا يعاني من « **روح الكراهية والعداء للشعوب . وخاصة ضد عرب فلسطين** . تلك الروح التي تم ترسيخها في قلوبنا الفتية (٢٣) » .

« وقد علمونا في الجمنازيوم ، « كلية » **بان نكره العرب ، وان نحتقرهم** . وفوق هذا كله ان **نطردهم من « مولادتينو »** وطننا ومسقط راسنا ، ومن « **ارتسينو** » ارضنا وديارنا ، اذ كانت بلادنا لا بلادهم . وانه كان بوسعنا الاطلاع على التوراة في هذا الصدد » (٢٤) .

هذه القصص التي تكون نفسيات ابطالها كل ما تحمله طينة البشر من نقائص وعاهات . وما تضمره من حقد مرير وكراهية عمياء . وما يضطرم فيها من هوس بالفتك والتدمير ، تشكل التربة الخصبة التي تمد فيها جذورا عميقة افكار اليهود ، في القرن العشرين ، في اسرائيل الصهيونية ، وفي اميركا ، على حد سواء ، كما يقول موشيه منوحن .

منذ امد قريب نسبيا ، قام العالم الاميركي غ . تامارين ، الذي عمل زمنا طويلا في اسرائيل ، باختبار كانت له نتائج ذات معان كثيرة ودلالات معبرة .

لقد وضع تامارين ١٠٦٦ صيغة ، تعبر عن مضمون واحد ، في هيئة اسئلة . وتلقى الاجابة عليها كتابة من ٥٦٣ تلميذا و ٥٠٣ تلميذات ، من مختلف الصفوف في المدارس الاسرائيلية . وكانت الصيغة تتعلق بسفر يشوع في التوراة ، التي تدرس في المدارس الاسرائيلية ، في المرحلة ما بين الصفين الرابع والثامن .

جاء في الصيغة :

« انت تعرف جيدا هذه الاسطر من سفر يشوع : "فهتف الشعب ،

---

23) Moshe Menuhim: «The Decadence of Judaism In Our Time». The Institute For Palestine Studies, Beirut, 1969. P. 50.

٢٤ — مذكرات موشيه منوحن عن هجرته الى فلسطين عام ١٩٠٤ . ترجمت ونشرت في مجلة شؤون فلسطينية . العدد — ٨ — نيسان ١٩٧٢ .

وضربوا بالابواق . وكان حين سمع الشعب صوت البوق ، ان الشعب هتف هتافا عظيما ، فسقط السور في مكانه . وصعد الشعب الى المدينة .. **وحرموا كل ما في المدينة ، من رجل وامراة ، من طفل وشيخ . حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف . يشوع ٦/٢٠ »** .

« واخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم ، وضربها بحد السيف ، وحرم ملكها هو وكل نفس بها . **لم يبق شارد** . وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك اريحـــا .

ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل معه الى لبنة . وحارب لبنة . فدفعها الرب هي ايضا بيد اسرائيل مع ملكها . فضربها بحد السيف ، وكل نفس بها . **لم يبق شاردا** . وفعل بملكها كما فعل بملك اريحـــا . يشوع ١٠/٢٨ » .

اجب من فضلك على السؤالين الاتيين :

١ ــ هل ترى في تصرف يشوع بن نون ، والاسرائيليين ، تصرفـــا صائبا أم خاطئا ؟ ولماذا ؟

٢ ــ لنفترض ان الجيش الاسرائيلي احتل قرية عربية في الحرب ، وفعل بسكانها ما فعله يشوع بشعب اريحا . فهل يكون تصرفه ، في رايك ، حسنا ام سيئا ؟ ولماذا ؟

وقد برر تامارين اختياره هذه الصيغة بقوله « ان ما قام به يشوع لم يكن المثال الوحيد لهذا النمط من الاعمال في التوراة . وقد وقع اختياري عليه لان سفر يشوع يحتل مكانا مرموقا وخاصا في نظام التعليم الاسرائيلي » .

وانتشرت هذه الصيغة في مدارس تل ابيب وقرية باز رملة ومدينة شارون وغيرها .

وهاكم بعض الاجوبة . كتب تلميذ في مدرسة مدينة شارون ما ياتي :

« كان الهدف من الحرب ينحصر في استيلاء الاسرائيليين على البلاد . ولذلك فان الاسرائيليين احسنوا صنعا اذ احتلوا المدينة وقضوا علـــى سكانها . **نحن لا نريد آن يكون في اسرائيل عنصر غريب »** .

وكتبت فتاة من كيبوتز ميوتشاء « لقد احسن يشوع بن نون صنعا حين قتل كل الناس في اريحا . لان همه كان ينحصر في احتلال البلاد كلها . ولم يكن لديه وقت لينشغل بالاسرى » .

يقول تامارين : مثل هذه الاجوبة وردتنا بنسبة تتراوح بين ٦٦ ــ ٩٥ في المئة وكان ذلك يرجع الى موقع المدرسة في الكيبوتز او في المدينـــة . وعن سؤال « ايمكن في وقتنا هذا القضاء على سكان قرية عربية محتلة » ؟ اجاب ٣٠ في المئة من التلاميذ بـ « نعم » .

واليكم نماذج مما كتبـــه الاطفـــال « في رايي كان كل ما قام به يشوع صحيحا . ذلك اننا نريد ان نقهر الاعداء ونوسع حدودنا . ولو كـــان الامر معنا لفتكنا بالعرب جميعا ، كما فعل يشوع والاسرائيليون » .

وكتب طالب آخر « في رايي ان على **جيشنا ان يفعل بالقرية العربية ما**

فعله يشوع بن نون ، لان العرب اعداؤنا » .

كانت تلك بعض ثمار التعليم الصهيوني ، كما يقول تامارين . ولم تكن هذه الافكار لتنمو من تلقاء نفسها ، وفي ارض قاحلة . بل هي تمد جذورها عميقا في تربة التوراة وفي التربية الواقعية للأيديولوجيا الصهيونية (٢٥) .

هذه القصص هي التي امدت اليهودي بخيال وحشي ، ونفسية حقودة . اتاحت له ان يطبقها على الواقع . فكانت مذابح نيسان ١٩٤٨ الارهابية في فلسطين ، وكانت سياسة العنف والارهاب التي طبقها المستوطنون الصهاينة ، بعد قيام دولة اسرائيل ، من ضمن مخططاتهم الرامية الى طرد السكان العرب وابادتهم . ففي الاجزاء التي يحتلها الصهيونيون من فلسطين ، شهدت القرى العربية مثل اقرت « كانون الاول ١٩٥١ » والطيرة « تموز ١٩٥٣ » وابو غوش « ايلول ٩٥٣ » وكفر قاسم « تشرين الاول ١٩٥٦ » وعكا « حزيران ١٩٦٥ » وغيرها ، المجازر والفظائع كجزء من خطة الدولة الصهيونية للانتقام والبطش . وقد نفذت اجهزة الدولة الرسمية ، هذه الخطة بفعالية . تضاف الى هذه الحوادث ، حمامات الدم التي ارتكبتها الصهيونية في غزة ، وخان يونس ، على نطاق واسع ، ابان الاحتلال الاسرائيلي المؤقت ، لتلك المنطقة ، بنتيجة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ (٢٦) . وبنتيجة حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، لم تتوقف اعمال الارهاب ، لاجلاء السكان العرب عن مناطق التوسع الجديد . وكل يوم تطالعنا الاخبار بحوادث طرد السكان ، ونسف البيوت وحرقها ، لتكون ارضا « نظيفة ، فارغة » جاهزة لاستقبال طفرة من المهاجرين الجدد .

ومما يؤسف له ان القصص التوراتية ، التي اختلقوها ، وضمنوها اهواءهم الجامحة ونزعات نفوسهم الشريرة ، المفطورة على البغي واقتراف الكبائر ، هي التي تشكل ما يسمى « العهد القديم » الذي يعتبره المسيحيون الاساس الذي يرتكز عليه « العهد الجديد » .

فهل هذا الجمع بين قصص الحقد والكراهية والعنف والتذبيح .. وبين صور المحبة والرحمة ، وومضات التكشف الالهي ، ناتج عن عمى بصائر المسيحيين ، او تعاميهم عن الحقيقة . ام انه نتيجة حتمية لغباء الاكثرية المنقادة لاحابيل القلة المسيرة بارادة الصهيونية ، المتخفية وراء الحجب اللماعة والستائر البراقة ؟

وهل تاريخ القبيلة اليهودية الهمجية ، وقصص الفتك والابادة التي نفذتها العشائر اليهودية ، باسم وارادة الهها الخاص يهوه ، يعتبر كتابا مقدسا ، تتلى نصوصه في كنائس المسيحيين ، وفي الكثير من مدارسهم وجامعاتهم ؟

---

٢٥ — يوري ايفانوف — احذروا الصهيونية — ترجمة احمد داود — دمشق ١٩٦٩ ص ٦٧

٢٦ — راجع كتاب الاستعمار الصهيوني في فلسطين للدكتور فايز صايغ — مركز الابحاث ١٩٦٥ ص ٤١ وكتاب مع الكلمة الصافية لقاسم الشواف — دمشق ١٩٦٩ ص ٤٤٥

والجدير بالملاحظة ان تسجيل الروايات التوراتية قد تم قبيل السبي البابلي ، وبعده . اما الاستيلاء الذي تم على بعض المرتفعات في فلسطين ، لتوفر السلاح مع جيش فتي ، قوي ، يحدوه الجوع والحقد ، للسيطرة على شعوب تنعم بالراحة والاطمئنان . فقد صنع منه الكتاب تحقيقا لوعود الهية ، لتبريره ، وتثبيته ، والاحتفاظ بالارض ، والدفاع عنها . يؤكد ذلك ان نصوص العهد القديم التي تروي قصص الوعد والاستيلاء ، تساعد المرء على الاعتقاد بان عملية الاستيلاء على ارض فلسطين كانت فكرة . وعندما توفر السلاح والجيش القوي ، وضعت الفكرة موضع التنفيذ . فبالرغم من الوعد الذي قطعه يهوه على نفسه باعطاء الارض الى شعبه المختار . وبالرغم من التذكير المستمر بهذا الوعد ، والتأكيد عليه ، بتصميم يهوه على قرض الشعوب وإبادتها بنفسه ، وعزمه على اجتياز نهر الاردن امام جنوده ، واصراره على محو الامم ، صاحبة الارض . بالرغم من كل هذا التاكيد والاصرار ، فان ذلك لم يكن يمنع اليهود من التسلح ، والاستعداد للحرب ، واجراء عمليات الاحصاء لجميع الذكور القادرين على حمل السلاح ، وارسال الجواسيس الى ارض كنعان لاستطلاع احوالها ، والوقوف على مقدرتها الدفاعية ، ومدى صمود رجالها امام غزو القبائل الاسرائيلية . فهذا دليل على نية الاستيلاء على أرض فلسطين . سواء وعد بها يهوه ام لم يعد .

وبالاضافة الى ذلك ، فان الارض لم تقع بايدي اليهود لقمة سائغة ، كمن قدم من بعيد لاستلام ميراثه بناء على وعد الهي . بل دامت معارك الاستيلاء اكثر من مائتي سنة . وارتكبت خلالها فظائع واعمال وحشية . من شأنها ان تدب الذعر في قلوب سكان المدن والاراضي المستولى عليها .

وكتاب العهد القديم لم يخف هذه الفظائع . بل وضعها بتفاصيل مثيرة ، وجعل منها قواعد للاستيلاء ، وقوانين للسطو والسيطرة .

ويتابع الكاتب سرد قصة الغزو الوحشي ، قائلا « واخذ يشوع مقيدة » في ذلك اليوم . وضربها بحد السيف . وحرم ملكها ، وكل نفس بها ، لم يبق شاردا . وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك اريحا » .

« ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل معه الى لبنة ، وحارب لبنة . فدفعها الرب هي ايضا بيد اسرائيل مع ملكها ، فضربها بحد السيف ، وكل نفس بها . لم يبق بها شاردا . وفعل بملكها كما فعل بملك اريحا » .

« ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لبنة الى لخيش . ونزل عليها ، وحاربها . فدفع الرب لخيش بيد اسرائيل . فاخذها في اليوم الثاني ، وضربها بحد السيف ، وكل نفس بها ، حسب كل ما فعل بلبنة .

حينئذ صعد هورام ملك جازر لاعانة لخيش ، وضربه يشوع مع شعبه ، حتى لم يبق له شاردا .

ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لخيش الى عجلون . فنزلوا عليها ، وحاربوها . واخذوها في ذلك اليوم ، وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها » .

« ثم صعد يشوع وجميع اسرائيل معه مـــن عجلون الى حبرون ، وحاربوها . واخذوها بحد السيف مع ملكها ، وكل مدنها ، وكل نفس بها . **لم يبق شاردا** ، حسب كل ما عمل بعجلون **فحرمها وكل نفس بها .**

ثم رجع يشوع وكل اسرائيل معه الـــى دبير ، وحاربها ، واخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف ، **وحرموا كل نفس فيها . لم يبق شاردا** » .

فضرب يشوع كل ارض الجبل والسهل والسفوح ، وكل ملوكهـــا . **لم يبق شاردا** . بل حرم كل نسمة ، **كما امر يهوه اله اسرائيل .**

واخذ يشوع جميع اولئك الملوك ، وارضهم ، دفعة واحدة . لان يهوه اله اسرائيل حارب عن اسرائيل . يشوع ١٠/٢٨ » .

ثم دفع الرب ملك حاصور وملك مادون وملك شمرون وملك اكشاف ، بيد اسرائيل « فضربوهم حتى **لم يبق له شارد .. حرموهم ، ولم تبق نسمة** .. كما امر الرب موسى . هكذا امر موسى يشوع . وهكذا عمل يشوع . لم يهمل شيئا من كل ما امر به الرب موسى . فاخذ يشوع كل تلك الارض .. واخذ جميع ملوكها . وضربهم وقتلهم .. لانه كان **من قبل الرب ان يشدد قلوبهم حتى يلاقوا اسرائيل للمحاربة** ، **فيحرموا** . فلا تكون **عليهم رأفة** ، **بل يبادوا كما امر الرب موسى** . يشوع ١١/١ » ..

وهكذا كانوا اذا دخلوا بلدا منتصرين ، فتكوا بالرجال والاطفال ، وسبوا النساء ، وهتكوا الاعراض ، واباحوا كل شيء لجندهم نهبا وتقتيلاً . ويهوه يشد ازرهم ويبارك خطاهم .

وكانت عبارة « **حرم كل نفس** » و « **لم يبـــق شاردا** » بمثابة القرار او اللازمة في كل نشيد يمجد عملية فتك وابادة .

وحرب الابادة كان قد قررها يهوه منذ ما اعطى ارض كنعان لمختاريه . وكلف اسرائيل تنفيذ قراره . فكان دخولهم ارض فلسطين ، واستيلاؤهم على اجزاء صغيرة منها ، مصحوبا بمجازر وحشية ، ذهب ضحيتها الاف الاشخاص ، بالاضافة الى الحيوانات التي كان يهوه يتنسم رائحة الرضى اثناء حرقها على مذبحـــه .

نفس السيرة : وحشية يهوه ، وحقده الذميم ، وجوعه للدم . ونفس الاسلوب : اذبح ، اقتل ، حرم ، لا تبق شاردا ..

فاليهود قديما ، انتصروا في بعض المعارك بتنفيذ وصايا يهوه : الذبح والفتك والافناء والتدمير . واليوم ينتصرون بالاسلوب ذاته . ففي التاسع من نيسان ١٩٤٨ كانت لهم مجزرة وحشية في دير ياسين . بقروا بطون الحوامل ، وطعنوا الشيوخ وفتكوا بالأطفال و « لم ينج احد » . هـــي اللازمة ذاتها كانت تكررفي كـــل نشيد يمجـــد عملية فتـــك وبادة ، اثناء استيلائهم الاول على مرتفعات فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد .

حرب الابادة ، لايقاع الرعب في النفوس . واستلام الارض خالية من السكان . لان من يبقون يكونون اشواكا في اعينهم ومناخس في جوانبهم ،

كما قال لهم الههم يهوه . هكذا فعلوا قديما ، وهكذا يفعلون حديثا . قال قائد المجزرة الوحشية في دير ياسين « لولا انتصارنا في دير ياسين ، لم تقم دولة اسرائيل » .

من العيب ان تسال : لمـــاذا ؟

واذا سالت ، يجيبك كاتب يهـــودي اميركي ، هـــو وليم زوكرمان رئيس تحرير الجويش كرونيكل الصادرة في نيويورك . يقول « ان اعضاء الارغون ، مستعملين السلاح الابيض ، والقنابل اليدوية ، قتلوا من دون اي سبب ٢٥٤ عربيا من اصل ٥٣٠ من سكان قرية دير ياسين . ومعظم تلك الضحايا كان من النساء والاطفال . اما الباقون فقد نقلوا الى القدس حيث عرضوا في الشوارع ، ليبصق عليهم اليهود (٢٧) » .

ويجيبك ايضا احد قادة الارغون بقوله « يجب ان نقاتـل ، وان نستولي ، وان نملك (٢٨) » .

أرأيت كيف كانت تتم عملية تنظيف القرى العربية من سكانهـــا : القتل بوحشية ، ودب الذعر في نفس من تبقى حيا .

هو مخططهم للاستيلاء على أرض الميعاد ، « حيث لا مكان لمجموعات كبيرة من السكان الغرباء ، والاعداء . كما قال احد المراقبين (٢٩) » .

مخططهم ان يجعلوا من الذعر جيشا يطرد السكان الامنين من امامهم . فكانت التحذيرات من مكبرا تالصوت تجوب شوارع القدس ، تنشر الفزع والرعب « اهربوا من القدس لكي لا يكون مصيركم مصير دير ياسين » (٣٠) .

وقد خلفت مأساة دير ياسين ، حسب راي الصليب الاحمر في فلسطين انذاك ، « ذعرا عاما . حاول اليهود تشجيعه دوما بشكل حاذق » .

وبعد ايام قلائل ، وفي ١٣ نيسان ١٩٤٨ بدأت عملية ارهابية جديدة . كان هدفها الرئيسي تطهير المنطقة الواقعة شرقي الجليل ، من السكـــان الفلسطينيـــين .

وقد انجزت بعد ذلك عملية هجوم ارهابي موجهة ضد حيفا . ودام ذلك طيلة يوم ٢١ نيسان . وانتهت العملية بطرد خمسين الف فلسطيني . وبعد ذلك سقطت المدينة بيد الصهيونيين (٣١) .

وفي ١٩٤٨/١١/٥ جرى تهجير سكان قرية عرقيت ، في الجليل الغربي ، بالقـــوة .

---

٢٧ — راجع كتاب مع الكلمة الصافية لقاسم الشواف . دمشق ١٩٦٩ ص ٤٤٣ .

٢٨ — المرجع السابق ص ٤٤٢ نقلا عن « نيويورك هيرالد تريبيون ١٠ نيسان ١٩٤٨ » .

٢٩ — المرجـع السابـق ص ٤٤٣

٣٠ — نقلها كما سمعها ، الكاتب الفلسطيني سامي هداوي .

٣١ — قاسم الشواف مع الكلمة الصافية ص ٤٤٢ .

وفي ١٩٤٨/١١/١٥ جرى تهجير سكان قرية كفارفير عام ، بالقــوة
وفي ١٩٤٩/١١/٤ طرد معظم سكان قرية كفار عنان بالقوة ، الى خارج الحدود .كما قام الجيش بهدم البيوت .
وفي ١٩٤٩/١١/٢٨ اعتقل في قرية كفار ياسر ٧٠٠ عربي لجأوا اليها من قرى اخرى . والقي بهم خارج الحدود .
وفي ١٩٥٠/١/٢٤ قامت وحدات الجيش بطرد سكان قرية غبسي العربية بالقوة الى خارج الحدود .
وفي ١٩٥٠/٧/٧ اخرج ما يقرب من الفين من العرب بالقوة ، مــن البلاد . وكانوا يؤلفون سكان مدينة مجدل عسقلان .
وفي ١٩٥١/١١/١٠ طرد سكان ١٣ قرية عربية صغيرة في وادي عارا بالقوة ، الى خارج الحــــدود .
وفي ايلول من عام ١٩٥٣ طرد سكان قرية ام الفرج الى خارج الحدود . وجرى تدمير القرية .
وفي ٩٥٦/١٠/٢٩ حدثت مذبحة كفار قاسم . اذ ذبحوا فيها الرجال والنساء والاطفال جميعا (٣٢) .
وهكذا تمكنت العصابات الصهيونية ، بالارهاب وبالمجازر الوحشية ، من طرد معظم الفلسطينيين من اراضيهم ، ومن ثم احتلالها ، واقامة دولة اسرائيـــل فيهـــا .
وبهذه الطريقة ذاتها قامت مذابح عين الزيتون ، وصلاح الديـــن ، في نيسان ١٩٤٨ . وبنفس الطريقة حرثت القرى التي استولى عليها جيش الدفاع الصهيوني في عدوان ١٩٦٧ . وشرد الوف والوف من المواطنــــين الفلسطينيين . وهاجمت الغوغاء المسلحة ، الاحياء العربية في القدس في ١٩٦٨/٨/١٨ ، واعتدت على السكان العزل ، وعلى ممتلكاتهم .. ولا ننسى الاعمال الانتقامية على مخيم الكرامة بتاريخ ٢١ اذار ١٩٦٨ . وعلــى اربد بتاريخ ٤ حزيران ١٩٦٨ . وعلى السلط بتاريخ ٤ آب ١٩٦٨ .
هي القاعدة التي ارساها كتاب الكتب « التوراة » وعمق جذورها في افكار بني صهيون . ولذلك قال حكماء اسرائيل « ان التوراة والسيف انزلا من السماء سوية » . وقال وايزمن في كتاب « التجربة والخطأ » « ان اللجوء الى العنف والارهاب ، والاستعداد للتعاون مع الشر ، قوة لها فوائدها في تحقيق الوطن القومي اليهودي » . وقال مناحيم بيغن زعيم حزب حــيروت الاسرائيلي ، في كتاب « الثورة » « انا احارب اذن انا موجود » .

ثم يعدد كاتب العهد القديم ، الملوك الذيــن ضربهم بنو اسرائيل ، وامتلكوا ارضهم . فبلغوا واحدا وثلاثين ملكا « يشوع ١/١٢ » .

« وشاخ يشوع ، فقال له الرب : انت قد شخت ، تقدمت في الايام . وقد بقيت ارض كثـــيرة للامتلاك . هذه هـــي الارض الباقية : كل دائرة

---

٣٢ — راجع يوري ايفانوف — احذروا الصهيونية . ترجمة داود . دمشق ١٩٦٩ ص ١٩٦

الفلسطينيين .. كل ارض الكنعانيين .. كل لبنان .. انا اطردهم من امام اسرائيل . انما اقسمهـا بالقرعة لاسرائيـل ملكا كما امـرتك . يشوع ١٣/١ » .

وفعل يشوع كما أمره الرب . فبدأ يقسم الارض بالقرعة .

كذا .. يقسمون اراضي الشعوب بالقرعة . ولمَ لا ؟ فالامر بابادة شعوب كنعان ، واعطاء ارضهم لبني اسرائيل ، صادر عن يهوه . ومـن يقوى على تغيير مشيئة الرب ، أو نقض احكامـه ؟

وكان اجتماع « كل جماعة بني اسرائيل في « شيلوه » . ونصبوا هناك خيمة الاجتماع . واخضعت الارض قدامهم . وبقي من بني اسرائيل من لم يقسموا نصيبهم سبعة اسباط .

فقال يشوع لبني اسرائيل : حتى متى انتم متراخون عـن الدخول لامتلاك الارض التي اعطاكم اياها يهوه ، اله آبائكم ؟ هاتوا ثلاثة رجال من كل سبط ، فارسلهم ، فيقومـوا ويسيروا في الارض ، ويكتبوهـا بحسب انصبتهم . ثم يأتوا الي . ويقسموها الى سبعة اقسام .. واوصى يشوع الذاهبين لكتابة الارض قائلا : اذهبوا وسيروا في الارض ، واكتبوها . ثم ارجعوا الي . فالقي لكم هنا قرعة امام الرب في شيلوه . يشوع ١٨ » .

ويمضي الكاتب في الفصول اللاحقة ، يحدد ارض كل سبط كمـا « خرجت القرعة » . وانتهى في خاتمة الفصل الواحد والعشرين الى القول « **فاعطى الرب اسرائيل جميـع الارض التي اقسم ان يعطيهـا لآبائهم . فامتلكوها ، وسكنوا بها** . يشوع ٢١/٤٣ » .

ثم « دعا يشوع جميع اسرائيل وشيوخه ورؤساءه وقضاته وعرفاءه . وقال لهم : تقدمت في الايام . وانتم قد رايتم كل ما عمل الرب الهكم بجميع اولئك الشعوب من اجلكم . لان الرب الهكم هو المحارب عنكم . انظـروا **قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين** ملكا حسب اسباطكم .. والرب هو ينفيهم من امامكم ، ويطردهم من قدامكم . فتملكون ارضهـم كما كلمكم الرب الهكم .. فلم يقف احد قدامكم الى هذا اليوم . رجل واحد منكم يطرد الفا ، لان الرب الهكم هو المحارب عنكم كما كلمكم . يشوع ٢٣ » .

واذا ما سألت : لماذا حكم يهوه على هذه الشعوب بالقتل والتدمير ، ومنح ارضهم لاخرين ؟ كان جواب « العهد القديم » بأن الله اراد ابادتهم لارجاسهم ، ولانهم عبدوا الهة سواه . ولذلك نزل عليهم غضب الله بعنف وحشي . وصارت أرضهم من نصيب شعبه المختار .

اذن فيهوه حكم عليهم باقتلاع جذورهم من الارض التي نشأوا فيها ، وعمروها . وبرميهم في تنور الحرق والابادة ، لانهم عبدوا الهة اخرى .

هنا نتساءل ، بأسف مريـر وحسرة ضارية : ولماذا كان ينسى او يتناسى اتباعه اليهود كلما انصرفوا عنه الى عبادة الهة اخرى ؟. لدرجـة كان التحول عنه ديدنهم ، وكان غفرانه لهم ابداً وصفحه عنهم دائما .

شروط يهـــوه

ولا ينسى يشوع ان يذكرهم بشروط يهوه لامتلاك الارض . اولهـا : **عدم مخالطة الشعوب** ، اصحاب الارض . « ولكن اذا رجعتم ولصقتـم ببقية هؤلاء الشعوب ، اولئك الباقين معكم . وصاهرتموهم ، ودخلتم اليهم وهم اليكم ، فاعلموا يقينا ان الرب الهكم لا يعود يطرد اولئك الشعوب من امامكم . فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا في اعينكم ، حتى تبيدوا عن تلك الارض الصالحة التي اعطاكم اياها الرب الهكم . يشوع ١٢/٢٣ » .

وثانيها : **عدم معاهدة الشعوب** « فلا تقطعوا عهدا مع سكان هـذه الارض . قضاة ٢/٢ » .

والشرط الثالث : عبادة يهوه . فكان كل قائد يخاطبهم بلسان يهوه ، كي يدخل في روعهم ان كل ما ينسبونه لانفسهم من انتصارات ، هو بمعجزات من يهوه ، وبفضل قيادته لهم . امـا الشرط الرابـع والمهم ، **فهو ابادة الشعوب** . وقد راينا ان وصايا يهوه ، وفرائضه ، واحكامه ، وشرائعه ، تكاد تنحصر في شيء واحد ، هو ابادة الشعوب ، وتدمير مظاهر العمران ، وتمليك الارض لاتباعه ، بني اسرائيـل .

هذه بعض شروط يهوه لامتلاك الارض في القديم . وحديثا قال موشيه منوحن في حديث ضمنه ذكرياته من هجرته الى فلسطين عام ١٩٠٤ « وحتى في الايام الاولى ، ١٩٠٤ ، اخذت تظهر بوادر نزعة حربية ، وشهوة الـى القتال بين اليهود . فكانت الخطوات الاولية : « لا تعاملوا طبيب عربي » ، « لا تشتروا من تاجر عربي » ، « لا تشتروا من بقال عربي ، او من بائع فواكه متجول عربـي » .

« وقد تمثلت البوادر الاولى لهذا الغزو في الشعار « على اليهود ان يشتروا المنتوجات اليهودية فقط » . وعندما كان احد بائعي الخضر العرب يأتي الى تل ابيب ، ليبيع بضاعته ، كان يتحلق حوله المتعصبون مـن الصهاينة ، فيقلبون عربته على الارض ، ويدوسون على بضاعته من الخضر ، وسط اعجاب الجمهور الفوغائي بالعمل « القومي » . وكان رجال الشرطة اليهود سرعان ما ينسحبون من مكان الحادث . ويتوارون عـن الانظار ، حتى يزعموا ، ان سئلوا في ما بعد ، انهم لم يروا شيئا (٣٣) » .

اما يهوه ، واضع الشروط ، فقد « راينا بعد اطلاعنا على كتاب العهد القديم ، اله اسرائيل « **يهوه** » **متعصبا** ، **مترمتا** . اختار شعبه اسرائيل .

---

٣٣ — مذكرات موشيه منوحن عن هجرته الى فلسطين عام ١٩٠٤ . ترجمت ونشرت في مجلة شؤون فلسطينية . العدد — ٨ — نيسان ١٩٧٢ .

وفوض لهم التسلط على اموال واعراض واملاك جميع العالم . (٣٤) . وهو اله خاص بهم . يكلم انبياءهم وقوادهم ويفرض عليهم ابادة الشعوب .

ويهوه وحده من بين جميع الهة الشرق القديم ، يصدر اوامره بافناء ، او تشريد الكنعانيين ، والاستيلاء على اراضيهم واملاكهم ، ووهبها الى قبيلته الخـــاصة .

وقد جعل اتباعه اصحاب الحق الابدي في ارض كنعان ، التي كانت حدودها تتطور حسب ظروف حياتهم وقوة رغبتهم ، التي هي انعكاس لمشاعرهم في الاستيلاء . ففي وعد تكون الارض غربي الاردن ، وفي اخر تكون الارض على ضفتي الاردن ، وفي ثالث تمتد حدود الارض من الفرات الى النيل . **وقد بررت اسفار العهد القديم اغتصاب ارض الاخرين بالعنف والحرب والتذبيح** ، لان يهوه وعدهم بها . ولن ينكث يهوه بوعده . فما عليهم الا تجريد السيوف ليكونوا ادوات فتك بيد يهوه ، رب الجنود .

والوعـــــــد !

رب سائل : اما كان اله ابراهيم قادرا على طرد الامم من قـــــدام اليهود ، من دون سفك دماء ؟ لماذا لم يشق الارض لتبتلعهم ، كما فعل مع بعض الافراد والجماعات ؟ وما دام « الله » قد جعل ارض كنعان ميراثهم ، وخصهم بها من دون سائر الامم . لماذا لم يدخلهم اليها بسرعة وسهولـــة ؟ وما دامت الارض قد اضحت لهم بعد صدور وعد « الله » بها . لماذا لـــم يدخلوا ارض كنعان بعد خروجهم من مصر مباشرة ، ليستلموا الميراث الذي خصهم « الله » به ؟ لماذا دامت معارك الاستيلاء ، وعلى اجزاء صغيرة من فلسطين ، زهاء ثلاث مائة سنة ؟ اكانوا عاجزين عن قهر اهل البلاد ؟ لماذا لم يساعدهم « الله » ما دام الامر امره ؟ والاكثر من ذلك انه طالما كرر امامهم قوله : سأطرد من امامك الشعوب وابيد الامم .

وفي الفصل الاخير من سفر يشوع ، يلخص الكاتب ابرز الوقائع في حياة بني اسرائيل . من ابراهيم الى يشوع . يقول « وجمع يشوع جميع اسباط اسرائيل الى شكيم . ودعا شيوخ اسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم . فمثلوا امام الرب . وقال يشوع لجميع الشعب : هكذا قال الرب اله اسرائيل . اباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر ، تارح ابو ابراهيم . وعبدو آلهـــة اخرى . فاخذت ابراهيم اباكم ، وسرت به في كل ارض كنعان ، واكثرت نسله ، واعطيته اسحق ، واعطيت اسحق يعقوب وعيسو ، واعطيت عيسو جبل سعير ليملكه . واما يعقوب وبنوه فنزلوا الى مصر وارسلت موسى وهارون ، وضربت مصر ، ثم اخرجتهم . ودخلتم البحر ، وتبع المصريـــون اباءكم بمركبات وفرسان الى بحر سوف . فصرخوا الى الرب ، فجعل ظلاما

---

٣٤ — راجع كتاب اسرائيل بنت بريطانيا البكر للشيخ الدكتور محمد علي الزعبي ص ٩٢

بينكم وبين المصريين . وجلب عليهم البحر فغطاهم . واقمتم في الثغر اياما كثيرة . ثم اتيت بكم الى ارض الاموريين الساكنين في عبر الاردن . فحاربوكم، ودفعتهم بيدكم ، فملكتم ارضهم ، واهلكتهم من امامكم .. ثم عبرتم الاردن ، واتيتم الى اريحا . فحاربكم اصحاب اريحا ، الاموريون والفرزيون ، والكنعانيون والحثيون والجرجاشيون والحويون واليبوسيون ، فدفعتهم بيدكم. وارسلت قدامكم الزنابير ، وطردتهم من امامكم . لا بسيفك ولا بقوسك . واعطيتكم ارضا لم تتعبوا عليها ، ومدنا لم تبنوها ، وتسكنون بها . ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون . يشوع ٢٤ » .

وفي سفر القضاة يتابع الكاتب سرد قصة الغزو . فيفتتح السفر بقوله « وكان بعد موت يشوع ان بني اسرائيل سألوا يهوه « القائد » قائلين : من منا يصعد الى الكنعانيين أولا لمحاربتهم ؟ فقال يهوه : يهوذا يصعد .. ودفع يهوه الكنعانيين والفرزيين بيدهم ، فضربوا منهم في بازق عشرة الاف رجل .. **وحارب بنو يهوذا اورشليم ، واخذوها وضربوها بحد السيف ..** واشعلوا المدينة بالنار . قضاة ١/١ » . ثم يقول الكاتب « **وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم** . فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في اورشليم الى هذا اليوم . قضاة ١/٢١ » .

وكأن الكاتب نسي ما قاله في الفصل ذاته ، وقبل عشرة اسطر بالتحديد ان « بني يهوذا حاربوا اورشليم واخذوها .. » .

وكان الكاتب قد وقع قبلا في مثل هذا التناقض .فقد ذكر في سفر يشوع ١٠/١١ ان بني اسرائيل قتلوا ملك اورشليم بين الملوك الخمسة الذين علقوهم على الخشب واما الشعب الهارب فقد « رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء » . وفي يشوع ١٥/٦٣ قال « **واما اليبوسيون الساكنون في اورشليم ، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم** . فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اورشليم الى هذا اليوم » .

والكاتب ينسب كل انتصار الى معجزة يهوية ، كناية عن رضى يهوه عنهم . وكل انهزام الى غضب يهوه .

فقد برر الكاتب عدم قدرتهم على احتلال ارض كنعان ، بغضب يهوه عليهم ، فقال ان « اقطاب الفلسطينيين الخمسة ، وجميع الكنعانيين ، والصيدونيين ، والحويين .. قد تركهم الرب لامتحان اسرائيل . قضاة ٣/٣ » . لان بني اسرائيل « قطعوا عهدا مع سكان هذه الارض .. وتركوا الرب اله ابائهم ... وساروا وراء الهة اخرى من الهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها ، واغاظوا الرب . تركوا الرب وعبدوا البعل ، وعشتاروت . قضاة ١٢/٢ » .

كذا .. **الرب تخلى عنهم لانهم قطعوا عهدا مع سكان الارض ..**

وجدير بالملاحظة ان الكاتب يؤكد هنا ان الرب ترك جميع الكنعانيين . وقد نسي ، كعادته ، ما قاله في سفر يشوع ٤٣/٢١ « ان الرب اعطى اسرائيل جميع الارض » . وطبيعي ان عبارة « جميع الارض » تتضمن

ارض كنعان .. التي تعتبر بمثابة النقطة التي دارت حول محورها جميع وعود يهوه .

ونسي ايضا ما ذكره في سفر يشوع ١١/٢٤ « فحاربكم اصحاب اريحا .. والكنعانيون .. فدفعتهم بيدكم » . وأيضا نسي ما قاله في سفر القضاة ٤/١ من ان الرب « دفع الكنعانيين والفرزيين بيدهم .. فحاربوهم وضربوهم » كما قال في الفصل ذاته وبعد عشرة اسطر بالتحديد ان بني اسرائيل « ضربوا الكنعانيين . قضاة ١٧/١ » .

وعندما تنبه الكنعانيون لخطر القبيلة الغازية ، التي « **تلحس كل ما حولهم ، كما يلحس الثور خضرة الحقل** . عدد ٤/٢٢ » . « **ولا تنام حتى تأكل فريسة ، وتشرب دم قتلى . عدد** ٢٤/٢٣ » . راحوا يعملون على اقتلاع خيامها من مرتفعاتهم ، وقذفها خارج تخومهم . فكان القائد او الملك الاسرائيلي ، وجاء الكاتب فيما بعد ، يعيد هزائمهم ، امام الكنعانيين ، الى غضب يهوه عليهم . في محاولة لجمع قلوبهم بيهوه ، وسوقهم بأوامره التي هي اوامر القائد ، الى الاستبسال في المعارك ، وتطبيق منهج الفتك والابادة ، والابقاء على الرابطة الحميمة ، الايمان بيهوه ، التي تشدهم بعضهم الى بعض ، كلما شتتهم الشعوب ، ومزق شملهم اصحاب الارض .

يقول الكاتب :

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب . فشدد الرب عجلون ملك موءاب ، على اسرائيل .. وضربهم .. **فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك موءاب ثماني عشرة سنة** .. قضاة ١٢/٣ » .

« وصرخ بنو اسرائيل الى الرب . فاقام لهم مخلصا ، اهود ابن جيرا .. فارسل بنو اسرائيل بيده هدية لعجلون .. فعمل اهود لنفسه سيفا ، وتقلده تحت ثيابه . وبعد ان قدم الهدية لعجلون .. قال : لي كلام سر اليك ايها الملك . وعندما خرج الحاضرون ضربه بالسيف في بطنه ، ثم نادى بني اسرائيل وقال لهم « اتبعوني لان الرب قد دفع اعداءكم الموءابيين ليدكم .. فضربوا من موءاب في ذلك الوقت نحو عشرة الاف رجل .. وذل الموءابيون في ذلك اليوم تحت يد اسرائيل . قضاة ١٥/٣ » .

وهكذا نلاحظ انه عندما اذلهم عجلون ، ملك موءاب ، ثماني عشرة سنة ، اعادوا ذلك الى غضب يهوه عليهم ، بسبب عملهم الشر في عينيه . وعندما اغتال اهود بن جيرا ، ملك موءاب ، تحرروا ، الى حد ما ، من سيطرة موءاب عليهم ، نسبوا ذلك الى رضى يهوه عنهم .

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت اهود . **فباعهم الرب بيد يابين ، ملك كنعان** ، الذي ملك في حاصور . قضاة ١/٤ » .

وقد نسي الكاتب ما ذكره قبلا من أن يشوع « اخذ حاصور ، وضربها وملكها بالسيف .. وضربوا كل نفس بها بحد السيف . حرموهم ، ولم تبق نسمة . واحرق حاصور بالنار . يشوع ١٠/١١ » .

« وعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ، **فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين** .. وكان لما صرخ بنو اسرائيل الى الرب بسبب المديانيين ، ان الرب ارسل رجلا نبيا » هو جدعون . « وكان لما اجتمع جميع المديانيين والعمالقة وبني المشرق .. انروح الرب لبس جدعون فضرب بالبوق . فاجتمع بنو اسرائيل . قضاة ٦/١» . « **فقال الرب لجدعون : ان الشعب الذي معك كثير علي لادفع المديانين بيدهم ، لئلا يفتخر علي اسرائيل ، قائلا : يدي خلصتني** . قضاة ٧/١ » .

فامره بانتقاء الشجعان منهم . « فرجع من الشعب اثنان وعشرون الفا ، وبقي عشرة الاف ٧/٣ » ثم انتقى ثلاثمائة رجل من العشرة الالاف ، « وكان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حالين في الوادي كالجراد في الكثرة ٧/١٢ » وكانت خطة جدعون ان « قسم الثلاث مئة الرجل الى ثلاث فرق ، وجعل ابواقا في ايديهم كلهم ، وجرارا فارغة ، ومصابيح في وسط الجرار .. فجاءوا ، وضربوا بالابواق وكسروا الجرار التـــي بأيديهم .. وامسكوا المصابيح بايديهم اليسرى .. **وضرب الثلاث المئين بالابواق . وجعل الرب سيف كل واحد بصاحبه** .. فهرب الجيش ٧/١٥ » . وكان « نحـــو خمسة عشر الفا كل الباقين من جميع جيش بني المشرق . **والذين سقطوا مئة وعشرون الف رجل** ٨/١٠ » .

ثم امسك جدعون ملكي مديان ، وقتلهما « وازعج كل الجيش .. وذل مديان امام بني اسرائيل . قضاة ٨/١٢ » .

فيهوه ــ القائد يقف من قبيلته ابدا موقف الند للند . ولشد ما كان يعاتبهم، او يلصق المنن في وجوههم ، او يفاخر بما فعله لاجلهم . وكاني به ، في هذه الحادثة ، توجس خيفة من السنتهم الطويلة ، او شعـــر بتعاليهم عليه ، وادعائهم بأن يدهم خلصتهم ، لا يد الرب . فانتقى ثلاثمائة رجل ، ولبس روح الرب جدعون . **وكانت معركة المصابيح والابواق** ، فسقط من بني المشرق مئة وعشرون الف رجل . كذا .. ويهوه ، تبعا لارادة الكاتب ، يكافىء أتباعه، ويثيبهم على اطاعتهم لاوامره .واكثرها يشدد على الفتك بالشعوب وابادة الامم .. ويعاقب قبيلته على تمردها وعصيانها . واكثر ما يكون عقابـــه لهم .. يداب على تسليمهم الى أيدي إعدائهم . فاذا ما عادوا الى يهـــوه ، واظهروا ندمهم ، انقذهم بمعجزة يهوية .

يقول الكاتـــب :

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب ، **وعبدوا البعليـــم والعشتاروت والهة ارام والهة صيدون والهة موءاب والهة بنـــي عمون والهة الفلسطينيين** . وتركوا الرب ، ولم يعبدوه . فحمي غضب الـــرب على اسرائيل . **وباعهم بيد الفلسطينيين** وبيد بني عمون . فحطموا ورضضوا بني اسرائيل **ثماني عشرة سنة** ..

فصرخ بنو اسرائيل الى يهوه قائلين : اخطانا اليك ، لاننا تركنا الهنا وعبدنا البعليم . فقال الرب لبني اسرائيل .. وانتم قد تركتموني ، وعبدتم آلهة اخرى . لذلك لا اعود اخلصكم . امضوا واصرخوا الى الآلهة التي اخترتموها . فقال بنو اسرائيل . انقذنا هذا اليوم . وازالوا الآلهة الغريبة من وسطهم ، وعبدوا يهوه فضاقت نفسه بسبب مشقة اسرائيل . قضاة ١٠/٦ » .

« وكان يفتاح الجلعادي جبار باس . وهو ابن امراة زانية .. فاجتمع اليه رجال بطالون «مرتزقة» ، وكانوا يخرجون معه .

وكان بعد ايام ان بني عمون حاربوا اسرائيل .. فقال شيوخ جلعاد ليفتاح : تعال وكن قائدا لنا ، فنحارب بني عمون .. ثم جعله الشعب عليهم راسا وقائدا .. فارسل يفتاح الى ملك بني عمون ، يقول : مالي ولك ، انك اتيت الي للمحاربة في ارضي ؟ . فقال ملك بني عمون لرسل يفتاح : لان اسرائيل قد اخذ ارضي ، عند صعوده من مصر .. فالان ردها بسلام » . فارسل يفتاح الى ملك بني عمون قائلا « عند صعود اسرائيل من مصر .. ارسل الى ملك ادوم قائلا دعني اعبر في ارضك . فلم يسمع ملك ادوم . وارسل ايضا الى ملك موءاب .. فلم يرض .. ثم ارسل الى سيحون ملك الاموريين » فلم يقبل . « فدفع يهوه اله اسرائيل سيحون وكل شعبه ليد اسرائيل . فضربوهم ، وامتلكوا كل ارض الاموريين ، سكان الارض ..

والان . يهوه ، اله اسرائيل ، قد طرد الاموريين من امام شعبه اسرائيل . افانت تمتلكه ؟ **اليس ما يملكك اياه « كموش » الهك تمتلك ؟ وجميع الذين طردهم يهوه الهنا من امامنا فاياهم نمتلك ؟** . قضاة ١١ » . .

كان هذا الاعتقاد سائدا بين القبائل والشعوب في الشرق القديم . وهو ان لكل قبيلة الها يطرد من امامها الشعوب ، ويملكها الارض . ويهوه لا يعدو ان يكون اله حرب قبلي ، من النوع الذي يالفه الباحث في ارباب القبائل في الشرق القديم ، حيث كان لكل قبيلة او شعب او مملكة اله ينصرها في الحروب ويملكها الارض .

ويهوه ابدا الى جانب بني اسرائيل . يرعاهم بعينيه ، ويشنف اذنيه لصراخهم ، ويتنسم رائحة الرضى من مذابحهم . وحين يحل بهم الضيق ، كان يهوه يفرج كربتهم ، ويخفف عنهم وطأة الازمات التي تحيق بهم .

ويهوه لا عمل له الا طرد الشعوب ، وتمليك الارض لاتباعه ، بني اسرائيل . « ولا غرو ، فيهوه ، اله التوراة ، إن هو الا اله قبلي . ينحصر واجبه في العناية بقبيلته . فهو يخولهم حق ارتكاب كل ما هو في مصلحتهم . من حصول على الغذاء والثراء ، وامتلاك الارض الخصبة ، والنساء . كما انه يدافع عن تطلعاتهم وشهواتهم . انه باختصار يبرر كل ما يرتكبه شعبه المختار من المعاصي (٣٥) » .

---

٣٥ ــ راجع تاريخ العرب واليهود للدكتور احمد سوسة ط ٤ دمشق ص ٦

ويهوه اباح لاتباعه سفك الدماء ، وانتهاب الارزاق ، والاستيلاء على الارض ، بالاسلوب الذي يشاءون ، وبالطريقة التي يقدرون . بالقسوة والعنف ، أو بالغدر والاحتيال ، أو بالخيانة والخداع .

ويهوه حين يفرض قانون الابادة ، يبيح لشعبه ما يراه مناسبا في تنفيذ عملية الفتك والابادة . فقد تكون غدرا ، كما فعل يشوع في عاي . وقد تكون غيلة ، كما فعل اهود بن جيرا ، حين اغتال ملك عجلون . وقد تكون مباغتة ، كما فعلوا حين احالوا عرس الكنعانيين الى مناحة .

من هنا يتضح لك ان اليهود قبيلة بدوية .ظهرت حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وتبنت معتقدات دينية ، غايتها الاستيلاء على اراضي الاخرين . وقد استولوا على مرتفعات فلسطين ، ثم دحروا . وقد كانت مثل هذه الحوادث طبيعية .

ويتضح لك ان اليهود نظروا الى الله من خلال مطامعهم السياسية ، ومطالبهم الدنيوية . فرأوا فيه اداة تصل بهم الى تحقيق اهدافهم ، ووسيلة تؤدي بهم الى اشباع شهواتهم المادية . فجاء فكرهم الديني يحبل بالمطامع الارضية ، والمكاسب السياسية ، فلا يلد غير المذابح البشرية والكوارث الحضارية . وكان الفكر اليهودي الديني مريضا بكراهية الشعوب ، والحقد عليها . تتناهبه رغبات ضارية في الفتك والتدمير . لان شهوة الاستيلاء على املاك الاخرين كانت تفور في نفوس اليهود . لم يستطيعوا ارواء نهمها ، ولم يقدروا على كبتها . فكانت مطامعهم الارضية تشدهم الى الحضيض . بينما كانت معتقدات الامم التي عرفوها واحتكوا بها ، تسمو بالانسان الى درجة الاتحاد مع الاله صانع الكون .

وبعد السبي والتشتت في نواحي الارض ظلت « ارض اسرائيل » هي المحور في كتاباتهم الدينية ، وفي فكرهم القومي . وغدا انبعاث شعب اسرائيل على ارضه عنصرا رئيسيا في الفكر اليهودي الديني . او كما يقول كاتب يهودي (٣٦) : « وظلت ارض اسرائيل في كتاباتهم الدينية ، وفي فكرهم القومي ، قلب الامة اليهودية . وغدا انبعاث شعب اسرائيل على ارضه عنصرا رئيسيا في الفكر اليهودي الديني والاجتماعي . وغدا وجود الفرد خارج البنى السياسية والدينية المرسومة للشعب ، امر الوان شقائه » .

وعندما كان الفلسطينيون يسيطرون على قبائل اسرائيل المنتشرة في بعض مرتفعات فلسطين . كان الكاتب يعيد عملية خضوعهم للفلسطينيين الى غضب يهوه عليهم . وعندما يتحررون من اسارهم ، يردها الى رضى يهوه عنهم .

نفس الاسلوب كرره الكاتب عشرات المرات : عمل بنو اسرائيل الشر ، فدفعهم يهوه الى يد الفلسطينيين او الكنعانيين او ليد اي فئة اخرى . فيكون

---

٣٦ — شموئيل اتينغر — الفكر الصهيوني المعاصر — مركز الابحاث — بيروت ١٩٦٨ ص ٣٣

ويصرخون ويزيلون الالهة الغريبة من وسطهم . فيندم يهوه على فعلته ، ويعمل على انقاذهم ، بأن يرسل لهم نبيا او بطلا اسطوريا ، ينقذهم باعاجيب اشبه بأعاجيب يهوه ومعجزاته .

يقول الكاتب « ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب ، **فدفعهم ليد الفلسطينيين اربعين سنة** . وكان رجل من صرعة .. اسمه منوح . وامرأته عاقر ، لم تلد . فتراءى ملاك الرب للمراة ، وقال لها : ها انت تحبلين وتلدين ابنا .. ولا يعل موسى راسه .. وهو يخلص اسرائيل من يد الفلسطينيين ..

ثم ولدت المراة ابنا ، ودعت اسمه **شمشون** ..وابتدأ روح الرب يحركه . قضاة ١٣ » .

اما كيف خلص شمشون قومه ، بني اسرائيل من يد الفلسطينيين ؟ فبسلسلة من الاعاجيب اشبه بالاساطير . وبنفس الاسلوب الذي التزمه الكاتب . اعني به اسلوب المنطق التبريري . فكاتب العهد القديم ، او قل ان « يهوه كان يطلب علة على الفلسطينيين .. المتسلطين على اسرائيل . قضاة ٤/١٤ » تكون بمثابة دافع لشمشون كي ينتقم لبني قومه من الفلسطينيين . فلم يجد ما يبرر الانتقام غير قصة هي اشبه بنسيج الوهم والخيال . مفادها ان شمشون احب امرأة من بنات الفلسطينيين . وفيما هو ماض اليها ، في احد الايام ، التقى « بشبل اسد . فحل عليه روح يهوه ، فشقه كشق الجدي ، وليس في يده شيء .. ولما رجع بعد ايام .. مال لكي يرى رمة الاسد . واذا دبر من النحل في جوف الاسد مع عسل . فاشتار منه واكل . قضاة ١٤ » .

ثم اقام شمشون وليمة في بيت المراة . « فاحضروا له ثلاثين من الاصحاب » . فطرح عليهم احجية مشروطة . فان حلوها يعطيهم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب . وان لم يقدروا اعطوه مثل ذلك . « قال لهم : **من الآكل خرج اكل ، ومن الجافي خرجت حلاوة** . قضاة ١٤/١٤ » .

وعندما لم يستطيعوا حل الاحجية ، « قالوا لامرأته تملقي رجلك ، لكي يظهر لنا الاحجية ، لئلا نحرقك وبيت ابيك بنار » . وعندما اطلعها شمشون على حل الاحجية ، اطلعت قومها عليها . فقالوا له « اي شيء احلى من العسل ، وما اجفى من الاسد ؟ » . فقال لهم ، وقد ادرك ما فعلته امرأته « لو لم تحرثوا على عجلتي لما وجدتم احجيتي . **وحل عليه روح الرب** ، فنزل الى اشقلون ، وقتل منهم ثلاثين رجلا ، واخذ سلبهم . واعطى الحلل لمظهري الاحجية . قضاة ١٥/١٤ » .

وكأن الكاتب شعر بأن هذا المبرر غير كاف لانتقام شمشون من الفلسطينيين . فابتدع مبررا اخر .. جعل اب المراة يعطيها زوجة لصاحب شمشون . « فأمسك شمشون ثلاث مئة ابن آوى ، واخذ مشاعل ، وجعل ذنبا الى ذنب ، ووضع مشعلا بين كل ذنبين في الوسط . ثم اضرم المشاعل نارا ، واطلقها بين زروع الفلسطينيين . فاحرق الاكداس والزورع وكروم

الزيتون .. ثم نزل واقام في شق صخرة عيطم . قضاة ١٥/٤ » .

« وصعد الفلسطينيون . ونزلوا في يهوذا .. فقال رجال يهوذا : لماذا صعدتم علينا ؟ فقالوا لكي نوثق شمشون .. فنزل ثلاثة الاف رجل من يهوذا الى شق صخرة عيطم وقالوا لشمشون : اما علمت ان **الفلسطينيين متسلطون علينا** ؟ ٩/١٥ » . ثم أوثقوه ، وسلموه الى ايدي الفلسطينيين . وعندما صاح الفلسطينيون للقائه ، **حل عليه روح الرب** فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككتان احرق .. ووجد **لحي حمار طريا** ، **فاخذه** ، **وضرب به الف رجل** .. ثم رمى اللحي من يده .. **فشق الله اللحي** ، **وخرج منه ماء فشرب** . قضاة ١٥/١٤ » .

وكأن الكاتب شعر ايضا بأن هذا المبرر غير كاف لانتقام شمشون من الفلسطينيين . فابتدع مبرراً اخر ، هو زواج شمشون من دليلة ، التي وعدت اقطاب الفلسطينيين بأن تطلعهم على سر قوته . وما زالت به في تملق والحاح حتى « كشف لها كل قلبه . وقال لها : لم يعل موسى رأسي .. فان حلقت تفارقني قوتي . فانامته على ركبتيها ، وحلقت سبع خصل رأسه » . وعندما انتبه من نومه « ولم يعلم ان الرب قد فارقه .. فاخذه الفلسطينيون . وقلعوا عينيه .. ثم دعوا شمشون من بيت السجن ، فلعب امامهم ، واوقفوه بين الاعمدة .. وكان البيت مملوءا رجالاً ونساء . وعلى السطح نحو ثلاثة الاف رجل وامراة ، ينظرون لعب شمشون .. فدعا شمشون الرب ، وقال : يا سيدي يهوه . اذكرني وشددني هذه المرة ، فانتقم نقمة واحدة من الفلسطينيين . وقبض شمشون على العمودين المتوسطين ، اللذين كان البيت قائما عليهما . واستند عليهما . الواحد بيمينه والاخر بيساره . وقال شمشون : لتمت نفسي مع الفلسطينيين ، وانحنى بقوة ، فسقط البيت .. فكان الذين اماتهم في موته اكثر من الذين اماتهم في حياته . قضاة ١٦/١٧ » .

جميع الانتصارات التي نسبوها الى انفسهم ، كانت بمعجزات من الههم وقائدهم ، يهوه . حتى الابطال او الانبياء الذين يرسلهم يهوه لانقاذهم كانوا يحققون مالدعوه من انتصارات باعاجيب شبيهة بما يفعله يهوه .

فشمشون **شق الاسد** كشق الجدي ، وليس في يده شيء . وشمشون حل عليه روح الرب ، فقتل ثلاثين من الفلسطينيين ، واعطى حللهم لمظهري الاحجية . **وشمشون امسك ثلاث مئة** ابن آوى . وشمشون حل عليه روح الرب ، فكان الحبلان اللذان اوثقه بهما الفلسطينيون ككتان احرق . وشمشون ضرب بفك حمار الف رجل . ثم شق « الله » الفك ، فخرج منه ماء . وشمشون **انحنى على العمودين** اللذين كان البيت قائما عليهما ، فسقط البيت . وكم كان هذا البيت كبيراً وواسعا حتى يحمل على سطحه **ثلاثة الاف رجل وامراة** ؟ وكم كان العدد في الداخل ؟ والبيت يستند على عمودين .

ولا ننسى ان الرب **فارق شمشون مع حلق شعره** .

وشمشون هذا « قضى لاسرائيل عشرين سنة . قضاة ١٦/٣١ » .

فبعد موت يشوع دبت الفوضى في القبائل العبرية ، حتى ظهر القضاة الذين اضفى عليهم كتاب العهد القديم ، صفة الابطال الاسطوريين . وما هم الا رؤساء مرتزقة كجدعون وشمشون .

وهكذا يمكن ان نلخص اسلوب حياة بني اسرائيل ، في جميع مراحل حياتهم التوراتية ، بدورة واحدة . يعصون انبياءهم ، وينصرفون عن عبادة الههم الى عبادة الهة اخرى . فيهددهم يهوه ، اوالقائد الناطق باسم يهوه . وربما انزل العقاب الصارم بهم . فيرفعون اصواتهم بالندم والبكاء . فيرضى عنهم ربهم ، ويطرد الشعوب من امامهم . ثم يعودون الى العناد وعصيان الانبياء .. وهكذا ..

اما الشعوب التي يسلطها يهوه على اتباعه ، بهدف التكفير عن ذنوبهم ، فكان يدفعها ليد بني اسرائيل متى شاء . وكل شخص او شعب ، يقع بين ايدي بني اسرائيل ، يكون الرب قد دفعه اليهم . وعليهم ان يبيدوه او يستعبدوه أو يسخروه ، كما تقول شريعتهم .

حرب الغدر والمباغتة

وبعد موت شمشون « لم يكن ملك في اسرائيل . وفي تلك الايام كان سبط الدانيين يطلب له ملكا للسكنى . لانه الى ذلك اليوم لم يقع له نصيب في وسط اسباط اسرائيل . فأرسل بنو دان خمسة رجال منهم .. لتجسس الارض »

ولما لم يكن لهم في تلك الاثناء نبي أو ملك يتصل بيهوه ، وياخذ المشورة والراي منه . فقد بعث الكاتب في طريقهم كاهنا ، احضره بطريقة عجيبة . « قالوا له : اسأل من الله ، لنعلم هل ينجح طريقنا الذي نحن سائرون فيه . فقال الكاهن « كما اراد له الكاتب ان يقول » اذهبوا بسلام .. فجاءوا الى لايش . وراوا **الشعب ساكنين بطمانينة** ، كعادة الصيدونيين ، مستريحين ، مطمئنين . وليس في الارض مؤذ .. وهم بعيدون عن الصيدونيين . وليس لهم امر مع انسان » .

ثم رجع الرجال الخمسة الى قبيلتهم وقالوا « لا تتكاسلوا عن الذهاب ، لتدخلوا ، وتملكوا الارض . عند مجيئكم **تاتون الى شعب مطمئن** . والارض واسعة . ان الله قد دفعها ليدكم » . ويقول الكاتب انهم « جاءوا الى لايش ، الى شعب **مستريح ، مطمئن . وضربوهم** بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار . ولم يكن من ينقذ . لانها بعيدة عن صيدون . ولم يكن لهم امر مع انسان . قضاة ١٨ » .

« **تجسس الارض .. شعب مستريح ، مطمئن** .. لم يكن من ينقذ ، لانها بعيدة عن صيدون » . **اما استولوا قديما على الارض بهذه الطريقة ؟**

قبيلة همجية . جمعهم موسى برهبة اله عنيف . وساقهم بالترغيب والترهيب للاستيلاء ، كما اوهمهم ، على أرض العسل واللبن .

وعلى ابواب الارض ، كانوا يرسلون الجواسيس : « انظروا الى

الارض ، والشعب الساكن فيها . اقوي هو ام ضعيف ؟ قليل ام كثير ؟ وما هي المدن التي هو ساكن فيها ؟ امخيات ام حصون ؟ عدد ١٣/١٧ » .

فكانوا يغيرون على « شعب مطمئن » ، او مناطق معزولة « ولم يكن من ينقـذ » .

وحديثا . **اما استولوا على الارض بالطريقة ذاتها ؟**

اما حاول صهاينة اليوم ان يعيدوا على ارض فلسطين تاريخهــم البدائي ، وسيرة ماضيهم الوحشي الغاشم ؟ اما مثل بن غوريون وعصبته نفس الدور الذي لعبه اسلافهم على ارض فلسطين ؟

ففي ١٤ و ١٥ تشرين الاول ١٩٥٣ ، مثلا ، هاجم ، تحت جنــح الظلام ، ٦٠٠ جندي بمدافعهم ورشاشاتهم وقذائفهم وصواريخهم ، مباغتة وغدرا ، قرية « قبية » الآمنة ، المطمئنة ، المعزولة على بعد ثلاثة كيلومترات في داخل المملكة الاردنية . فدمروها . وقتلوا كل من وقع بين ايديهم من الرجال والنساء والاطفال . وذبحوا حتى الحيوانات . (٣٧)

وفي ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ هاجموا قرية « كفر قاسم » مساء ، عند رجوع الرجال منحقولهم الى منازلهم . فقتلوهم جميعا ،بعيدا عن القرية .

وكما فعلوا باهل قبية وكفرقاسم الآمنين ، المطئنين ، كذلك هجموا ، مباغتة وغدرا ، على قرية نحالين في ٢٨ و٢٩ اذار ١٩٥٤ . وغزة في ٨ شباط ١٩٥٥ . وخان يونس في ٣١ آب .والبطيحة في ١١ كانون الاول . وقلقيلية ١٩٥٦ . والتوافيق في ١ شباط ١٩٦٢ والسموع في ١٣ تشريــن الثانــي ١٩٦٦ .

وهناك عشرات . بل مئات القرى التي ابادوا سكانها ، او شردوهم ، وهدموا منازلهم ، ليقيموا على أنقاضها مستعمرات صهيونية جديدة .

التابــوت ـ الجيش

وفي سفر صموئيل الاول يستمر الكاتب في سرد قصص الصراع بــين اصحاب الارض ، وبين اليهود الغزاة . يقول « وخرج اسرائيل للقـــاء الفلسطينيين للحرب .. **فانكسر اسرائيل امام الفلسطينيين** .. وقال شيوخ اسرائيل لماذا كسرنا اليوم الرب امام الفلسطينيين ؟ لناخذ لانفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب ، فيدخل في وسطنا ، ويخلصنا من يد آعدائنا » . ويقــول الكاتب ان « الفلسطينيين خافوا لانهم قالوا قد جاء الله الى المحلة .. ويل لنا . من ينقذنا من يد هؤلاء الالهة ؟.. تشددوا » . ويتابع الكاتب قائلا « فحارب الفلسطينيون ، وانكسر اسرائيل ، وهربوا كل واحد الى خميته .. وسقط من اسرائيل ثلاثون الف رجل . واخذ تابوت الله . صم ١ ٤/٧ » .

---

٣٧ ــ اسرار المؤامرة الصهيونية لعبد الله النجار ص ٦٩

يقول الكاتب : «فاخذ الفلسطينيون تابوت الله .. وادخلوه الى بيت «داجون» الههم» . ويظهر ان تابوت «الله» الذي عجز عن ضرب الفلسطينيين فيقلب المعركة مع اسرائيل ، كان قادرا على ضربهم في مواطنهم ، بعيدا عن اجواء المعارك واصداء الحروب . فقد « ثقلت يد الرب على الاشدوديين » اهل اشدود الفلسطينيـــين « واخربهـــم وضربهـــم بالبواسير في اشدود وتخومها . صم١ ٥/٦ » . فنقلوه الى جت . « فكانت يد الرب على المدينة باضطراب عظيم جدا . وضرب اهل المدينة من الصغير الى الكبير . ونفرت لهم البواسير ٩/٥ » . فارسلوا التابوت الى عفرون . فكانت « يد الله ثقيلة جداً هناك . والناس الذين لم يموتوا ضربوا بالبواسير ١٢/٥ » .

اما اهل بيت شمس فقد « ضرب منهم خمسين الف رجل وسبعين رجلا ١٩/٦ » .

« وصرخ صموئيل ، الذي قضى لاسرائيل كل ايام حياته ، الى يهوه ، من اجل اسرائيل . فاستجاب له يهوه . . وعندما تقدم الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل ارعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين ، وازعجهم . فانكسروا امام اسرائيل . صم١ ٩/٧ » . ثم تجمع الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل . فاختبأ الاسرائيليون في المغاير والغياض والصـــخور والابار . صم١ ٦/١٣ » .

ارايـــت الى امجاد بني اسرائيـــل ؟

« وكان في يوم الحرب انه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذي مع شاول .. لانه لم يوجد صانع في كل ارض اسرائيل .. بل كـــان ينزل كل اسرائيل الى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته ومنجله وفاسه ومعوله . صم ١ ١٩/١٣ » .

ارايت الى حضارة بني اسرائيل وعمرانهم ؟.

شاول

ثم خلص بنو اسرائيل من استعباد الفلسطينيين . كيف ؟ من الطبيعي ان يكون الخلاص بمعجزة يهوية . وكيف ؟ يقول الكاتب « صعد يوناثـــان بن شاول ، وحامل سلاحه ، الى الفلسطينيين ، فقتلا نحو عشرين رجلا . صم ١ ١٤/١٤ » .

« وكان ارتعاد في المحلة ، وفي جميع الشعب .. ورجفت الارض . فكان ارتعاد عظيم . واذا بسيف كل واحد على صاحبه . لان تابوت الله كان في ذلك اليوم مع اسرائيل .. ثم جاء شاول ، والشعب الذي معه الى الحرب .. وخلص الرب اسرائيل في ذلك اليوم . صم ١ ٢٣/١٤ » .

والملاحظ انه لم يحدث من قبل ان ارتعد الشعب او ارتجفت الارض ، رغم ان عدد القتلى كان عشرات الالاف . اما الان ، فرجلان من بني اسرائيل قتلا نحو عشرين رجلا من الفلسطينيين ، ادى الى ارتجاف الارض ، وارتعاد عظيم . لماذا ؟ لان الكاتب اراد ذلك . فلم يجد ما يبرر به خلاص بني اسرائيل من سيطرة الفلسطينيين غير هذا السبب .

وبعد هذا الانتصار العجيب الذي حققه بنو اسرائيل على الفلسطينيين .

قال صموئيل لشاول : « يقول رب الجنود .. الان اذهب ، واضرب عماليق ، وحرموا كل ماله ، ولا تعف عنهم . **بل اقتل رجلا وامراة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا** . صم ١ ١٥/٣ » .

لمـــاذا ؟

لان يهوه لا يريد لاتباعه ، بني اسرائيل ، مجاورة الشعوب ، خوفا من تلوث شعبه الخاص بنجاسة الامم . فهو يأمر بافناء العشائر الفلسطينية والكنعانية ، وسلبها ، واحراق بيوتها وزروعها . ويطلب من اتباعه ان يبقروا بطون الحوامل ، ويفطموا الرضعان بشبا السيف . واذا تباطـأ اليهود في تنفيذ قرارات الابادة ، واوامر الافناء ، حضر ملاك الرب علـى اجنحة البرق ، يهدد ويحذر على التباطؤ والتقاعس ، ويطلب الاسراع في افناء ممالك كنعان ، وتطهير الارض من نجاسة الامم ، لتكون موطىء قدمي يهوه ، ومحلا لبيته ، وتطهير الارض من نجاسة الامم ، لتكون موطىء قدمي تقربا ليهوه وزلفى .

وفي هذه الحادثة خالف شاول اوامر رب الجنود . فعندما « ضرب عماليق .. وحرم جميع الشعب بحد السيف ، عفا شاول عن أجاج ، ملك عماليق ، وعن خيار الغنم والبقر والخراف . ولم يرضوا ان يحرموها . صم ١ ١٥/٧ » .

اما يهوه ، « اله المحبة والرأفة والحنان » ، فقد تملكه الغضب ، وملأ قلبه السخط . وكلم صموئيل قائلا « ندمت على اني جعلت شاول ملكا . ١٥/١٠ » .

لمـــاذا ؟

لان شاول ، بعفوه عن خيار الغنم والبقر ، قــد خالف ارادة يهوه « وعمل الشر في عيني الــرب . صم١ ١٥/١٩ » . فاسترد الرب عهده مع شاول بأن يجعل من ذريته ملوكا على اسرائيل الى الابد . ثم استغاب شاول . يقول الكاتب « قال الرب لصموئيل : حتى متى تنوح على شاول . وانا قد رفضته .. املأ قرنك دهنا وتعال ارسلك الى يسى ، لاني قد رأيت لي في بنيه ملكا . فقال صموئيل للرب كيف اذهب ؟ ان سمع شاول يقتلني . فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر ، وقل قد جئت لاذبح للرب . وادع يسى الى الذبيحة ، وانا اعلمك ماذا تصنع . وامسح لي الذي اقول لك عنه . ففعل صموئيل كما تكلم الرب . وجاء الى بيت لحم ، فارتعد شيوخ المدينــة عند استقباله ، وقالوا : اسلام مجيئك ؟ فقال : سلام . قد جئت لاذبح للرب . تقدسوا ، وتعالوا معي الى الذبيحة . وقدس يسى وبنيه ، ودعاهم الى الذبيحـــة .

وكان لما جاءوا انه راى اليآب ، فقال : ان امام الرب مسيحه . فقال الرب لصموئيل : لا تنظر الى منظره وطول قامته ، لاني قد رفضته .. فدعا يسى ابيناداب وعبره امام صموئيل . فقال : وهذا ايضا لم يختره الرب .. وعبر يسى بنيه السبعة امام صموئيل . فقال صموئيل ليسى : الرب لم يختر هؤلاء .. هل كملوا الغلمان ؟ فقال : بقي بعد الصغير ، وهوذا يرعى

الغنم : فقال صموئيل ليسى : ارسل وات به ، لاننا لا نجلس حتى ياتي الى هنا . فارسل واتى به . وكان اشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر . فقال الرب قم امسحه لان هذا هو . فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط اخوته . وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا . صم ١ ١٦ » .

فالرب أمر نبيه صموئيل با نيعمل من وراء ظهر شاول لصالح داود . ورسم له خطة قائمة على الحيلة والمكر والدهاء ، حين اظهر له صموئيل خوفه من شاول .

ملك الملوك

وهكذا وقع اختيار يهوه على شمشون أخر ، هو داود . داود الذي « امسك الاسد من ذقنه وقتله . صم ١ ١٧/٣٥ » . كما قتل الدب ايضا . وتمكن بحجر المقلاع أن يقتل الجبار الفلسطيني جليات ١٧/٥٠ . « فلما راى الفلسطينيون ان جبارهم قد مات هربوا ١٧/٥١ » . كما يقول الكاتب .

وكان من الطبيعي ان يبيت شاول الشر لداود . لانه راى فيه منافسا له على السلطة . وحاول اكثر من مرة نصب الشراك له ، والبطش به . ولكنه لم يفلح (٣٨) . فالتجأ داود الى مغارة « **واجتمع اليه كل رجل متضايق ، وكل من كان عليه دين ، وكل رجل مر النفس . فكان عليهم رئيسا . وكان معه نحو اربع مئة رجل . صم ١ ٢٢/١** » .

« واشتهر داود والرجال الذين معه . صم ١ ٢٢/٦ » **فكون منهم جيشا من المرتزقة** . وعندما جد شاول في استقصاء اخباره ، وملاحقته ، هرب داود الى الفلسطينيين ، واقام بينهم . ثم « **حارب الفلسطينيون اسرائيل ، فهرب رجال اسرائيل ، وسقطوا قتلى في جبل جلبوع . صم١ ٣١/١** » وقتل شاول واولاده الثلاثة .

« ولما راى جميع رجال اسرائيل الذين في الوادي ، انهم قد هربوا ، وان شاول وبنيه قد ماتوا ، تركوا مدنهم وهربوا . فاتى الفلسطينيون وسكنوا بها . أخبار ١ ١٠/٧ » .

بعد موت شاول انقسمت القبيلة الاسرائيلية الى فخذين : يهوذا ، ملك عليهم داود . واسرائيل ، ملك عليهم ايشبوشت بن شاول . « وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبين بيت داود صم ٢ ٣/١ » . وبعد سبع سنين انضم الفخذان ، وملك عليهما داود .

كان داود لا ياتي امرا الا براي يهوه . فقد ساله يوما « أأصعد الى

---

٣٨ ــ لقد افرد الكاتب اربعة عشر فصلا من سفر صموئيل الاول ، للحديث عن الصراع بين شاول وبين داود . واظننا بغنى عن تفصيلها والتعليق عليها في هذا الكتاب .

الفلسطينيين ؟ اتدفعهم ليدي ؟ فقال يهوه لداود : اصعد ، لاني دفعا ادفع الفلسطينيين ليدك .. فضربهم داود . صم ٢ ١٩/٥ » .
وفي يوم اخر كان يهوه هو القائد ، وهو المحارب . فقد « قال لا تصعد . بل در من ورائهم .. وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس اشجار البكا .. اذ ذاك يخرج الرب امامك لضرب محلة الفلسطينيين . صم ٢ ٢٣/٥ » .

« وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين .. وضرب الموءابيين .. وضرب هدد عزر ، ملك صوبة .. واخذ منه الفا وسبع مائة فارس وعشرين الف رجل .. فجاء ارام دمشق لنجدة هدد عزر . فضرب داود من ارام اثنين وعشرين الف رجل . وجعل داود محافظين في ارام دمشق . وصار الاراميون لداود عبيدا ، يقدمون هدايا . وكان يهوه يخلص داود حيثما توجه . صم ٢ ١٨ » . ويقول الكاتب ان داود « قتل من ارام سبع مئة مركبة واربعين الف فارس .. صم ٢ ١٨/١٠ » .

وداود الذي احرز كل هذه الانتصارات ، وقتل كل هذه الالاف ، وجعل محافظين في ادوم كلها ، وفي ارام دمشق . فتن عليه ابنه ابشالوم الذي « استرق قلوب رجال اسرائيل . صم ٢ ٦/١٥ » . « وارسل جواسيس في جميع اسباط اسرائيل قائلا : اذا سمعتم صوت البوق ، فقولوا قد ملك ابشالوم في حبرون . وانطلق مع ابشالوم مئتا رجل من اورشليم .. وكانت الفتنة شديدة . وكان الشعب لا يزال يتزايد مع ابشالوم . فاتى مخبر الى داود قائلا : ان قلوب رجال اسرائيل صارت وراء ابشالوم . فقال داود لجميع عبيده الذين معه في اورشليم : قوموا بنا نهرب ، لانه ليس لنا نجاة من وجه ابشالوم . اسرعوا للذهاب ، لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ، ويضرب المدينة بحد السيف . صم٢ ١٥/ ١٠ » .

« وصعد داود في جبل الزيتون باكيا ، وراسه مغطى ، ويمشي حافيا . وجميع الشعب الذين معه ، غطوا كل واحد راسه ، وهم يبكون ..
« وقيل لداود : ان اخيتوفل « مشير داود » بين الفاتنين مع ابشالوم . صم ٢ ٣٠/١٥ » .
وراح داود الملك ، المتخفي في قمة الجبل ، يرسل الجواسيس ، متسقطا اخبار ابنه الذي فتن عليه ، وملك في حياته . وجاءه من يقول « هوذا ابشالوم مقيم في اورشليم ، لانه قال اليوم يرد لي بيت اسرائيل مملكة ابي . صم ٢ ١/١٦ » .

« ولما جاء الملك داود الى بحوريم ، اذا برجل خارج من هناك ، من عشيرة بيت شاول ، يسب ويرشق بالحجارة داود ، وجميع عبيد الملك داود ، وجميع الشعب ، وجميع الجبابرة .. ويقول في سبه : اخرج **يا رجل الدماء** . قد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول ، الذي ملكت عوضا عنه . وقد دفع الرب المملكة ليد ابشالوم ابنك . وها انت واقع بشرك ، لانك رجل دماء . صم ٢ ٥/١٦ » .
واما ابشالوم « فقال لاخيتوفل : اعطوا مشورة . ماذا نفعل ؟ فقال

اخيتوفل لابشالوم : ادخل الى سراري ابيك اللواتي تركهن لحفظ البيت ، فيسمع كل اسرائيل انك قد صرت مكروها من ابيك . فتشدد ايدي جميع الذين معك . **فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح . ودخل ابشالوم الى سراري ابيه** ،أمام جميع اسرائيل . وكانت مشورة **اخيتوفل في تلك الايام كمن يسأل بكلام الله** . صم ٢ ١٦ /٢٠ » .

هذا ما فعله ابشالوم في اورشليم . **اما داود فكان « مختبئا في احدى الحفر** . صم ٢ ١٧ /٩ » واخيرا ، بعد سلسلة من اعمال الجاسوسية ، شب قتال بين اتباع داود ، وبين اتباع ابنه ابشالوم . « فانكسر شعب اسرائيل ، امام عبيد داود . وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم . قتل عشرون الفا صم ٢ ١٨ /٨ » . وقتل ابشالوم . فحزن عليه داود . « وصعد الى علية الباب يبكي ويقول : يا ابني ابشالوم . يا ليتني مت عوضا عنك . يا ابشالوم ابني . صم٢ ١٨ /٣٣ » . « وستر الملك وجهه ، وصرخ الملك بصوت عظيم : يا ابني ابشالوم . يا ابشالوم ابني . ياابني . فدخل يوآب « احد قواد داود » الى الملك ، وقال : قد اخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك .. لاني علمت اليوم ، انه لو كان ابشلوم حيا ، وكلنا اليوم موتى ، لحسن حينئذ الامر في عينيك . صم ٢ ١٩ /٤ » .

« واما اسرائيل فهربوا كل واحد الى خيمته . وكان جميع الشعب في خصام ، في جميع اسباط اسرائيل ، قائلين : ان الملك قد انقذنا من يد أعدائنا ، وهو نجانا من الفلسطينيين . والان قد هرب من الارض لاجل ابشالوم . صم ١٩ /٩ » .

ويقول كاتب التوراة انه « كانت حرب بين الفلسطينيين ، وبين اسرائيل . فانحدر داود ، وعبيده معه . وحاربوا الفلسطينيين ، فاعيا داود » . وقد حاول احد الفلسطينيين ان يقتل داود ، فانجده واحد من بني اسرائيل . « حينئذ حلف رجال داود له قائلين : لا تخرج ايضا معنا الى الحرب ولا تطفىء **سراج اسرائيل** . صم ٢ ٢١ /١٥ » .

رايت ؟..

هذه صورة خاطفة وسريعة لداود ، « ملك الملوك » ورجل الدماء . كما عرضها الكتاب المقدس . تحدث عن نفسها بنفسها .

بعد موت داود ، اخذ ابنه سليمان زعامة القبائل الاسرائيلية . « وكان لما اكمل سليمان بناء بيت الرب . ملوك ١ ٩ /١ » « جمع شيوخ اسرائيل ، وكل رؤوس الاسباط .. واصعدوا تابوت الرب ، وخيمة الاجتماع ، مع جميع انية القدس التي في الخيمة ... الى محراب الرب . ملوك ١ ٨ /١ » .

« ووقف سليمان أمام مذبح الرب ، تجاه كل جماعة اسرائيل . وبسط يديه الى السماء ، وقال : يا يهوه ، اله اسرائيل . ليس اله مثلك في السماء ، من فوق ، ولا على الارض من اسفل . وليعلم كل شعوب الارض ان يهوه هو الله وليس اخر .. اذا انكسر شعبك اسرائيل امام العدو ، لانهم اخطأوا اليك . ثم رجعوا ، واعترفوا باسمك ، وصلوا وتضرعوا اليك نحو هذا البيت . فاسمع انت من السماء ، واغفر خطية شعبك ، وارجعهم الى

الارض التي اعطيتها لابائهم .. اذا **اخطاوا اليك . وغضبت عليهم ، ودفعتهم الى العدو . وسباهم سابوهم الى ارض العدو** . بعيدة او قريبة .. فاذا تضرعوا اليك في ارض سبيهم .. وصلوا اليك نحو ارضهم التي اعطيت لابائهم .. فاقض قضاءهم . ملوك ١ ٨ » .

فالكاتب الذي خط هذا السفر ، على ما يظهر ، اثناء السبي البابلي . اراد من صلاة سليمان ان تكون تعبيرا عما كان يختلج في صدور بعض المسبيين من امل بالعودة الى « ارض الميعاد » .

والكاتب واحد من المسبيين ، يضنيه الحنين الى الارض . جعل مزامير الاسرائيليين ترجع التغني بالارض ، قبل أن يطردوا من الارض .

سفر الملـــــوك

عاشت مملكة سليمان عشرين عاما ، يمزقها القلق ، وينخر فيها سوس الاضطراب . وبموت سليمان يفتك بها الفقر والذل ، وتتكس رؤوسها لاهل البلاد الاصليين . ويتنازع الملك ابناؤه ومواليه . فكان الكيد والدسيسة سلاح بعضهم ، وكان الغدر والبطش سلاح البعض الاخر .

وبموته تمزقت قبائل بني اسرائيل الى فريقين متنازعين متحاربين . ملك على الاول **« اسرائيل » يربعام** بن سليمان . وملك على الثاني **« يهوذا »** رحبعام بن سليمان .

وسليمان لم يكن ، وهو في اوج مجده الا ملكا صغيرا ، تابعا . يحكم مدينة صغيرة (٣٩) . وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث انه لم تنقض بضعة اعوام على وفاته ، حتى استولى شيشنق ، اول فراعنة الاسرة الثانية والعشرين ، على اورشليم ، ونهب كل ما فيها من كنوز . يقول الكاتب « وفي السنة الخامسة للملك رحبعام ، صعـد **شيشق ، ملك مصر الى اورشليم ، واخذ خزائن بيت الرب ، وخزائن بيت الملك** ، واخذ جميع اتراس الذهب التي عملها سليمان ، ملوك ١ ٢٥/١٤ » .

اما المذبح الذي نصبه سليمان في هيكله ، فصار مربطا لعجول الاصنام ، تزلفا وقربى لليبوسيين ، اصحاب مدينة القدس .

يقول الكاتب « وكانت حرب بين يربعام ورحبعام كل ايام حياتهما . ملوك ١ ٦/١٥ » .

« وفي السنة الثامنة عشرة للملك يربعام ، ملك ابيا على يهوذا .. وكانت حرب بين ابيا وبين يربعام .. فضرب الرب يربعام وكل اسرائيل امام ابيا ويهوذا . فانهزم بنو اسرائيل من امام يهوذا . وضربهم ابيا وقومه ضربة عظيمة . **فسقط قتلى من اسرائيل خمس مئة الف رجـل مختار** . اخبار ٢ ١/١٣ » .

---

39) H.G. Wells : A Short History of the World, London, 1938. P. 77.

وكانت الحرب ابدا مشتعلة بين فريقي القبائل الاسرائيلية . وكثيرا ما كان احد **الفريقين يستعين بجيوش الشعوب المجاورة للقضاء على الفريق الاخر** ، كما فعل آسا ، ملك يهوذا . اذ « اخذ جميع الفضة والذهب الباقية في خزائن بيت الرب ، وخزائن بيت الملك ، ودفعها ليد عبيده ، وارسلهم الى بنهدد ملك ارام ، الساكن في دمشق ، قائلا : ان بيني وبينك ، وبين ابي وابيك ، عهدا .. فتعال انقض عهدك مع بعشا ، ملك اسرائيل ، فيصعد عني . فسمع بنهدد للملك آسا ، وارسل الجيوش على مدن اسرائيل ، وضربها . ملوك ١ ١٥/١٨ » .

« وكانت حرب بين اسا وبعشا كل ايامهما . ملوك ١ ١٥/٣١ » .

ثم « ملك ايلة بن بعشا على اسرائيل . **ففتن عليه عبده زمري .. وقتله** .. وافنى زمري كل بيت بعشا .. وكان الشعب نازلا **على جبثون التي للفلسطينيين** .. فملك كل اسرائيل عمري ، رئيس الجيش على اسرائيل . ملوك ١ ١٦/٨ » . « حينئذ انقسم شعب اسرائيل نصفين . نصف الشعب كان وراء تبني بن جينة ، ونصفه وراء عمري . ملوك ١ ١٦/٢١ » .

يقول كاتب العهد القديم :

« وجمع **بنهدد ملك ارام** كل جيشه ، واثنين وثلاثين ملكا معه ، وخيلا ومركبات . وصعد **وحاصر السامرة وحاربها** . وارسل رسلا الى آخاب ملك اسرائيل قائلا : لي فضتك وذهبك ، ولي نساؤك وبنوك الحسان . فأجاب ملك اسرائيل قائلا : حسب قولك يا سيدي الملك . انا وجميع مالي لك . ملوك١ ٢٠/١ » .

ورغم هذا الجواب من ملك اسرائيل . فقد رفض الكاتب ان تصدر هذه الذلة والمسكنة عن ملك اسرائيل . فكيف غير مجرى الامور ؟ قال : « واذا نبي تقدم الى آخاب ملك اسرائيل وقال : هكذا قال يهوه . هل رأيت كل هذا الجمهور العظيم ؟ ها انذا ادفعه ليدك اليوم . فتعلم اني انا يهوه . فقال آخاب : بمن ؟ فقال هكذا قال يهوه : بغلمان رؤساء المقاطعات ..

فعد غلمان رؤساء المقاطعات ، فبلغوا مئتين واثنين وثلاثين . وعد بعضهم كل الشعب ، كل بني اسرائيل ، سبعة الاف . ملوك١ ٢٠/١٣ » .

« فخرج غلمان رؤساء المقاطعات ، لملاقاة بنهدد والملوك الاثنين والثلاثين الذين ساعدوه .. وضربوا ... فهرب الارآميون ، ونجا بنهدد . ملوك١ ٢٠/١٧ » .

رايـــت ؟

بمعجزة يهوية ضرب ٢٣٢ رجلا اسرائيليا ، « **ملك ارام ، وكل جيشه ، واثنين وثلاثين ملكا معه** » . وهرب من نجا من ايديهم .

وفي السنة الثانية صعد بنهدد ليحارب اسرائيل . « فنزل بنو اسرائيل مقابل الاراميين نظير **قطيعين صغيرين من المعزى . واما الاراميون**

فملأوا الارض . فتقدم رجل الله ، وكلم ملك اسرائيل ، وقال : هكذا قال يهوه . من اجل ان الاراميين قالوا ان يهوه انما هو اله جبال ، وليس هو اله اودية ، ادفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك ، فتعلمون اني انا يهوه ..

فضرب بنو اسرائيل من **الاراميين مئة الف راجل في يوم واحد ..** وسقط السور على السبعة والعشرين الف رجل الباقين . ملوك١ ٢٠/٢٦ » .

كيـــف ؟

بمعجـــزة يهـــوية .

وقد كان انتقام يهوه رهيبا ، لمجرد اتهامهم له بأنه اله جبال ، وليس اله اودية . « واقاموا ثلاث سنين من دون حرب بين ارام وبين اسرائيل . ملوك١ ٢٢/١ » .

ثم تعاون يهوشا فاط ملك يهوذا ، وآخاب ملك اسرائيل ، على حرب ارام . **فقتل آخاب « ولحست الكلاب دمه . ملوك١ ٢٢/٣٨ »** . « وعبرت الرنة في الجند عند غروب الشمس ، فهرب كل رجل الى مدينته ، وكل رجل الى ارضه . ملوك١ ٢٢/٣٦ » .

ثم تعاون يهورام ملك اسرائيل ، ويهوشافاط ملك يهوذا ، على محاربة موءاب . فقال لهما نبي الرب ، اليشع : « هكذا قال الرب : لا ترون ريحا ، ولا ترون مطراً . وهذا الوادي يمتليء ماء .. الرب يدفع موءاب الى ايديكم . فتضربون كل مدينة محصنة ، وكل مدينة مختارة . وتقطعون كل شجرة طيبة ، وتطمون جميع عيون الماء ، وتفسدون كـل حقلة جيدة بالحجـــارة . ملوك٢ ٣/١٧ » .

ثم « بكر الموءابيون صباحا . والشمس اشرقت على المياه ، ورأى المؤابيون مقابلهم المياه حمراء كالدم . فقالوا هذا دم . قد تحارب الملوك ، وضرب بعضهم بعضا . والآن الى النهب يا موءاب .. فقام بنو اسرائيل ، وضربوا المؤابيين . فهربوا من امامهم .. وهدموا المدن . وكان كل واحد **يلقي حجرة في كل حقلة جيدة ، حتى ملأوها . وطموا جميع عيون الماء ، وقطعوا كل شجرة طيبة** . ملوك٢ ٣/٢٢ » .

فالنصر كان بمعجزة يهوية . اما هدم المدن ، وتكويم الحجارة فـــي الحقول ، وردم عيون الماء ، وقطع الاشجار الطيبة . فكان تعبيرا عن مرارة الحقد يغتلي في صدورهم وشهوة الانتقام تفح في نفوسهم .

« ثم بعد ذلك اتى بنو مؤاب وبنو عمون ، ومعهم العمونيون ، علـــى يهوشافاط للمحاربة .. فخاف يهوشافاط ، وجعل وجهه ليطلب الرب ..

وان يحزئيل .. كان عليه روح الرب .. فقال : اصغوا يا جميـــع يهوذا . هكذا قال الرب لكم : لا تخافوا بسبب هذا الجمهور الكثير ، لان الحرب ليست لكم ، بل لله ... اخرجوا للقائهم ، والرب معكم ..

وقال يهوشافاط : اسمعوا يا يهوذا سكان اورشليم . آمنوا بالـــرب الهكم فتأمنوا . آمنوا بأنبيائه فتفلحوا . ولما استشار الشعب اقام مغنين للرب

ومسبحين .. ولما ابتدأوا في الغناء والتسبيح ، جعل الرب **اكمنة على بني عمون ومؤاب وجبل ساعير ، الاتين على يهوذا . فانكسروا** . وقام بنو عمون وموءاب على سكان جبل ساعير ليحرموهم ويهلكوهم . ولما فرغوا من سكان ساعير ، **ساعد بعضهم على اهلاك بعض** . ولما جاء يهوذا الى المرتب في البرية ، تطلعوا نحو الجمهور ، واذا هم **جثث ساقطة على الارض** . ولم ينفلت احد . فاتى يهوشافاط وشعبه لنهب اموالهم .. وكانوا ثلاثة ايام ينهبون الغنيمة ..

وكانت هيبة الله على كل ممالك الارض ، حين سمعوا ان الرب حارب اعداء اسرائيل . اخبار٢ ٢٠ » .

رايت اعاجيب يهوه ومعجزاته ؟ « جعل الرب اكمنة على بني عمون .. واذا هم جثث ساقطة .. وكانت هيبة الله على كل ممالك الارض .. وساعد بعضهم على اهلاك بعض » . كيف ؟ من الطبيعي ان يكون يهوه قد ضرب قلوبهم بالعمـــى .

وبعد موت يهوشافاط « ملك يهورام ابنه عوضا عنه .. فقام يهورام على مملكة ابيه ، وتشدد ، وقتل جميع اخوته بالسيف . اخبار٢ ٢١/١ » .

« واهاج **الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب .. فصعدوا الى يهوذا ، وافتتحوها** ، وسبوا كل الاموال الموجودة في بيت الملك ، مع بنيه ونسائه ايضا . اخبار٢ ٢١/١٦ » .

رايـــــت ؟

حين انقسموا على انفسهم ، وتصارعوا بعضهم مع بعض ، كانت شعوب كنعان ، خاصة الشعب الفلسطيني ، وجيوش الامم المجاورة ، تصعد اليهم ، فتقهرهم وتذلهم . فيرحلون من مكان الى اخر ، اكثر امنا واشد اطمئنانا ، يحطون رحالهم ويضربون اطنابهم .

ويستمر الكاتب في سرد اسفار « المجد والبطولات » . يقول :

« واما ملك ارام فكان يحارب اسرائيل » . قال لعبيده يوما « في المكان الفلاني تكون محلتي . فارسل رجل الله « اليشع » الى ملك اسرائيـــل قائلا : احذر من ان تعبر من هذا الموضع ، لان الاراميين حالون هناك . فحذر الموضع ملك اسرائيل ، وتحفظ منه . وتكرر هذا الامر اكثر من مرة . فحسب ملك ارام ان بين جنده من يخونه « فاضطرب ودعا عبيده ، وقال لهم : اما تخبروني من منا هو لملك اسرائيل ؟ فقال واحد من عبيده : ليس كذا يـــا سيدي الملك . **ولكن اليشع النبي يخبر ملك اسرائيل بالامور التي تتكلم بها في مخدع مضجعك** . ملوك٢ ٦/٨ » .

ارايت الى اليشع النبي ، يعرف ما يدور في راس ملك ارام ، من خطط وافكـــار ؟

« فارسل ملك ارام خيلا ومركبات وجيشا ثقيـــلا ، وجاءوا ليلا ، واحاطوا بالمدينة ... « هي دوثان حيث يقيم اليشع » .

« وصلى اليشع الى الرب وقال : **اضرب هؤلاء بالعمى . فضربهم الرب بالعمى** ، كقول اليشع . فقال لهم اليشع : ليست هذه هي الطريق ، ولا

هذه هي المدينة . اتبعوني فاسير بكم الى الرجل الذي تفتشون عليه . فسار بهم الى السامرة . فلما دخلوا السامرة قال اليشع : يا رب **افتح اعين هؤلاء فيبصروا . ففتح الرب اعينهم** ، فابصروا ، واذا هم في وسط السامرة » .

ولكنه لم يامر بضربهم بل اولم لهم ، ثم اطلقهم . « فلم تعد جيوش ارام تدخل الى ارض اسرائيل . ملوك٢ ٦/١٤ » .

ورأيت الى يهوه ، ينفذ ما يامر به اليشع ؟ فحين قال له : اضربهم بالعمى . ضربهم الرب بالعمى ، وحين قال : افتح اعينهم . فتح الرب اعينهم .

والنصر . بمعجزة يهوية او نبوية ، كما رأيت .

ويتابع الكاتب متغنيا بملاحم هؤلاء الملوك . يقول : « وكان بعد ذلك ان بنهدد ملك ارام ، جمع كل جيشه ، وصعد ، فحاصر السامرة . وكان جوع شديد في السامرة . حاصروها حتى صار راس الحمار بثمانين من الفضة . ملوك٢ ٦/٢٤ » . وصارت المراة تاكل ابنها من الجوع..

وعندما تدخل اليشع ، وطلب النصر من الرب . استجاب له « فاسمع جيش الاراميين صوت مركبات وصوت خيل ، صوت جيش عظيم . فقالوا الواحد لاخيه : هوذا ملك اسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين . فقاموا وهربوا ، وتركوا خيامهم وخيلهم وحميرهم .. فصارت كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل . ملوك٢ ٧/٦ » .

تُرى ، لماذا لم يُسمع الرب جيش الاراميين ، صوت مركبات وصوت خيل وصوت جيش عظيم ، قبل ان يحاصروا السامرة ، ويصبح راس الحمار بثمانين من الفضة . وتصير المراة تاكل ابنها ؟

لست ادري !

ادري ان الكاتب فك الحصار بمعجزة يهوية .

ارايت الى امجاد بني اسرائيل ؟

« ثم حول حزائيل ، ملك ارام ، وجهه ليصعد الى اورشليم . فأخذ يهوآش ، ملك يهوذا ، جميع الاقداس .. وكل الذهب الموجود في خزائن بيت الرب ، وبيت الملك . وارسلها الى حزائيل ، ملك ارام . فصعد عن اورشليم . ملوك٢ ١٢/١٧ » .

« وضايقهم ملك ارام ... فلم يبق ليهوه احاز ، ملك اسرائيل الا خمسين فارسا وعشر مركبات وعشرة الاف راجل . لان **ملك ارام افناهم ، وضعهم كالتراب للدوس** حتى أعطى الرب اسرائيل مخلصا . فخرجوا من تحت يد الاراميين . واقام بنو اسرائيل في **خيامهم** . ملوك٢ ١٣/٤ » .

ويروي الكاتب في الفصل الخامس والعشرين من سفر اخبار الايام الثاني ، أن امصيا ، ملك يهوذا ، احصى من يهوذا « ثلاث مئة الف مختار .. **واستأجر** من اسرائيل مئة الف جبار بأس ، بمئة وزنة من الفضة » . فاشار عليه رجل الله قائلا : « ان الرب ليس مع اسرائيل .. فقال امصيا لرجل الله : فماذا يعمل لاجل المئة الوزنة التي اعطيتها **لغزاة اسرائيل** » .

« وضرب امصيا من بني ساعير عشرة الاف . وعشرة الاف احياء

سباهم بنو يهوذا ، واتوا بهم الـى راس سالع ، وطرحوهم . فتكسروا اجمعون . واما الرجال الغزاة الذين ارجعهم امصيا ، فاقتحموا مـدن يهوذا .. وضربوا منهم ثلاثة الاف ، ونهبوا كثيرا » .

ارايت الى شعب الله المختار ؟ استأجر من اسرائيل مئة الف جبار . « مرتزقة » وعندما قال له رجل الله : ان الرب ليس مع اسرائيل . خامره الخوف من ضياع الفضة التي استأجر بها مرتزقة اسرائيل ، من غير ان يجني منها فائدة . فضرب برأي يهوه عرض الحائط . وحارب ، وانتصر . وطبيعي بمعجزة يهوية .

ثم تواقع يهوآش ، ملك اسرائيل ، وامصيا ملك يهوذا ، في بيـت شمس « فانهزم يهوذا اما اسرائيل ، وهربوا كل واحد الى خيمته .. فجاء يهوآش الى « اورشليم » ، وهدم سورها .. واخذ كل الذهب والفضة وجميع الانية الموجودة في بيت الرب ، وفي خزائن بيت الملك . ورجع الى السامرة . ملوك٢ ١٤/١٢ » .

هذه اورشليم المقدسة ، والهيكل بيت الرب . وياتي ملك اسرائيل . يهدم الاسوار ، ويستبيح الهيكل ، ويغنم ما فيه من ذهب وفضة ، ومن تحف وآنية . ثم يموت مرضيا عنه . يقول الكاتب انه « اضطجع من ابائه ، ودفن في السامرة مع ملوك اسرائيل . ملوك٢ ١٤/١٦ » . أي قضى على الاقل غير مغضوب عليـه .

اما امصيا ، ملك يهوذا فقد « فتنوا عليه في اورشليم . فهرب الى لخيش فارسلوا وراءه ، وقتلوه هناك . ملوك٢ ١٤/١٩ » .

وفتن شالوم بن يابيش على زكريا بن يربعام ، ملك اسرائيل « وضربه امام الشعب ، فقتله ، وملك عوضا عنه .. ثم صعد منحيم بن جادي من ترصه . وجاء الى السامرة وضرب شالوم بن يابيش فقتله ، وملك عوضا عنه . ملوك٢ ١٥/٨ » .

وفي عهد منحيم هذا « جاء فول ، ملك اشور على الارض . فاعطى منحيم لفول الف وزنة من الفضة ، لتكون يداه معه ، ليثبت المملكة في يده . ووضع منحيم الفضة على اسرائيل .. ليدفع لملك اشور خمسين شاقل فضة على كل رجل . فرجع ملك اشور . ولم يقم هناك في الارض . ملوك٢ ١٥/١٩ » .

وبعد منحيم ملك ابنه فقحيا . « ففتن عليه فقح بن رمليا . وضربه في السامرة قتله وملك عوضا عنه . ملوك٢ ١٥/٢٥ » .

« وفي ايام فقح ، ملك اسرائيل ، جاء تغلث فلاسر ، ملك اشور ، واخذ عيون وابل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل .. وسباهم الـى اشور .

وفتن هوشع بن ايلة على فقح بن رمليا . وضربه ، فقتله . وملـك عوضا عنه . ملوك٢ ١٥/٢٩ » .

وهوشع هذا « صعد عليه شلمناسر ، ملك اشور . فصار هوشع له عبدا . ودفع له جزية . ووجد ملك اشور في هوشع خيانة .. فقبض

عليه ، واوثقه في السجن . وصعد ملك اشور على كل الارض . وصعد الى السامرة ، وحاصرها .. وسبى اسرائيل الى اشور » ملوك٢ ٣/١٧ » .

« واتى ملك اشور بقوم من بابل .. واسكنهم في مدن السامرة ، عوضا عن بني اسرائيل . فامتلكوا السامرة ، وسكنوا في مدنها . ملوك٢ ٢٤/١٧ » .

ثم « صعد سنحاريب ملك اشور على جميع مدن يهوذا الحصينة ، واخذها .. فوضع ملك اشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة ، وثلاثين وزنة من الذهب . فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب، وفي خزائن بيت الملك. وفي ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن ابواب هيكل الرب ، والدعائم .. ودفعه الملك اشور . ملوك٢ ١٨/١٣ » .

وسنحاريب هذا قفل راجعا الى نينوى ، كما يقول الكاتب ، « لان ملاك الرب خرج ، وضرب من جيش اشور مئة الف وخمسة وثمانين الفا . ولما بكروا صباحا ، اذا هم جميعا جثث ميتة . ملوك٢ ٣٥/١٩ » .

كيــــف ؟

طبيعي بمعجزة يهوية . ولكن ، لماذا لم يضرب ملاك الـــرب جيش اشور قبل ان يصل الى اورشليم . ويضطر حزقيا ان يدفع كل الذهـــب الموجود في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك . ويقشر الذهب من ابـــواب هيكل الرب ، والدعائم . ويدفعه الى ملك اشور ؟.

وملك يهوآحاز في اورشليم « فاسره فرعون نخو .. وغرم الارض بمئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب . ملوك٢ ٢٣/٣٣ » .

وجاء في الفصل الثامن والعشرين من سفر اخبار الايام الثاني ان «آحاز» ملك اورشليم « عمل تماثيل مسبوكة للبعليم .. فدفعه الرب الهه ليد ملك ارام فضربوه وسبوا منهم سبيا عظيما ، واتوا بهم الى دمشق ..

وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين الفا في يوم واحد .. وسبى بنو اسرائيل من اخوتهم مئتي الف من النساء والبنين والبنات . ونهبـــوا ايضا منهم غنيمة وافرة .

في ذلك الوقت ارسل الملك احاز الى ملك اشور ، لكي يساعدوه . فان الادوميين اتوا ايضا ، وضربوا يهوذا ، وسبوا سبيا . واقتحم الفلسطينيون مدن السواحل ، وجنوبي يهوذا ، واخذوا بيت شمس وأيلون وجديروت ، وسوكو وقراها ، وتمنة وقراها ، وجمزو وقراها ، وسكنوا هناك » .

في ايام يهوياقيم ،ملك اورشليم « صعد نبوخذ ناصر ، ملك بابـــل . فكان له يهوياقيم عبدا . ملـــوك٢ ١/٢٤ » . ثم « قيده بسلاسل نحاس ليذهب به الى بابل . واتى نبوخذ ناصر ببعض انية بيت الرب الى بابل . اخبار٢ ٦/٣٦ » .

وفي ايام يهوياكين ايضا « جاء نبوخذ ناصر ، ملك بابل ، الى اورشليم .. فسبى اهلها الى بابل .. واخرج من هناك جميع خزائن بيت الـــرب ، وخزائن بيت الملك .. وكسر كل انية الذهب التي عملها سليمان . ملوك٢

١١/٢٤ » .

ثم ان نبوخذ ناصر عزل يهوياكين « وملّك صدقيا اخاه على يهوذا واورشليم » ولما « عمل الشر في عيني الرب .. اصعد عليهم الرب ملك الكلدانيين . فقتل مختاريهم بالسيف ، في بيت مقدسهم . ولم يشفق على فتى او عذراء ، ولا على شيخ او اشيب . بل دفع الجميع ليده . وجمع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة ، وخزائن بيت الرب ، وخزائن الملك ، ورؤسائه ، اتى بها جميعا الى بابل . واحرقوا بيت الله وهدموا سور اورشليم . واحرقوا جميع قصورها بالنار . وسبى الذين بقوا من السيف الى بابل . فكانوا له ولبنيه عبيدا . الى ان ملكت فارس . اخبار٢ ٣٦/١٠» .

هذا عرض موجز لسجل « امجادهم » من خلال اسفارهم المقدسة . وقد رايت كيف غزوا ارض كنعان ، متسلحين بوعد الههم ، وبمجازر وحشية . هدفها ابادة السكان او تشريدهم . ونصبوا خيامهم زمنا قصيرا في بعض تلولها . يتخذون من شعابها وصخورها حصنا لهم واسوارا . ولم يتركهم اصحاب الارض ينعمون بشيء من الطمانينة او الاستقرار . فعاشوا بين كر وفر . وكانت التلول بين اخذ ورد .

وظلوا طوال فترة ملكهم القصيرة ، محاطين بممالك اكثر قوة ، وارقى مدنية ، وحضارة (٤٠) . وظلت دويلتهم ، كما رايت ، محصورة في بعض المرتفعات . وهي بنت استيلاء عابر ، طارىء ، ولم تعمر اكثر من سبعين عاما في عهدي داود وسليمان . ولم يتمتع الشعب العبراني بخفض العيش الا امدا وجيزا . فمات حيرام ، وانقطع عون صور ، الذي كانت تتقوى به اورشليم . ثم قويت شوكة مصر ثانية . واصبح تاريخ ملوك اسرائيل وملوك يهوذا ، تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرحى . تعركهما على التوالي سوريا ، ثم بابل من الشمال ، ومصر من الجنوب وهي **قصة نكبات . قصة ملوك برابرة يحكمون شعبا من البرابرة** . حتى اذا وافت سنة ٧٢١ ق.م. محت يد الاسر الاشوري مملكة اسرائيل من الوجود . وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى اسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق.م. (٤١) .

ارايت الى حياة بني اسرائيل في فلسطين ، خاصة بعد موت سليمان ؟ لقد كانت اشبه بحياة رجل اصر على الوقوف في وسط ميدان صاخب . فكان مصيره ان دهمته السيارات (٤٢) . وهكذا انتهت القرون التي عاشتها الملكية العبرانية . وكانت من بدايتها الى نهايتها ، مجرد حدث صغير على هامش احداث تاريخ مصر وسوريا واشور وفينيقيا (٤٣) .

40) E.H. Weech: «Civilization of the Near East, P. 82.
41) H.G. Wells: A Short History of the World. London, 1938. P. 78.
42) H.G. Wells: The Outline of History. P. 280.
43) Ibid. P. 282.

رؤيا الخلاص

وعندما شتتهم الاشوريون ثم البابليون ، راحوا يحلمون بالعودة الى « ارض الميعاد » . وكان كتبة العهد القديم من البراعة ان جعلوا من هذه **الاحلام نبوءات ، تدفق في صدورهم الامال ، بان يهوه سيفتقدهم** ، وينقذهم من عذاب الاسر وذل النفي ويعيدهم الى « ارض الميعاد » .

يقول كاتب العهد القديم : « وفي السنة الاولى لكورش ، ملك فارس . لاجل تكميل كلام الرب بفم ارميا . نبه الرب روح كورش ، ملك فارس . فاطلق نداء في كل مملكته ، وكذا بالكتابة قائلا : هكذا قال كورش ، ملك فارس : ان الرب اله السماء قد اعطاني جميع ممالك الارض . وهو اوصاني ان ابني له بيتا في اورشليم . من منكم من جميع شعبه . الرب الهه معه وليصعد . اخبار٢ ٣٦/٢٢ » .

بهذ الكلام ينهي الكاتب سفر اخبار الايام الثاني . ويستهل سفر عزرا « النبي » بالكلام ذاته . مضيفا اليه « يصعد الى اورشليم . فيبني بيت الرب ، اله اسرائيل . هو الاله الذي في اورشليم . وكل من بقي في احد الاماكن حيث هو متغرب فلينجده اهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم ، مع التبرع لبيت الرب . عزرا ١/٣ » .

فبعد السبي والتشتت ، والقهر والتشرد ، والشعور بالخوف ، وعدم الاستقرار . لم يبق لهم ما يبث في نفوسهم الهدوء ، ويدب في روعهم الاطمئنان ، غير الامال ، يزرعها انبياؤهم في صدورهم ، وينشرون حبل الاماني في وجوههم المتعبة . وكان الوعد بيوم الرجاء ، بالخلاص الاتي . **فرسخت في اذهانهم فكرة المسيح المخلص** ، الذي ياتي ، وينقذهم مما صاروا عليه من ذل وهوان . ويعيد لهم مجد داود وسليمان . وكانت رؤياهم عن المسيح المنتظر ، **ملكا من نسل داود** . مملكته في الدنيا **يخضع الشعوب لسيطرتهم** ، ويضع اقدامهم فوق رقاب الامم .

وحياة السبي التي عانوها عمقت في نفوسهم عقدة الحقد والكراهية للشعوب ، كل الشعوب . ومنها استوحوا اعتقادهم بمجيء المسيح الملك ، لينتقم لهم من امم الارض .

قال النبي اشعيا « ويكون في ذلك اليوم ان اصل يسى (٤٤) ، القائم راية للشعوب . اياه تطلب الامم ، ويكون محله مجدا . ويكون في ذلك اليوم ان السيد يعيد يده ثانية ، ليقتني بقية شعبه ، التي بقيت من اشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر الامم . ويرفع راية للامم . يجمع منفيي اسرائيل ، ويضم مشتتي يهوذا ،

---

٤٤ ـ يسى هـو والد داود .

من اربعة اطراف الارض .. وينقضان على اكتاف الفلسطينيين غربا ، وينهبون بني المشرق معا . يكون على ادوم وموءاب امتداد يدهما ، وبنو عمون في طاعتهما ١١/١٠ » .

لم يبق لهم ما يرووا به غلة الحقد والانتقام ، غير الحلم — النبوءة : فيذلك اليوم .. ينقضان على اكتاف الفلسطينيين . وينهبون بني المشرق . ويخضعون ادوم وموءاب وبني عمون . الشعوب التي قهرتهم واذلتهم ، ثم قذفتهم خارج تخومها ، عندما رأتهم يصلون الشعوب ، كل الشعوب ، بنار الحقد والكراهية . وكان الحلم — الرؤيا ، ان اصل يسى يقوم راية للشعوب .

هذا قديما .

وحديثا قال بن غوريون « **ان ما خلق دولة اسرائيل هو رؤيا الخلاص المسيحي المنتظر** ، لدى شعب مشتت في سائر انحاء العالم . ولكن الدولة لم تحقق الرؤيا بعد (٤٥) » .

وفي تموز ١٩٥٧ دعا بن غوريون الى مؤتمر عقائدي بمدينة القدس . وفي هذا المؤتمر اعلن ان الامل في الخلاص من النفي والتشتت . وبعبارة اخرى ، الانتظار المسيائي ، يؤلف ايمان اسرائيل . ،

ورأى ان رؤيا الخلاص عند مجيء المسيح المنتظر ، ينبغي ان تكون القاعدة التي يرتكز عليها ايمان اليهودي . وبالتالي تكون الرابط الذي يجمع الشعب اليهودي . قال « ان فكرة العودة الى صهيون ، واحياء الدولة اليهودية . ليست من اختراع بنسكر او هرتزل . فالرؤيا والامل هما بعمر الغربة ذاتها . وجل ما فعلته الصهيونية السياسية هو محاولة ارساء هذه الفكرة القديمة ، بجذورها العميقة ، في حياة الشعب اليهودي .

فليس من الممكن فهم كل ما حدث في ايامنا ، من تجديد الدولة اليهودية ، وهجرة عشرات الالاف من اليهود الذين لم يقرأوا هس وبنسكر وهرتزل ، وربما لم يسمعوا باسم الصهيونية مطلقا ، دون الالتفات الى رؤيا الخلاص على يد المسيح المنتظر . تلك الرؤيا التي تمتد جذورها الى اعماق الشعب اليهودي (٤٦) » .

وبن غوريون يرى في التوراة الاثر الاعظم قوة وتأثيرا في اليهود ، من الناحيتين : القومية والدينية . خاصة في ما يتعلق برؤيا الخلاص ، وانتظار مجيء المسيح المخلص . وهذه الرؤيا شحنت اليهودي على مر العصور بقوة وحيوية ، جعلته قادرا على مواجهة الوان المحن التي حلت به والصعوبات التي اعترضت طريقه .

نفهم من التوراة ، ومن كلام بن غوريون انه عندما استبان لهم

٤٥ — بن غوريون — بعث اسرائيل ومصيرها . ص ٤٨٩ .
٤٦ — بن غوريون — اسرائيل والدياسبورا — في كتاب الحكومة السنوي لاسرائيل ٩٥٧ .

استحالة تحقيق احلامهم في العودة ، وتشييد امبراطورية تخضع لها الامم . باستخدام طاقاتهم البشرية ، عمدوا الى ابتكار قوة خارقة ، تحقق لهم احلامهم . وراحوا ينتظرون هذه القوة في شخص داود آخر . او ما يسمى بالمسيح المنتظر .

وتشبثوا بفكرة مجيء المخلص ، الذي يجمع شمل التائهين المشردين . وهذه الفكرة هي تعبير عن الروح القومية لليهود من جهة . ومن جهة اخرى هي تاكيد لاستعدادهم الحي الخالد ابدا للعودة الى فلسطين .

وكانوا ، كلما نأى بهم التشتت عن ارض فلسطين ، كلما اشتعلوا حنينا اليها . يشرعون في جميع الوجوه احلامهم بمسيح منتظر ، يكون ملكا لهم ، وربا . يعيدهم الى فلسطين ، ويعيد لهم « مجدا » كان .

يقول حزقيال النبي « كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة . هكذا افتقد غنمي ، واخلصها من جميع الاماكن التي تشتت اليها .. واخرجها من الشعوب ، واجمعها من الاراضي ، وآتي بها الى ارضها ، وارعاها على جبال اسرائيل ، واقيم عليها راعيا واحدا ، فيرعاها عبدي داود . هو يرعاها . وهو يكون لها راعيا . وانا يهوه اكون لهم الها ، وعبدي داود رئيسا في وسطهم ٣٤/١٢ » .

« فالصهيونية والمسيانسيم ظلتا فكرة واحدة لغاية واحدة . بمعنى ان التضرع لمجيء المسيح ، الذي سوف يكون الخلاص على يده ، هو في الوقت ذاته دعاء للرجوع الى « ارض الميعاد » (٤٧) » .

اكسر :

عندما عانوا الاضطهادات المريرة عبر التاريخ ، نما في نفوسهم توق ونزوع الى مخلص ، ينقذهم من عار الخيبات التي يمنون بها ، ويخلصهم من الاضطهاد الذي يلحق بهم . فكانت نبوءة التجمع ، وفكرة مجيء مخلص ، دعوة سياسية ، آمنوا بها كباعث على التحرر من وطأة السبي ، واستعباد الشعوب لهم . وكمنطلق ديني يجمع اليهود باسم الشريعة وطقوسها وذبائحها وانظمتها ، ليعيدوا بناء مجد ، تخيلوا انه كان لهم ايام داود وسليمان .

« يقول الرب : وانا اجمع بقية غنمي من جميع الاراضي التي طردتها اليها . واردها الى مرابضها . فتثمر وتكثر .. واقيم لداود غصن بر ، فيملك وينجح ، ويجري حقا وعدلا في الارض . في ايامه يخلص يهوذا ، ويسكن اسرائيل آمنا .. لذلك ها ايام تاتي ، يقول الرب ، ولا يقولون بعد حي هو الرب الذي اصعد بني اسرائيل من ارض مصر . بل حي هو الرب الذي اصعد واتى بنسل بيت اسرائيل من ارض الشمال ، ومن جميع الاراضي التي طردتهم اليها . فيسكنون في ارضهم . ارميا ٢٣/٣ » .

---

٤٧ — من مقال لمحمد المحمصاني — جريدة فتى العرب البيروتية — ٤ ايار ١٩١٤ . والمسيانسيم نسبة الى المسيح المنتظر .

وهكذا وضعوا خطة الرجوع الى فلسطين ، وبناء الهيكل في اورشليم، ليكون عرشا للمسيح المنتظر ، الذي ياتي في سطوة زمنية . ينقذهم من حكم الدول التي استعبدتهم ، ويعيد لهم مجدا يدعون انه كان لهم في غابر الازمان .

« هكذا قال السيد يهوه : ها اني ارفع الى الامم يدي ، والى الشعوب اقيم رايتي ، **فياتون باولادك في الاحضان . وبناتك على الاكتاف يحملن .** يكون الملوك حاضنيك ، وسيداتهم مرضعاتك . **بالوجوه الى الارض يسجدون لك . ويلحسون غبار رجليك** . اشعيا ٢٢/٤٩ » .

وبمقدار ما كان شعورهم بالضعف والمهانة يقوى ، بمقدار ما كان الامل بالعودة يقوى . وراح انبياؤهم يضخمون صورة الامل ، والاطار الذي يحتضن هذه الصورة . فاذا صورة المملكة التي يحلمون ببنائها صورة خيالية، لا نظير لها في عالم الواقع ، لانها بنت خيالهم . وكان اطار تلك الصورة امبراطورية عالمية ، واسعة الارجاء ، بعيدة الحدود . يكونون فيها سادة ، وجميع الشعوب عبيدا . وتكون اورشليم عاصمة العالم .

وكلما تضاءلت امامهم فرص النجاح ، كلما قوي في نفوسهم الامل ببناء مملكة يهودية .

« ارفعي عينيك حواليك ، وانظري . قد اجتمعوا كلهم . جاءوا اليك. ياتي بنوك من بعيد . وتحمل بناتك على الايدي .. **تتحول اليك ثروة البحر ، ويأتي اليك غنى الامم** . اشعيا ٤/٦٠ » .

« وبنو الغريب يبنون اسوارك . وملوكهم يخدمونك .. تنفتح ابوابك دائما .. ليؤتى اليك بغنى الامم ، وتقاد ملوكهم . أشعيا ١٠/٦٠ » .

« ويقف الاجانب ، ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم . اما انتم فتدعون كهنة الرب . **تاكلون ثروة الامم ، وعلى مجدهم تتامرون** . اشعيا ٥/٦١ » .

« ترضعون ، وعلى الايدي تُحملون ، وعلى الركبتين تدللون . اشعيا ٢٢/٦٦ » .

بهذه التنبؤات وامثالها ، ظل امل العودة الى فلسطين دائم الاتقاد في صدورهم ، كظاهرة ورع روحية مقدسة .

ولبثوا دهرا يتخيلون المسيح الموعود ملكا صاحب عرش وتاج . يفتح بيت المقدس بالسيف ، ويعيد فيها بناء الدولة الدائلة .

وفي الاسر البابلي تعلقت آمالهم بعودة **المملكة على يد بطل من ابطال الغيب** . ولم يكن هذا البطل مقصورا عندهم على ذرية داود . بل زعموا مرة انه كورش **الفارسي** الذي سمي بالمسيح .

« هكذا **يقول الرب لمسيحه كورش** . الذي امسكت بيمينه لادوس امامه امما .. لاجل عبدي يعقو بواسرائيل ، مختاري . دعوتك باسمك . لقبتك وانت لست تعرفني . انا الرب ، وليس اخر . اشعيا ١/٤٥ » .

وعن كورش يقول اشعيا في نبوءة اخرى « انا الرب .. القائل عن كورش راعي . فكل مسرتي يتمم . ويقول عن اورشليم ستبنى ، وللهيكل ستؤسس . ٢٨/٤٤ » .

وعن كورش يقول رب الجنود ، كما تنبأ اشعيا « هو يبني مدينتي ، ويطلق سبيي . لا بثمن ولا بهديه . قال رب الجنود ٤٥/١٣ » .

طبيعي لا بثمن ولا بهدية. لان امه استير اليهودية ارضعته لبان محبة اسرائيل. فرؤيا الخلاص ، اكرر ، اصبحت تكون جبلة النفسيـــة اليهودية ، بعـد الاضطهاد والاستعباد ، في بابل وفي مصر ، وبعد التشتت في نواحي الارض . وراحوا يتطلعون ، وفي صدورهم امل وقاد ، الى مجيء مخلص ، يفتدي اسرائيل ، ويعيدهم اسيادا الى « ارض الميعاد » ويضع الامـم تحـت اقدامهم الامل الذي يضري في نفوسهم ، وكأنه تعبير عن عقدة الشعور التي تستحر في ذواتهم ، بأنهم كانوا تحت أقدام الامم .

فالنصوص التوراتية حضرت وتنبأت بمسيح يأتي ليحل مشاكل اليهود السياسية . ويبني لهم مملكة ارضية .

وقد رايت في مستهل هذا البحث ، انهم حين عجزوا عن تاسيس دولة ، واقامة ملك ، اوكلوا هذا الامر الى الههم . ومن هنا كانت جميع المعتقدات المستمدة من فرائض يهوه واحكامه ، تدور حول محور واحد هو الشؤون السياسية . وظل يهوه اسير حوادث تاريخية معينة ، وحبيس آمال سياسية خاصة بهم . كتب على نفسه امر تحقيقها أو الظفر بها . فأخضعه اتباعـه اليهود لهم ، وجعلوا منه قائدا يعمل على تحقيق نزواتهم ، حين كانوا قبائل رحلا ، يبتغون الاستقرار في قطعة ارض ، تكون وطنا لهم . فاتخذوا من يهوه الها قوميا ، وزجوه في مسالة البحث عن وطن ، وتعيين الارض . ثـم اصدار وعده بتمليكهم هذه الارض . فكان ان تسلحوا بوعد الههم ، حين فكروا بغزو الارض ، وظلوا متسلحين به في فترة حكمهـم القصيرة ، وفي حروبهم المستمرة مع أصحاب الارض الفلسطينيين والكنعانيين . حتـى انبياء يهوه . فان الغرض الاول الذي يستشفـــه الباحث من اقوالهـم وتصرفاتهم . ينحصر في ما ارادوه للشعب اليهودي من تحقيق ملكية ارض . وتثبيت هذه الملكية الى نهاية الدهور .

وكان كتبة العهد القديم من البراعة ، ان لفقوا تاريخهم بمهـــارة فائقة ، ليكون عونا لهم في تحقيق مختلف اهوائهم ونزعاتهم . ونسبوا كـل شيء الى الرب ، عبر انبيائهم الكثيرين . وذلك ليضمنوا تقبله من اتباعهم ، وفرضه على سائر الشعوب . فحين تقذفتهم الارض ، وشتتتهم جيوش بابل واشور ، في مختلف بقاع الارض ، فوضوا امر اعادتهم الى فلسطين للرب . يقول النبي ارميا « واجعل عيني عليهم ، وارجعهم الـى هـذه الارض . وابنيهم ، ولا أهدمهم . واغرسهم ، ولا اقلعهم .واعطيهم قلبـا ليعرفوني اني انا الرب . فيكونوا لي شعبا . وانا اكون لهم الها ، لانهـم يرجعون الي بكل قلبهم ٢٤/٦ » .

ويقول النبي حزقيال « ارضى عنكم حين اخرجكم من بين الشعوب ، واجمعكم من الاراضي التي تفرقتم فيها . واتقدس فيكم امام عيون الامم . فتعلمون اني انا الرب حين آتي بكم الى ارض اسرائيل ، الى الارض التي رفعت يدي لاعطي آباءكم اياها ٢٠/٤١ » .

ويقول النبي عاموس « في ذلك اليوم اقيم مظلة داود الساقطة ، واحصن شقوقها ، واقيم روحها . وابنيها كأيام الدهر .لكي يرثوا بقية ادوم ، وجميع الامم .. وارد سبي شعبي .. واغرسهم في ارضهم . ولن يقلعوا بعد من ارضهم التي اعطيتها . قال يهوه الهك ٩/١١ » .

ويقول النبي ميخا « واني اجمع جميعك يا يعقوب . اضم بقية اسرائيل ٢/١٢ » .

ويقول النبي زكريا « هكذا قال رب الجنود . ها انذا اخلص شعبي من ارض المشرق . ومن ارض مغرب الشمس . وآتي بهم ،فيسكنون في وسط اورشليم . ويكونون لي شعبا ، وانا اكون لهم الها ٨/٧ » .

اسرائيل تجسيد للرؤى والتنبؤات

فمنذ السبي الاشوري والبابلي ، وهم يرنون بحسرة الى فلسطين ، ويتطلعون بأمل ورجاء الى يوم العودة الى صهيون ، والهيكل ، وارض العسل واللبن . وبعد خراب الهيكل ، وبدء عهد الشتات ، ضري الامل وقوي الرجاء . حتى باتت التنبؤات والرؤى ، خاصة رؤيا الخلاص ، بواعث قوية ، تحدو بهم الى التجمع والتكتل ، وشحذ العزائم ، للعودة الى ارض الرب ومهد الانبياء .

وجاءت الصهيونية تتبنى تحقيق التنبؤات ، وتنفيذ رؤيا الخلاص . **فالصهيونية قائمة في جذور الديانة اليهودية . والديانة اليهودية قومية ، تجسدت في الحركة الصهيونية** . هذا ما عبر عنه بن غوريون (٤٨) عام ١٩٦٧ قال « لقد آمنا طوال الاف السنين بنبوءات انبيائنا . وبيننا اشخاص يؤمنون بمجيء المسيح الذي سيجمع يهود العالم ، امواتا واحياء ، في الارض المقدسة » .

وقال « ان الصهيونية تستمد وجودها وحيويتها وقوتها من مصدر عميق، عاطفي ، دائم . وهو مستقل عن الزمان والمكان ، وقديم قدم الشعب اليهودي ذاته . هذا المصدر هو الوعد الالهي ، والامل بالعودة » .

نفهم من كلام بن غوريون ان الحركة الصهيونية ، **ارست دولة اسرائيل في ارض فلسطين ، ايمانا منها بتنبؤات العهد القديم** . وما تزال الصهيونية العالمية تضغط على الدول التيتتمتع فيها بنفوذ واسع ، اميركا مثلا ، لساندة اسرائيل سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، لمواصلة تحقيق التنبؤات . ونفهم ايضا ان الصهيونية حركة قومية . لها جذورها في الديانة اليهودية . فلا صهيونية من دون يهودية .ولا ديانة يهودية من غير صهيونية . لان الصهيونية ، هذه الحركة القومية السياسية ، عملت ، وما فتئت تعمل بجهد هائل وقوة جبارة على جعل التنبؤات والرؤى والوعود حقيقة

---

٤٨ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٧ .

واقعية . وهل في الديانة اليهودية غير الوعود بتمليك اليهود أرض الاخرين ، والتنبؤات التي تدفق الامل في صدورهم ، وتبشر بعودتهم ، كلما كسحتهم مناجل التنكيل والاضطهاد ، واضناهم الشوق وبعد المزار .

هذه الرؤى والتنبؤات ، حملت اليهودي بعد ألفي سنة من التشتت والاضطهاد ، على تسخير جميع القوى والعوامل ، للعودة الى الارض التي حددها العهد القديم ، ليعيد عليها تاريخه القديم وسيرته الماضية . فكانت اسرائيل تجسيداً للرؤى التوراتية والتبؤات الدينية ، التي حضنها اليهود الاف السنين .

جاء في بيان مجلس الحاخامين الاعلى ١٩٣٧ قولهم :

أ — ان ارضنا المقدسة ، قد منحت لنا من قبل سيد الكون ، عن طريق ميثاق ابدي ، لكي نمارس في هذه الارض قوانين وتعاليم التوراة ، ولكي نحيا بروح التوراة . وهكذا يرتبط الشعب اليهودي الى الابد بهذه الارض ، بكل خلجات نفسه .

ب — ولما كنا قد طردنا من ارضنا ، لما ارتكبناه من خطايا ، فان الله قد وعدنا عن طريق انبيائه المقدسين ، انه سوف يحررنا مرة اخرى عن طريق المسيا . وان الايمان بهذا الوعد هو احد المبادىء الاساسية للعقيدة اليهودية .

ج — وهكذا فان **حق الامة اليهودية في ارضها المقدسة ، تمتد جذوره الى توراتنا المقدسة** ، وفي الضمانات التي اعطاها الانبياء كرسل للرب (٤٩) .

واظن ان العقل الانساني غير قادر على تقبل هذه **النبوءات** ، بغير ترجمتها الى توقعات ، او **رغبات فجة مسعورة** ، لم يستطيعوا خنق نباحها في صدورهم ، الا بوضعها على لسان آله ، ومن ثم اخذها من فم نبي . والعمل على تحقيقها ، ولو في الشعور والحلم .

وفي فورات النصر في ساحة حرب ، او الفوز في مؤتمر او محفل ، تفور هذه التنبؤات ، والتوقعات الدينية ، المترسبة في العقل الباطن عند رجالات الصهيونية . يقول بن غوريون في رسالة له « ان اليهود لم ينسوا مطلقا ارض آبائهم واجدادهم ، حيث عاشوا كشعب واحد ، ونزل عليهم الكتاب المقدس ، الذي يعتبر ذروة عظمة شعبنا . فبعد تفرقنا واضطهادنا في جميع انحاء المعمورة ، منذ الاف السنين ، عدنا للتجمع في وطننا الام ، لبناء دولة كبرى ، نجمع فيها شعبنا من جديد » .

هل يسمح لنا بن غوريون ، واي بن غوريون اخر ان نساله :

ومتى كانت ارضهم ؟ ومتى عاشوا شعبا واحدا ؟ ومن اين نزل عليهم الكتاب المقدس ؟

عرفت قصة الارض ، التي اجتاحت بعض مرتفعاتها هذه القبيلة

49) Samuel Halperin, The Political Word of American Zionism, 1961, P. 321.

الهمجية لفترة قصيرة من الزمن . ثم انحسرت عنهـــا ، مخلفة في عمرانها التدمير والتخريب . وعرفت كيف تمزقت هذه القبيلة الى بطون وافخاذ . يحتمي كل بطن تحت جناح عشيرة او شعب من اصحاب ارض . امـــا الكتاب المقدس فلم ينزل عليهم كما يدعي بن غوريون . **وانما نـزل صاحب الكتاب ، يهوه** . وقد رايت كيف كان يحضر على جناح البرق ، يكلمهم ويظهر لهم . خذ مثلا قول الكاتب « فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن ابراهيم . تكوين ۲۲/۱۷ » . « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا . تكوين ۱/۱۸ » . **والله صارع يعقوب حتى الفجر** ، كما يقول الكاتب في الفصل الثاني والثلاثين من سفر التكوين .

وفي نشوة الانتصار ايضا ، يضرب قادة الصهيونية علـى اوتـــار المشاعر الدينية المشبوبة ، لبث الحماس في النفوس ، وايقاد العواطـــف الدينية ، في سبيل تحقيق التنبؤات ، واستعادة الارض التي يدعون انها ارض آبائهم . فتراهم يستغلون الكتب والنشرات والمحاضرات والندوات ، ويسخرون آلاف المبشرين لتأويل الايات ، وتفسير التنبؤات ، بأن ما حدث ، ويحدث من وقائع وحروب . ان هو الا تحقيق لنبوءة ، او مصداق الآية . قال الحاخام الاكبر لليهود في برقية لدايان « ان وجود اسرائيل في المناطق الجديدة ، هو تحقيق لاحلام السلف من شعبنا » . والتقى معه الوزير ايغال الون في وصفه **المناطق المحتلة بانها « المناطق التي تم تحريرها »** . ورد على احد الوزراء الذي اقترف ذنبا حين نفى وجود روابط توراتية في مرتفعات الجولان وجبال حوران . وجاء في رده « **ان الجولان قطعة من اسرائيل القديمة** ، لا تقل اهمية عن الخليل ونابلس (٥٠) » .

وبعد احتلال اسرائيل للقدس العربية ، هب حاخام الجيش ينفـــخ بالبوق (٥١) ، يؤجج في الصدور العواطف الدينية الهاجعة ، ويذكي الـروح الدينية الراقدة .

وراح زعماء اسرائيل يؤكدون ان **استيلاءهم على الاراضي المحتلة ، انما هو تحقيق لما جاء في اسفار العهد القديم** . ويستحضرون بعض النبوءات ، يكبون عليها تفسيرا وتأويلا ، لدغدغة المشاعر وبلبلة الافكار وشحـــن العواطف الدينية بمزيد من الحماس الثائر والتعصب الديني الاشوه .

وقد استحدث زعماء الصهيونية مفهوما جديدا لربط اتباع الديانـــة اليهودية . اطلقوا عليه اسم « الشعب اليهودي » الذي وعـــده الهه بأرض معينة . ثم تملك هذه الارض لفترة معينة . واليوم يعود اليها ، بعد قرون من النفي والسبي والتشتت في اربع ناحيات الارض ، محققا بذلك نبوءات الكتاب المقـــدس .

واتخذوا من فكرة العودة الى « ارض الميعاد » وسيلة اثارة لحماس

---

50) 'Jerusalem Post', August 16, 1967.

٥١ — بوق يشوع بن نون .

اليهود الديني والعاطفي . ومن ثم استغلال هذا الحماس لاقتلاعهم من مواطنهم ، والسير بهم الى فلسطين ، او لانتزاع التأييد والمساندة المادية والمعنوية . فبن غوريون ظل ابدا ينادي بالعودة الى فلسطين . «والصهيوني» في رايه ، هو اليهودي الذي يريد العودة الى جبل صهيون . هو اليهودي الذي يحس انه اذا كان يعيش في اي بلد اخر ، غير اسرائيل ، فهو يعيش في منفى ، وانه آن الاوان لانتهاء عصر النفي والتشرد ، ولا بد من العودة الى ارض اسرائيل » .

ويتساءل بن غوريون ، في محاضرة لـه ، من هو اليهودي ؟ وما هي مقومات الشعب اليهودي ؟ ويجيب قائلا : « ان ما يربط بين اليهود ليس الدين اليهودي . بدليل ان الحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ، ويهود لا دينيون . ولا العنصر الواحد ، بعد تشتت اليهود الواسع في انحاء العالم . ولا اللغة الواحدة ، بدليل ان اللغة العبرية كادت تختفي تماما قرونا طويلة . ومعظم يهود العالم لا يعرفونها . ان ما ربط بين اليهود ، هو صفة اخرى اساسية هي : رؤيا العودة . الايمان بان الخلاص هو في العودة الى جبل صهيون ، حيث اقام داود معبده الاول . وما دامت دولة اسرائيل قد قامت عند جبل صهيون ، فعلى كل يهودي ان يعود اليها . ومن لا يعود ليس صهيونيا بالتاكيد » .

وفي خطاب له ، في الضباط المتخرجين من المدرسة الحربية بتاريخ ٧ حزيران ١٩٤٩ قال « **نحن لم نحرر من بلادنا سوى جزء واحد** .. واننا ننتظر الوقت الذي يتم فيه انقاذ ارض الاباء والاجداد ..

سنحقق رؤيا انبياء اسرائيل .. والشعب اليهودي سيعود الى الاستيطان في اراضي الاباء والاجداد ، الممتدة من الفرات شرقا حتى النيل غربا » .

« وجميع العسكريين الملحدين ، والصهيونيين الذين ركبهم شيطان التوسع ، يستخدمون هذه النصوص المسمومة . منذ زمن طويل ، وبصورة منهجية مدروسة ، لكي ينفذوا الى عقول شبيبتهم فيصوغوها من جديد في قوالب اطماعهم (٥٢) » . وقد اتخذوا لهم شعارا « **الشعب الذي لا ارض له ، للارض التي لا شعب فيها** » . واستطاعوا ايهام اليهود ، والعالم بأن فلسطين ارض خالية ، تنتظر عودة اليهود ليتسلموا قسمة يهوه لهم ، والميراث الذي وعدهم به .

هذا ما عبر عنه موشيه منوحن في قوله « ان ما ادهشني خلال تلك الفترة (٥٣) ، هو ما كان يسرب الى اذهاننا من خلال التعليم . اذ كان هناك بيت شعر معين ، يحشر مع الدروس ، ويلقن لنا بمناسبة وبغير مناسبة .

---

٥٢ — جاك دومال وماري لوروا — التحدي الصهيوني — ترجمة نزيه الحكيم ص ٩ .

٥٣ — « الفترة » المقصودة ، هي العقود الاولى من القرن العشرين . وقد كانت هجرة منوحن الى فلسطين عام ١٩٠٤ . وهذه المذكرات ترجمتها ونشرتها مجلة شؤون فلسطينية ، العدد — ٨ — نيسان ١٩٧٢ .

فسواء كنا ندرس عن الانبياء ، او الادب العبري ، او تاريخ الصهيونية ، او اوضاع اليهود في فلسطين ،كانوا يلقنوننا ((**عمينو**)) **اي امتنا** . ولكنهم كانوا يترجمونها بكلمة « شعبنا » . وانني الاحظ انهم يفعلون ذلك في الصحف . فحيثما ترد في الصحف الكلمة العبرية « عمينو » ، يترجمونها « شعبنا » ليخبئوا ما يضمرون . ثم هنالك كلمة ((**ارتسينو**)) اي ارضنا . فكانوا يعلموننا « عمينو » ، « ارتسينو » . ثم جاءت كلمة كانت في منتهى الغباء . ولكننا اضطررنا الى بلعها . وهي كلمة ((**مولادتينو**)) ومعناها وطننا ، او مسقط راسنا . ولا اظن انه كان بين طلاب الجمنازيوم ، او على اقل تقدير بين زملائي التسعة في الصف ، من ولد في فلسطين العربية . اذ كنا ، جميعنا، مهاجرين من روسيا .

وكانوا يرددون على اسماعنا كل يوم ، وكلما واتت الفرصة ،وحيثما يفلح المدرس في تسريبها ، ((**عمينو ، ارتسينو ، مولادتينو**)) ، حتى في دروس العلوم ، كانوا يسربونها ، خلال الدرس ، الى مسامعنا . وكانوا يلقنوننا « عمينو ، ارتسينو ، مولادتينو » في كل حين ، وفي اي مكان سواء خلال النزهات ، او في الصفوف ، او اثناء لقاءاتنا المدرسية نهار السبت حيث كنا ندعى لمناقشة القضايا السياسية . وكانوا يتوخون من هذا الوعظ المتكرر ، تسميم افكارنالننقلب الى يهود قوميين . وتذكروا بأن هذا الوعظ والتلقين ، كان قد بدأ بالنسبة لزملائي في الصف في عام ١٩٠٤ . وبالنسبة لي ابتداء من العام ١٩٠٨ الى ١٩١٣ . حتى اصبح الجمنازيوم بؤرة للافكار القومية السياسية المتطرفة المجنونة .

لقد كان **في فلسطين العربية في ذلك الوقت ٣٥٠٠٠ يهودي فقط** . بينما كان هنالك حوالي **٦٠٠٠٠٠ من العرب المعافين ، الاسوياء ، العقلاء ، المجدين ، البريئين ،القليلي المعرفة** . ومع ذلك ، كانوا يعلموننا في الجمنازيوم « عمينو ، ارتسينو ، مولادتينو » . وظلوا طوال خمس سنوات يشحنونني بافكارالقومية اليهودية والصهيونية » .

واذا كان السواد الاعظم من اليهود خاصة المتدينين ، والشديدي الايمان ، يبغون العودة الى فلسطين ، لبناء هيكل سليمان ، وانتظار المسيح الذي يأتي ليضع الامم تحت اقدامهم . فان لساسة الصهاينة هدفا اخر ، هو استغلال هذه الطاقات الكامنة في نفس اليهودي . طاقات الامل باستعادة المجد ، والانتصار على الشعوب ، ثم الخلاص في الدنيا والاخرة . الامل الذي تحييه وعود مقدسة ، وعهود ومواثيق جليلة ، قطعها يهوه مع شعبه المختار .

فالأمل بالعودة ، ومجيء المسيح ، يتجذر في نفوس المؤمنين ، والمتدينين اليهود . وهم يشكلون نسبة كبيرة بين افراد جنسهم . ولذلك كان لهم اثر بالغ في تحويل الراي العام اليهودي ، وبالتالي كان محور اعلام اليهود يدور حول هذه الناحية .

وهذا الامل مرتكز على وعد « الله » لابراهيم ، وجميع انبياء اليهود من بعده ، بتمليكهم الارض الواقعة بين الفرات وبين النيل . ولذلك رفضوا

بشدة عرض بريطانيا العطوف ، بتمليكهم جزءاً من يوغندا ، بعد اضطهاد روسيا لهم . لان زعماءهم كانوا يدركون قيمة الرابطة العاطفية ، والتقليدية التي تشد اليهودي الى « ارض الميعاد » . وكانوا يرون في « الوعد الالهي ، والدافع الديني ، مقدرة فريدة لا يستعاض عنها في ايقاظ طاقات الشعب اليهودي » (٥٤) . **ويدركون ان الحافز الديني هو الذي يغذي نزعة التوسع الاسرائيلي .**

وكانوا يشددون على الجانب الروحي للصهيونية ، مؤكدين « انه ليس من شيء يستطيع ان يبقي هذه الحركة حية فاعلة آلا الايمان الديني الراسخ . وان هذا الايمان يجب ان يتركز على فلسطين ، فلسطين بالذات . وان اي انحراف عن فلسطين يكون بمثابة الكفر بهذا الايمان » (٥٥) يقول هرتزل « انها مقر الاجداد الذي لا ينسى عند شعبنا . وان اسمها نفسه يؤلف برنامجا . وانها تجتذب الجماهير الدنيا بقوة » (٥٦) .

وقد حاول حاييم وايزمن ، خليفة هرتزل في قيادة الصهيونية ، دمج التيارات المختلفة في الحركة الصهيونية . فجمع بين التيار السياسي ، وبين تيار الامل بالعودة . وقد كان التيار الاخير الورقة العاطفية الرابحة كما يقول.

اما الجانب المادي ، المتجسد في دولة اسرائيل ، فقد قام عندهم على دعائم ثلاث : **العودة ، فازدياد السكان ، فاستملاك الارض .**

في سنة ١٩٢٨ اضطر حاييم وايزمن للذهاب الى رومانيا ،ليحفز اليهود فيها على الهجرة الى فلسطين . قائلا لهم « انظروا . لقد انتزعنا وعد بلفور من البريطانيين دون الاستناد الى اي اساس واقعي . والان يظل البريطانيون يسألوننا : اين هم يهودكم ؟ فاذا كان سيتأتى لنا ان نملك ارض اسرائيل ، واذا كنتم تؤمنون بذلك ، فتعالوا الى فلسطين » (٥٧) .

وبن غوريون ظل ابدا يقول « ان درع اسرائيل هو في ازدياد عدد سكانها » .

اما وايزمن فيرى ان هناك سبيلا واحدا لتحقيق الوطن القومي اليهودي .وذلك السبيل هو ضم **دونم من الارض الى دونم اخر . وبقرة الى بقرة .ومزرعة الى مزرعة . (٥٨) »** .

---

٥٤ ــ مذكرات وايزمن ص ٥٤ .

٥٥ ــ المرجع السابق ص ١١٠ .

٥٦ ــ مذكرات هرتزل ص ١٣٣ .

٥٧ ــ مذكرات موشيه منوهين . انظر الهامش رقم ٥٢ .

٥٨ ــ مذكرات وايزمن ص ٧٣ .

ارض فلسطين

قالت غولدا مئير رئيسة حكومة اسرائيل في ٢٤ آذار ١٩٧١ : « ان المنطقة بين المتوسط والعراق لا تتسع الا لدولتين » .

كان الاحرى بها ان تقول ان هذه المنطقة لا تتسع الا لدولة واحدة وهي اسرائيل ، تمشيا مع ارادة الرب « يهوه » واحكامه وفرائضه ، المسطرة في كتاب العهد القديم . اما قول مئير هذا ، فهو مخالف لارادة اله الصهيونية ، واله المسيحية المتهودة اولا . وهو ثانيا كرم اخلاق من مئير ان تبقي من سوريا ولبنان وفلسطين والاردن والعراق ، دولة واحدة . اما الباقون فينبغي تشريدهم او ابادتهم ، كما اوصاهم الههم « يهوه » .

ويرى بن غوريون « ان العقيدة اليهودية لا تتمثل في الايمان بالتوحيد ، فحسب . ولكن يلازمها دوافع اقليمية وقومية . هي التي ادت الى ارتباط اليهود ارتباطا روحيا عميقا بارضهم القديمة ، حتى اثناء اقامتهم في المنفى (٥٩) » .

« بارضهم القديمة » ..

ومتى كانت فلسطين ارضهم ؟

رايت ما قاله كتابهم « العهد القديم » وعرفت انهم قبائل بدوية . ارهف حدها الجوع والحرمان ، وقوّى عودها التهجر والتبدي في صحراء سيناء . فشهرت سيوفها واشرعت رماحها للاستيلاء على ارض العسل واللبن . وحين « رأوا اصحاب الارض ساكنين بطمانينة ، كعادة الصيدونيين ، مستريحين ، مطمئنين . قضاة ٧/١٨ » انقضوا عليهم « انقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين امنين (٦٠) » . ودامت معارك الغزو ، والاستيلاء على منطقة التلول الخلفية في ارض كنعان ، ما يقرب من مائتي عام . وقد حددها المؤرخون في الفترة الواقعة بين ١٢٠٠ و ١٠٤٥ ق.م تقريبا . ولم تقم لهم سلطة الا في عام ١٠٣٠ ق.م حين اتحدت اسباطهم في عهد شاول ، ثم في عهدي داود وسليمان .

وفي عام ٩٢٧ ق.م انقسموا على انفسهم . ولم يبق من آثار ملكهم الا مملكتان صغيرتان « اسرائيل » في الشمال . وقد قضى عليها الاشوريون. وسبوا اهلها عام ٧٢١ ق.م و « يهوذا » في الجنوب . وقد غزاها نبوخذ نصر عام ٥٨٧ ق.م ، وسبى اهلها .

---

59) 'Ben Gurion Looks Back' — In Talks with Moshe Pearlman. N.Y. 1965.

٦٠ — ول ديورانت — قصة الحضارة — ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

« فيكون مجموع سني ملوك اسرائيل ٢٤١ سنة ، وملوك يهوذا ٢٦٠ سنة . في اجزاء وازمنة متقطعة .» ، كما يقول المطران يوسف الدبس في كتابه « تاريخ سوريا » . وظلوا طوال فترة احتلالهم مرتفعات فلسطين ، شعبا مغمورا . تشغله المناوشات المستمرة بينهم وبين الفلسطينيين ، والمؤابيين ، واهل مديان ، وسواهم من أصحاب الارض . ومنذ **انقسامهم الى ايام السبي الثاني ، عاشوا خاضعين لنفوذ الفلسطينيين ، وملوك مصر ، ودمشق ، وبابل** . كما رأيت أثناء استعراضنا لقصة الارض .

وعندما احتلت جيوش الفرس بابل عام ٥٣٨ ق.م ، كان كورش ، حاكم الامبراطورية الفارسية ، يصبو الى الاستيلاء على الطريق التجارية الهامة ، فلسطين . فسمح لليهود بالعودة الى فلسطين ، وساعدهم ايضا بل امرهم بالعودة ، لان السواد الاعظم من الشعب اليهودي ، آثر البقاء في بابل . ولانه « كان من الصعب الاعتقاد بأن اليهود ، وقد اثروا هناك ، يتركون بابل الخصيبة المعطاء من اجل جبال يهوذا الجرداء (٦١) - ولانهم كانوا يرون « انه في بابل يتفجر نبع الحكمة ، والنبوة . ومن هنا بالذات ، وليس من اورشليم ، يشع برج الفجر الوضاء على شعبنا بالنور (٦٢) » .

وعاش الذين عادوا منهم ، خاضعين لنفوذ الفرس واليونان والرومان ، حتى كان التشتيت النهائي عام ١٣٠ م .

كيف عاشوا في فلسطين فترة احتلالهم لها ؟

قبائل بدوية . كلما اغتنموا فرصة التفوا حول شخص ، ودعوه ملكا . ولا يكاد يبايع ويمسح بالزيت ، حتى يهاجمهم ملك من ملوك مصر او دمشق او بابل أو فارس ، فيدك هيكلهم ، ويحرق بيوتهم ، ويشردهم ، وينفيهم .

وفي أرض كنعان يهاجمهم الفلسطينيون من الساحل ، والادوميون من اريحا ، والمديانيون من ضفاف الاردن ، والحوريون من نابلس ، والاموريون من الشمال ، واليبوسيون من الداخل ، كما سبق ورأيت في قصة الارض .

وكان كل هؤلاء الملوك ، وجميع هذه العشائر ، يرون الخبث والمكر والحيلة وسوء الطوية والحقد والكراهية وضراوة الانتقام و . . قد تجسمت فشكلت شخصا هو اليهودي . بل هو الحية الرقطاء ، تتمتع بجلد لين املس ، وتهتبل الفرص لتلدغ اللدغة المميتة . ولذا كلما حاولت رفع رأسها ، اقبل عليها احد ابناء الانسانية ، فسحقه بنعله الحديدي .

عاش يهود « مملكة » يهوذا ، مشردين تحت جناح كل عشيرة من عشائر فلسطين . شرذمة متشردة ، اضناها الترحل ، وأورى حقدها التخلف والجوع . فهي تحط رحالها وتضرب اطنابها في حمى قبيلة ، حتى اذا كشفت عن وجهها القناع ، فبانت عليه ملامح الحقد والكيد ، نبذتها القبيلة المجيرة خارج تخومها .

---

61) Olmstead: 'History of the Persion Empire'. 1960. P. 57.
62) Salo Baron: 'A Social and Religious History of the Jews'. 1954. P. 25.

ويأتي واحد من القائمين على الحركة الصهيونية ، قائلا لك « ان تاريخ اليهود الفريد ، يكفي وحده لجمع شمل اليهود ، وتكوين ما يسمى بالشعب اليهودي » . فقد صرح ناحوم غولدمان ، يوم كان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية ، بقوله « ان محاولة وصف الشعب اليهودي بأنه جماعة تتميـــز بالجنس ، والديانة ، او بالوحدة الثقافية والقومية ، يعد موضوعا غير ذي اهميـــة . فتاريخه الفريد قد خلق وحدة جماعية فريدة » .

« تاريخه الفريـــــد . . » .

ومتى كان لهم تاريخ فريد ؟

عاشوا على أطراف الممالك الكبيرة ، وعلى فتات موائد الامم الحضارية. فنما في نفوسهم داء الحقد الوبيل على حضارة الامم ، والحسد البغيض على عظمتها . فراحوا يعملون ، بمساعدة الههم « يهوه » على تحطيم الحضارات، وابادة الامم ، ليقيموا ملكا لهم ، ويرفعوا عرشا ليهوه في اراضي الاخرين .

ويزعم اليهود ان شعورهم بأنهم ابناء ماض مجيد ، يوحد بينهم .

اي مجد كان لهم ؟ وفي اي حقبة من الزمن ؟

ان اعظم مؤرخي تلك العصور ، هيرودتس اليوناني ، الذي عاش في القرن الخامس ق.م ، لا يأتي على ذكر لذلك الماضي الذي كان هو مـــن معاصريه . وكذلك فان مكتشفات اوغاريت ، ومصر ، وما بين النهرين ، وسواها لا تشير من قريب او بعيد ، لهذه القبيلة الهمجية .

فأين ما يدعونه من ماض عريق ، ومجد لا يضاهيه مجد ؟

طبعا في التوراة التي استطاع اليهود ان يجعلوا من قصصها وحكاياها، الاغرب من الخيال ، اسفار دين . ولقحوا بها العقول . وجعلوا اساطين الغرب يعترفون بأنهم اصبحوا يعرفون عن اتفه تفاصيل ذلك الماضي السحيق، اكثر مما يعرفون عن مآثر ملوكهم ، وسير ابطالهم ، كما قال رئيس الوزارة البريطانية ، لويد جورج عن نفسه (٦٣) ، « لقد تشبعنا كل التشبع بتاريخ الجنس العبري ، في ايام اعظم امجاده » .

ولو سألته : ومتى كان لهذا الجنس امجاد عظيمة ؟ واين ؟ لبدت في عينيه الدهشة ، ورغت وجهه علائم الحيرة . ترى بماذا يجيب ؟

والحقيقة ان هذه القبيلة البدوية ، استطاعت ان تغزو ارض كنعان ، وتؤسس ملكا لم يتجاوز عمره القرنين والنصف ، وفي فترات متقطعة ، كما تروي التوراة . واهم فترة هي ملك داود « اربعين عاما » وبعده ابنـــه سليمان ، حتى خراب السامرة عام ٧٢١ ق.م .

وفي هذه الفترات المتباعدة ، والمتقطعة ، كانت عشائر اليهود شبه معزولة في الجبال . تجتنب السهول خوفا من سكانها .

والجدير بالذكر انه كان في فلسطين نحو من خمسين ملكا ، فليس بغريب

---

٦٣ — الصهيونية بين تاريخين — عبد الله النجار بالاشتراك مع كمال الحاج — بيروت ١٩٧٢ ص ١٥ .

ان يطلقوا على قائد شرذمة يهودية « **مرتزقة** » **كداود وسليمان** ، اسم ملك . فاحتلال اليهود لفلسطين ، لم يكن في يوم من الايام كاملا . وانما ظل في رقعة ضيقة داخل حدودها ، وفي فترة قصيرة جدا .

« واذا ما قارنا الوضع التاريخي للعرب في فلسطين ، بالوضع التاريخي لليهود فيها ، لبدا لنا ان **امتلاك العرب لفلسطين قد ابتدا قبل خمسة الاف عام،** ولم ينقطع عنها في يوم من الايام ، حتى يومنا هذا . **انه اقوى امتلاك على ظهر الارض** . واشده قوة وامعانا . انه امتلاك راسخ في تربة الارض . في حين ان الدولة اليهودية قد قامت وتالقت وطنطنت بمقدار عمر برغشة . ثـم تــــلاشت .

لقد اعطى كر القرون عرب فلسطين اسماء مختلفة ، لان الاعراق كانت تذوب فيهم ، الواحد تلو الاخر . بيد ان الحصيلة العامة من كل هـــذه الاعراق : العمورية والكنعانية والفلسطينية والعربية ، هي التي ملكت هذه الارض ، وتشبثت فيها (٦٤) » .

ارض غربــــة

وياتي زعيم اخر من ابناء صهيون ، بن غوريون ، مخاطبا الشعوب الاوروبية والاميركية ، وحكامها الذين استعبدت اليهودية افكارهم . فهـــي تسوقهم بسياطها ، وترعاهم في حظائرها . يقول ، وتنقل قوله جميع وسائل الاعلام في مجتمع من العميان: «تتالف كل دولة من الارض والشعب. واسرائيل لا تشذ عن هذه القاعدة . غير انها دولة لم تأت مطابقة لارضها او شعبها . . واضيف الان انها قامت على جزء من ارض اسرائيل . وحتى اولئك الذين يشكون في استعادة حدودنا التاريخية ، كما جرى رسمها وتعيينها منذ بداية الزمان ، لا يستطيعون ان ينكروا شذوذ حدود الدولة الجديدة (٦٥) » « حدودنا التاريخية . . » .

وهل كانت لهم حدود على الارض ، **ام على صفحات الكتاب المقدس ؟**

وهل رسم هذه الحدود غير صك التمليك ــ وعد يهوه ؟

وهل الزمان يبدأ مع ظهور هذه القبيلة ، في القرن الثاني عشر قبــل الميلاد ؟ وهل يستطيع مسؤول صهيوني ان يمحو حضارة كنعان ، ومصر ، وما بين النهرين ، ولو نفخ في جميع ابواق الارض ، وخطب من فوق كل منابر العالــــم ؟

« أرضها . . وارض اسرائيل . . »

ومتى كانت فلسطين ارض اسرائيل ؟ وكيف ؟ واين ؟ وما هي وثيقة تمليك الارض لهم ؟ ومن اعطى هذه الوثيقة ؟

كتابهم . . ماذا يقول ؟

---

٦٤ ــ فلسطين الحقيقة ــ جيفرز . ترجمة احمد خليل الحاج ــ الهيئة المصرية للنشر ج ١ ص ٤٥
65) Ben Gurion: 'Rebirth and Destiny of Israel'. P. 460.

وانظر الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ .

يخبرنا كتاب العهد القديم ان **فلسطين هي ارض غربة بالنسبة لابراهيم** واسحق ويعقوب وآلهم من بعدهم . ويعتبرهم الكتاب المقدس مغتربين بين الكنعانيين والفلسطينيين ، اصحاب الارض الاصليين . فمنذ وصل ابرام من « اور » الى ارض كنعان ، يقول كاتب العهد القديم ، انه « حدث جوع في الارض ، فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك .تكوين ١٢/١٠ » . ثم ظهر الرب لابرام وقال له « ان نسلك سيكون غريبا في ارض ليست لهم . تكوين ١٥/١٣ » . وعندما عاد ابرام الى ارض كنعان ، ظهر له الرب ، وقطع العهد معه ، قائلا « اعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك ، كل ارض كنعان ، ملكا ابديا ، واكون الههم . تكوين ١٧/٨ .

ثم « تغرب ابراهيم في جرار . تكوين ٢٠/١ » . « **وتغرب ابراهيم في ارض الفلسطينيين اياما كثيرة** تكوين ٢١/٣٤ » وعندما ماتت زوجته ساره « كلم ابراهيم بني حث قائلا : انا غريب ونزيل عندكم . اعطوني ملك قبر معكم ، لادفن ميتي من امامي . تكوين ٢٣/٤ » . وحين شاخ ابراهيم دعا عبده ، واستحلفه قائلا « لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين انا ساكن في ارضهم . بل الى ارضي والى عشيرتي تذهب ، وتأخذ زوجة لابني اسحق . تكوين ٢٤/١ » .

فارض ابراهيم وعشيرته ، كانتا في « اور » ، في بلاد ما بين النهرين . اما ارض كنعان ، فقد كانوا على امل استملاكها بموجب الوعد — الوثيقة ، الربانية ، من الههم « يهوه » .

وبعد موت ابراهيم ، يقول الكاتب ، « كان في الارض جوع .. فذهب اسحق الى ابي مالك ، ملك الفلسطينيين الى جرار . وظهر له الرب وقال .. تغرب في هذه الارض تكوين ٢٦/١ » .

« ثم دعا اسحق يعقوب ، وباركه ، واوصاه قائلا : لا تأخذ زوجة من بنات كنعان . قم اذهب الى فدان ارام . الى بيت بتوئيل ، ابي امك ، وخذ لنفسك زوجة هناك من بنات لابان اخي امك .. والله القدير يباركك .. ويعطيك بركة ابراهيم ، لترث ارض غربتك . تكوين ٢٨/١ » .

وذهب يعقوب الى فدان ارام وتزوج من ابنتي خاله ومن جاريتيهما « وكان بنو يعقوب اثني عشر . بنو ليئة : راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون . وابنا راحيل : يوسف وبنيامين . وابنا بلهة ، جارية راحيل ، دان نفتالي . وابنا زلفة ، جارية ليئة ، جاد واشير . **هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان ارام** . تكوين ٣٥/٢٢ » .

وعندما عاد يعقوب من فدان آرام « **سكن في ارض غربة ابيه** ، في ارض كنعان . تكوين ٣٧/١ » . ثم اخذ يعقوب وبنوه « مواشيهم ومقتناهم الذي اقتنوا في ارض كنعان ، وجاؤا الى ارض مصر .. فاتى يوسف ، واخبر

---

٦٦ — الصهيونية بين تاريخين لعبد الله النجار — بالاشتراك مع كمال الحاج — بيروت ١٩٧٢ ص ٢٣ .

فرعون قائلا : ابي واخوتي وغنمهم وبقرهم ، وكل مالهم ، جاءوا من ارض كنعان . وهوذا هم في ارض جاسان . واخذ يوسف من جملة اخوته خمسة ، واوقفهم امام فرعون . فقال فرعون لاخوته : ما صناعتكم ؟ فقالوا لفرعون : **عبيدك رعاة غنم** . نحن واباؤنا جميعا . وقالوا لفرعون : **جئنا لنتغـــرب في الارض** . اذ ليس لغنم عبيدك مرعى ، لان الجوع شديد في ارض كنعان . تكويـــن ٤٧ » .

وحين قادهم موسى من ارض مصر ، في رحلة الخروج المعروفة ، ظهر له الرب وقال « اعطيهم ارض كنعان ، ارض غربتهم التي تغربوا فيها . خروج ٦/٤ » .

رايـــــت ..؟

هم قبيلة بدوية . ربما كانوا بطنا من بطون العشائر الارامية ، التـــي استقرت في بلاد ما بين النهرين ، بعد نزوحها من البادية العربية .

عشيرة بدوية ، رعاة غنم . اغتربوا في ارض كنعان . ثم رحلوا ليتغربوا في ارض مصر . وبقيت كلمة « **اغتراب** » تلحقهم اينما حلوا وانى رحلوا .

ارض كنعـــــان

هذه صفتهم : **التغرب والاغتراب** . امـــــا الارض . فليست « ارض اسرائيل » ، كما يدعي بـــن غوريون . وانمــــــا هي **ارض كنعان . ارض الفلسطينيين** .

ايضا . ماذا يقول « العهد القديم » كتابهــــــم ، وكتاب المسيحيين المتهودين ؟

جاء ابراهيم ، في رحلته المشهورة ، من اور « **الى ارض كنعان** . تكوين ٥/١٢ » . « وسكن في **ارض كنعان** . تكوين ١٢/١٣ » . وهناك اعطى له الهه وعده المشهور ــ وثيقة التملك ، قائلا « اعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك . **كل ارض كنعان** . تكوين ٨/١٧ » . « وتغرب ابراهيم في **ارض الفلسطينيين** . تكوين ٣٤/٢١ » . ومن فدان ارام « ساق يعقوب كل مواشيه .. ليجيء الى اسحق ابيه ، **الى ارض كنعان** . تكوين ١٨/٣١ » . اما عيسو « فأخذ نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته ، ومواشيه وكـــل بهائمه وكل مقتناه ، الذي اقتنى في ارض كنعان . ومضى الى ارض اخرى ، من وجه يعقوب اخيه .. لانه لم تستطع ان تحملهما ارض غربتهما من اجل مواشيهما . تكوين ٦/٣٦ » .

بدو . يرحلون من ارض الى ارض ، ينتجعون الكلأ والماء .

وكاتب التوراة لا يطلق على الارض غير اسم واحد « **ارض كنعان** » . وتردد هذا الاسم عشرات المرات في سفر التكوين .

وفي سفر الخروج ايضا ، لا يطلق الكاتب على الارض غير اسم واحد « **ارض كنعان** » . فقد ظهر الرب لموسى وقال « **اصعدكم من مذلة مصر، الى ارض الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين، الى ارض تفيض لبنا وعسلا** . خروج ١٧/٣ » .

وفي سفر اللاويين ، قال الرب لموسى ، على ابواب الارض ، بعد ان تمت عمليــة الخروج :

« انا يهوه الهكم ، الذي اخرجكم من أرض مصر ليعطيكم **ارض كنعان** . لاويين ٢٥/٣٨ » . وفي سفر العدد تردد اسم **« ارض كنعـــــان »** عشرات المرات . وفي سفر التثنية ايضا . وفي سفر يشوع ، بعد ان تم لهم غزو بعض الثغور ، قال الكاتب انهم « اكلوا من محصول ارض كنعان . يشوع ١٢/٥ » . وراح يعدد اسماء المناطق « التي امتلكها بنو اسرائيل في ارض كنعان . يشوع ١٤/١ » .

وبقيت الارض **« ارض كنعان »** حتى بعد أن قال الكاتب « فاعطى الرب اسرائيل جميع الارض التي اقسم ان يعطيها لابائهم . فامتلكوها وسكنوا بها . يشوع ٢١/٤٣ » .

ويكفي ان تعلم ان اسم « ارض كنعان » تردد في الفصل التالي لهذا القول ، اربع مرات . اما في سفر القضاة ، وفي الاسفار اللاحقة . فقد صار الكاتب يذكر اسماء الشعوب والممالك في ارض كنعان ، حين يسرد اخبــار تلاحمهم مع القبائل اليهودية الغازية . يقول مثلا « ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم . قضاة ١/٤ » .

ويقول **« فسكن بنو اسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والاموريين** والفرزيين والحويين واليبوسيين . قضاة ١٣/٥ » . « وعبــدوا البعليم والعشتاروت والهة ارام والهة صيدون والهة مؤاب والهة بني عمون والهة الفلسطينيين . وتركوا يهوه ولم يعبدوه . فحمي غضب الرب على اسرائيل ، وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون . فحطموا ورضضوا بني اسرائيل . قضاة ١٠/٦ » .

ويقول **« فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين** اربعين سنة . قضاة ١٣/١ » . « وفي ذلك الوقت كان **الفلسطينيون متسلطين علـــى اسرائيل** . قضـــاة ١٤/٤ » .

وعندما هرب شمشون من وجه الفلسطينيين واختبا في « شق صخرة عيطم » قال له بنو يهوذا « اما علمت ان **الفلسطينيين متسلطون علينـــا** ؟ فماذا فعلت بنا ؟ قضاة ١٥/١١ » . ويقول مثلا « **فانكسر اسرائيل امـــام الفلسطينيين** . صم ٤/٢ » . « فارعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم ، على الفلسطينيين ، وازعجهم ، فانكسروا امام اسرائيل . صم ٧/١٠ » .

هذه صور ، نماذج يسيرة مما يقوله كتابهم . ورغم ذلك يخاطب بــن غوريون ، بعينين وقحتين ، مجتمعا من العميان في اوروبا واميركا ، مدعيــا انها « ارض اسرائيل » .

ويجد آذانا صاغية ، وعقولا بسيطة ، مصدقــــــة . تتقبل ترهات الصهيونية ، وأباطيلها المضمنة في التوراة ، على انها كتاب مقدس ، ترنــم شعائره الفاسدة في الكنائس ، وتروى قصصه البشعة على مسامع الناشئة في المــــدارس .

فجهل الغرب الاوروبي والاميركي ، وغباؤه ، اتاحـــا للصهاينة نشر

الاضاليل ، وتوزيع الاباطيل ، بغير حساب ، على ساسة الغرب ومفكريه . كما هيأ لهم هذا العمى ، او التعامي الغربي ، تزوير التاريخ وتزييف الوقائع، رغبة في التضليل ، وامعانا في التجهيل .

وتسأل بمرارة قاتمة :

كيف يدعي بن غوريون ، وغيره من زعماء الصهيونية ، العودة الى « ارض اسرائيل » . والارض التي غزوها . واقاموا فيها شبه ملك ، في عهدي داود وسليمان ، اللذين لم يتجاوز حكم الواحد منهما ٤٠ عاما ، هي بضعكيلومترات من المرتفعات . وان عمر هذه الدولة الصغيرة ، او الدويلتين الصغيرتين ، لم يتجاوز القرنين والنصف ؟

« ما اشبه هذه العودة بالاستيلاء على بيت طرد صاحبه منه ، ليقيم فيه رجل ، كان احد اجداده مارا في جواره .

ذلك هو منطق القوة (٦٦) » .

كانت غزوة العشائر اليهودية لارض كنعان ، القسم الجنوبي من سوريا ، طارئة ومحصورة . وقد ظلوا يتبدون في صحراء سيناء اربعين عاما ، قبل ان يهاجموا الثغور الكنعانية ، في غزوة دينية وحشية . استطاعوا بنتيجتها ان يسيطروا على بضعة كيلومترات ، تمتد وتتقلص تبعا للمجابهات التي كانت تدور بينهم وبين اصحاب الارض .

وجاءت الغزوة بناء على وعد مزعوم . لفقه اليهود ، خاصة موسى ، على لسان الههم « يهوه » واستطاعوا به ان يجمعوا شملهم ويرصوا صفوفهم ، لغزو الارض الموعودة .

ومع الزمن **اصبح يهوه هو الله ، واصبح الوعد الملفق مقدسا في كتاب مقدس ، هو العهد القديم** ، الذي استطاعوا بواسطته ان يضللوا الامم .

وما زالوا ، بالتضليل والتجهيل ، يجرون العالم الى هاوية المحن والكوارث . ولا تزال القوى الغاشمة ، المضللة ، المخدوعة ، خاصة اوروبا واميركا ، تساعد اليهود اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . بفعل هذه الاضاليل التي استحكمت في النفوس وتجذرت في الصدور .

ويأتي بن غوريون ، نبي الصهيونية الثاني بعد هرتزل ، يقول في رسالة بعث بها الى ديغول **« ان هذا البلد « فلسطين » ، لم يكن في اي حقبة من تاريخه ، الوطن الاوحد لاي شعب اخر غير الشعب اليهودي »** . (٦٧)

فلسطين ، ارض كنعان . سواء سكنها اليهود فترات متصلة ام متقطعة وهم غرباء فيها . غزوها بهدف الاستيلاء عليها والاستيطان فيها . والكنعانيون والفلسطينيون اصحابها قبل دخول ابراهيم اليها بقرون يتعذر تحديدها . وقد قضى يعقوب « اسرائيل » شطرا من حياته ، ينتجع الكلأ والماء في بواديها ، قبل ان يتسلل الى مصر بقبيلة لا تتجاوز سبعين رجلا .

---

٦٦ ــ الصهيونية بين تاريخين ص ٢٣

٦٧ــ جريدة لوموند الفرنسية ١٩٦٨/١/٢٧ .

وعندما هرب بنو اسرائيل من مصر بقيادة موسى ، لم يجرؤا على الاقتراب من تخومها . لان الجواسيس الذين ارسلهم موسى ليستطلعوا اخبارها ،روعوه بقولهم « هي ارض تأكل سكانها .. كنا في اعيننا كالجراد ، وهكذا كنا في اعينهم . عدد ١٣/٣٢ » .

وقد تنبه الكنعانيون لحيلة يشوع في استيلائه على اريحا . وكأنهم شعروا بخطر غريب يتهددهم . خطر الحيلة والدهاء والجاسوسية والمكر والجنس ، سلاح القبيلة اليهودية الغازية . فوطنوا النفس على مجالدة اليهود ، لدرجة **استغرق معها احتلال المسافة بين اريحا والقدس مئة واربعين عاماً** .

ثم ان داود وآباء داود ، الذين دخلوا ارض فلسطين غزاة ، باعتراف التوراة ذاتها ، لم يبنوا ولم يزرعوا ولم يحفروا بئر ماء ، لان الههم « يهوه » وعدهم ، كما رأيت في ما سبق ، بتمليكهم اراضي شعوب اخرى بعد افنائها ، وبجني ثمار لم يغرسوا اشجارها ، وبحصد سنابل لم يزرعوا بذورها .

فكيف يدعي اليهود ، ويجاريهم في هذا الادعاء ، مسيحيو الغرب ، بأن التاريخ ، والتاريخ المقدس ، يبدأ مع اليهود على ارض فلسطين ؟

اما الفلسطينيون اصحاب الارض . فقد بنوا المدن ، ورفعوا المعابد ، وغرسوا الكروم ، قبل وعد يهوه بالاف السنين ، **واقاموا للفكر مسرحا في فلسطين** ، ونظموا المجتمع ، وبنوا العلاقة بين الافراد ، وبينهم وبين السلطة ، على اسس من العدالة . وهم الذين سنوا القوانين ، ودونوا الشرائع ، ورفعوا الصلوات لله تعالى . وقد كانت شعوب فلسطين عريقة في الحضارة والقوة والعمران ، قبل ان تطأ اقدام اليهود ارض فلسطين .

وتزعم التوراة ان اليهود كسروا ٣١ ملكا « يشوع ١/١٢ » في عملية الاستيلاء على بعض التلول في فلسطين . اما كان هؤلاء الملوك اصحاب الارض وصناع الامجاد فيها ، وبناة افاق من الفن والمعرفة ؟

وقد دلت المكتشفات التي عثر عليها في ارض كنعان على ان الفلسطينيين والكنعانيين ، عمروا المساكن بالحجر ، **وبنوا المدن ، منذ الالف الثامن قبل الميلاد** . وخير شاهد على حضارة القوم مدينة اريحا التي كانت محاطة بأسوار حجرية قاهرة **منذ ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد** (٦٨) .

فكيف يجاري العالم ، خاصة الغربي ، اليهود في ادعائهم بأن جنوب سوريا هو « ارض اسرائيل » و « ارض الميعاد » التي وعدهم بها الههم « يهوه » منذ الالف الثاني قبل الميلاد ؟

ايشنف العالم اسماعه لابواق الصهاينة عن عمى او تعام ؟

لست ادري !

ادري ان هذا القسم من سوريا هو ارض الفلسطينيين ، كما تشهد التوراة نفسها . « وقد كانت سورية منذ اقدم عصور التاريخ ، ينظر اليها

---

٦٨ ـ انظر ما كتبه في هذا الموضوع قاسم الشواف في كتابه : مع الكلمة الصافية .

على انها وحدة طبيعية واحدة ، وتشمل فلسطين . وقد كتب هيرودتس قبل المسيح بخمسة قرون يقول : « ويعرف هذا الجزء من سوريـــــا باسم فلسطين » .

وفلسطين ليست رقعة متناهية في الصغر ، فحسب . بل انها لم تكن في يوم من الايام وحدة ادارية حقيقية . وقد اخترع حدودها ، اثناء الحـــرب الكونية الاولى ، تقسيم بريطانيا وفرنسا لمناطق النفوذ في الشرق العربي .

ولم يستطع احد ، في ما سبق من ازمان ، ان يقول لنا من أي نقطة في الشمال تبدأ ، والى اي مدى نحو الشرق تمتد . كما لم يكن مختلقــو « الوطن القومي » ، وابطاله انفسهم يعلمون عن تعيين حدود الارض التي سيقام فيها .

وقد اجمع المؤرخون في العقد الاول من القرن العشرين على القول ان حدود سوريا : البحر من ناحية الغرب ، والصحراء من الجنوب والشرق ، وجبال طوروس من الشمال . وتمطيها هذه الحدود وحدة طبيعية ، وتفصلها عن بقية العالم . واذا لم تكن قد اصبحت بلدا منفردا بعد ، فمن الواضح انها تنتظر ان تصبح كذلك (٦٩) .

ويقول التاريخ ايضا ان العموريين كانوا يشغلون الاراضي الواقعة الى الجنوب من مرج ابن عامر . في زمن لا يقل عن بداية الالف الثالث الذي سبق ميلاد المسيح . ولقد انصهروا انصهاراً تاما مع من سبقوهم ، لدرجة ان هويتهم الخاصة قد ضاعت في معظم المناطق ، كما يقول البروفسور ت.هـ. روبنسون (٧٠) .

وكان الفنيقيون في صيدا وصور . **والفلسطينيون في الجنوب الشرقي ، في عكا وحيفا ويافا** . وكان الحوريون في نابلس . واليبوسيون في الداخل . والاموريون في الشمال . والمديانيون حول ضفاف الاردن ، كما يقول كتابهم المقدس .

مدينـــة السلام

ويدعي الزعماء الصهاينة ، بتبجح فارغ وغرور احمق ، بأن مدينـــة اليبوسيين ، اورشليم ، كانت لهم . صرح بذلك بن غوريون . وتنقل تصريحه جميع وسائل الاعلام في مجتمع من العميان . قال « **لا معنى لفلسطين من دون القدس ، ولا معنى للقدس من دون الهيكل** » .

اما حاييم وايزمن ، فحين قابل بلفور ، ابن بريطانيا العطوف ، وصاحب الوعد المشهور . واوضح له السبب في رفض اليهود وطنا قوميا عرض عليهم سنة ١٩٠٣ في شرق افريقيا . قال « يا مستر بلفور . اذا عرضت عليـــك

---

٦٩ ـــ فلسطين الحقيقة ـــ جيفرز ـــ ترجمة احمد الحاج ص ٣٢ .

٧٠ ـــ المرجع السابق ص ٣٢ .

باريس بدلا من لندن . فهل تقبلها ؟ فرانت ملامح الدهشة على وجه بلفور ، وقال مستغربا « ولكن لندن هي لنا » . عندها انبسطت اسارير وايزمن . وسرح في وجه بلفور ، المسيحي المتهود ، ابتسامة العارف ، وقال « هكـذا القدس . انها لنا ، مذ كانت لندن قاعا صفصفا » . فهز بلفور راسه موافقا ، وقال بلهجة الواثق العارف : هذا صحيح .

وايزمن كان يعرف ان التوراة تشكل اساس القاعدة الفكرية عند بلفور، وسواه من الانكليز . وبلفور كان يصدر عن هذه القاعدة حين اجابه موافقا ، بلهجة الواثق العارف .

« انهـــا لنـــا » .

ومتـــى كانـــت لهم ؟

دعنا نستعرض تاريخها بايجاز ، من كتابهم ، وكتاب المسيحيين المتهودين « العهد القديم » .

رايت ، اثناء استعراضنا لعملية غزو الارض ، بعضا من صور التناقض التي رسم خطوطها كتاب التوراة ، اثناء تدوينهم سفر امجاد بني اسرائيل .

ففي سفر يشوع قال الكاتب « واما اليبوسيون الساكنون في اورشليم ، **فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم** . فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اورشليم الى هذا اليوم ١٥/٦٣ » .

وفي السفر ذاته يقول الكاتب « فاعطى الرب اسرائيل جميع الاراضي التي اقسم ان يعطيها لابائهم ، فامتلكوها وسكنوا بها ٢١/٤٣ » .

وفي السفـــر التالـــي « القضاة » يعـــود الكاتـــب ليقـــول «وبنـــو بنيامـــين لـــم يطـــردوا اليبـــوسيـــين ، سكـــان اورشليم . فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في اورشليم الى هـــذا اليوم ١/٢١ » . ويقول كاتب السفر « وفي تلك الايام ، حين لم يكن ملك في اسرائيل، كان رجل لاوي متغربا .. جاء الى مقابل يبوس وهي اورشليم .. فقال الغلام لسيده تعال نميل الى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها . فقال لـــه سيده : **لا نميل الى مدينة غريبة حيث ليس احد من بني اسرائيل هنـــا** . قضاة ١٩/١ » .

حتى داود « ملك الملوك » لم يدخل اورشليم . يقول الكاتب « جـــاء جميع شيوخ اسرائيل الى الملك ، الى حبرون . فقطع داود معهم عهدا في حبرون امام الرب . ومسحوا داود ملكا على اسرائيل .

وذهب داود وكل اسرائيل الى اورشليم اي يبوس . وهناك اليبوسيون سكان الارض . وقال **سكان يبوس « اورشليم » لداود لا تدخل الى هنا** . فأخذ داود حصن صهيون . وهي مدينة داود . وقال داود : ان الذي يضرب اليبوسيين اولا يكون راسا وقائدا . اخبار١ ١١/٣ » .

وكان ربهم لا يزال يقيم في خيمة . فقد « عمل داود لنفسه بيوتا في مدينة داود ، واعد مكانا لتابوت الله ، ونصب له خيمة . اخبار١ ١٥/١ » .

هذه هي أرض كنعان وهذه هي شعوبها . اما الاسرائيليون الذين ندنس انفسنا (٧١) بهذه العملية القذرة ، من اجل خاطر جزء من خمسة وثلاثين جزءا من اخلافهم ، فقد دخلوا هذه البلاد على شعوبها المتصلة بها ، في غزوة وحشية ، اقتصرت على المرتفعات فقط ، خوفا من سكان السهول . وفي تاريخ لا يمكن تحديده بالضبط . وربما كان ، على وجه التخمين ، القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

امبراطورية الاتبــاع

فامتلاك اليهود ، في غزوهم لفلسطين ، كما سبق ورايت في ما قصته التوراة ، قصير العمر ، ضيق الرقعة . استولوا على بعض التلول ، واخفقوا في الاستيلاء على السهول . يقول الكاتب « وكان الرب مع يهوذا ، فملك الجبل . ولكن لم يطرد سكان الــوادي ، لان لهم مركبات حديد . قضاة ١٩/١ » .

وكان بعض القبائل اليهوديـــة في حال مـــن التبعية لسلطـــة اهل البلاد . يقول الكتاب المقدس :

« فعبد بنو اسرائيل كوشان رشعتايم ، ثماني سنين . قضاة ٨/٣ » .

« فعبد بنو اسرائيل عجلون ، ملك مــوءاب ، ثماني عشرة سنة . قضاة ١٤/٣ » .

«فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين .. فعمل بنو اسرائيل لانفسهم الكهوف التي في الجبال ، والمغاير والحصون . واذا زرع اسرائيل كـــان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق ، ويتلفون غلة الارض ، الى مجيئك الى غزة . ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ، ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا . قضاة ١/٦ » .

« وباعهم بيد الفلسطينيين ، وبيد بني عمون .. ثماني عشرة سنة قضاة ٧/١٠ » .

« ثم دفعهم الرب ليد الفلسطينيين اربعين سنة . قضاة ١/١٣ » .

« وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على اسرائيل . قضاة ٤/١٤ » .

وكثيرا ما خضعوا للاراميين ، واحنوا رقابهم ذلا واستكانة . وهاجر بعضهم الى ارض الحوريين ، فعبدوا اصنامهم ، وعاشوا بظلهم خدامـــا ومرؤوسين .

ولا ننسى ان وجود الفلسطينيين في جيش داود ، قد مهد ، وساعد في ارتقائه العرش . وقد اسهم الفلسطينيـــون ايضا في اعطـــاء العرش لسليمان .

لقد كان لهذه الامبراطورية التي عمرت سبعين عاما ، اساس اقليمي

---

٧٢ ــ الكلام لجيفرز الانكليزي . وهو يشير الى وعد بلفور ، واحتضان الانكليز للصهيونية .

ضيق . او كانت لها وحدة اقليمية صغيرة ، لا تعدو ، كما تقول التوراة ، وكبار المؤرخين ، مائة وعشرين ميلا في الطول وستين ميلا في العرض ، واقل من ذلك بكثير في اغلب الاحيان (٧٢) .

ويروي المؤرخ الدكتور فوكس جاكسون (٧٣) ، من جامعة كمبردج ، في كتابه « يوسف واليهود » الى اي مدى انكمشت رقعة المملكة اليهودية ، في معرض تعليقه على صمت هيرودتس ، الذي هو اكثر المنقبين في جنبات الكرة مثابرة وفضولا ، في ما يتعلق باليهود . قال : ما يزال صمت هيرودتس مشكلة بالنسبة للبعض . لكن تفسيره بسيط غاية البساطة . لقد كانت مملكة يهودا متقاطعة غاية في الصغر . وكان سكانها من التفاهة في العدد ، لدرجة أن اذكى وابصر السواح ، في القرن الخامس قبل الميلاد « القرن الذي عاش فيه هيرودتس » كان يزور ما كان يسمى بفلسطين سورية ، او بسورية الفلسطينيين ، وقد لا يسمع عن اليهود شيئا ابدا . ولا بد ان القدس كانت في ايام النبي نحميا « معاصر هيرودتس » مدينة خاملة الذكر . وان تلك الايام كما يقول نحميا هي **«ايام الاشياء الصغيرة »** .

« فلا يستطيع احد ان يقول ان « ارض الميعاد » كانت يوما في قبضة العبرانيين تماما . ففي اسفار التوراة نجد الفلسطينيين مستمسكين بملكية اراضي الجنوب الواطئة الخصبة . كما نجد الكنعانيين والفينيقيين صامدين في الشمال » (٧٤) .

« ويجب ألا يظن احد ان اسلاف عرب فلسطين كانوا يمثلون البربرية . على النقيض من حضارة الاسرائيليين . لقد كان الفينيقيون اولئك التجار الذين جابوا افاق العالم ، وبلغوا شواطيء بريطانيا ذاتها . **ولقد كان الفلسطينيون يملكون ثقافة متقدمة وعريقة** . يقول المؤرخ « روبنسن » : انها سخرية عجيبة من سخريات القدر ، ان كتب على لفظة « فلسطيني » ان تكون مرادفة لكلمة « بربري » . وقد نشأ هذا الاستخدام اللفظي ، لان تاريخ ايامهم وصل الينا (٧٥) عن طريق الاسرائيليين .

ويقول مؤرخ اخر « دين ستانلي » : وما جنس الكنعانيين « الملعون » حسب ما جاء في اسفار العهد القديم ، الا ذلك الجنس عينه ، الذي كنا نتطلع اليه عبر القرون ، من بلاد اليونان ، باعتباره ابا للكتابة والتجارة والحضارة (٧٦) .

---

٧٢ ـ فلسطين الحقيقة ـ جيفرز ـ ترجمة احمد الحاج ص ٤٣ .
٧٣ ـ المرجع السابق ص ٤٤ .
٧٤ ـ معالم تاريخ الانسانية ـ ه.ج. ويلز. ترجمة عبد العزيز جاويد ـ القاهرة ١٩٤٨ مجلد ٢ ص ٢٤٥ .
٧٥ ـ الكلام لجيفرز الانكليزي .
٧٦ ـ انظر اقوال مؤرخين اخرين في كتاب جيفرز ـ فلسطين الحقيقة .

وصك الانتداب . جرى تحميله صفة خاصة ، هي « الاعتراف بالرابطة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين ، وبالاسس الموضوعـــة لاعادة بناء وطنهم القومي في ذلك البلد » . ولو سالت الدولة او الدول التي صاغت هذه العبارات ، واخذت على نفسها امر تحقيق هذا الصك : مـــا المقصود بالرابطة التاريخية ؟ لجاءك الجواب : ان القصد منها هو تبريـــر اقامة الوطن القومي اليهودي . وتبرير كل ما نتج وما ينتج عنه من اعمال . اقل ما توصف به ، انها وحشية ، تعمل الى ابادة شعب وتشريده ، لتحل اخر محلـــه .

ولو سالت مستغربا : وما هي صفة هذه الرابطة التاريخية ، الغابرة ، التي تمنح اليهود الحق في بلاد زالت سلطتهم عنها منذ تسعة عشر قرنا ؟

وسالت مستنكرا : **وأي سلطة كانت لهم ؟ وما مساحة الرقعة التي كانت تنشر ظلها عليها ؟**

وربما سالت وتساءلت بدهشة بالغة : واى مرحلة من مـــراحل الماضي اليهودي المتباين جدا في فلسطين ، تلك التي سيجدد الصهاينة بناءها ؟

وما نوع هذه الرابطة التاريخية ، التي تمنح حقوقا لقوم ، بابادة قوم اخرين ، واحتلال اراضيهم ؟

لبقي سوءالك علامة استفهام كبيرة تسم الوجوه ، كل الوجوه ، في الشرق والغرب .

ويظهر ان الدول التي التزمت بانشاء هذا الوطن القومي ، من ضمن التزامات الانتداب ، لم تكن تعلم شيئا عن هذه المراحل ، ولا تريد ان تعلم . ويكفيها ما تعلمه من الحوادث التاريخية المجتزاة من التوراة ، التـــي حشتها في وجدانه التربية البيتية او المدرسية او الاجتماعية ، بصور من المبالغات المقبولة ، لتدخل الارادة الالهية فيها .

اقول التربية المدرسية والاجتماعية .. واكرر سائلا :

ماذا يتعلم الطالب في مدارس البروتستانتيين والانجيليين ، والسبتيين ، وشهود يهوه ، وجميع الطوائف المنشقة عن البروتستانتية . وفي المدارس التي تسيطر عليها اليهودية . او البيئات التي تعيش فيها دعوات الصهيونية المتسترة بالديـــن ؟

انه يتخرج بفكر محشو بسير ملوك التوراة ، وحروبهم وامجادهـــم ومآثرهم وبطولاتهم ، وتقديسيتهم ويبقى ، عمره ، اسير الدعاية الصهيونية . يؤيد ، أو يساعد ، او يصمت ، دلالة تأييد اكثر منه دلالة رفض .

ولعل **المستر لويد جورج** ، رئيس الوزارة البريطانية ، كان ينطـــق بلسان هؤلاء الحكام الذين كانوا يتصرفون بمصائر الامم ، باجساد انكليزية وافرنسية ، واسماء مسيحية . ولكن بنفوس وعقول يهودية ، صهيونية ، حين قال « لقد تربيت في مدرسة . تعلمت فيها عن تاريخ اليهود ، اكثر بكثير مما تعلمته عن تاريخ بلادي انا . وفي وسعي ان اخبركم بجميع ملوك

اسرائيل . ولكني اشك في قدرتي على ان اسمي لكم ستة من ملوك انكلترا . لقد تشبعنا كل التشبع بتاريخ الجنس العبري في ايام اعظم امجاده » .

وربما كان المستر لويد جورج ، الذي تشبع بتاريخ الجنس العبري ، يعرف المرحلة التاريخية التي سيجدد الصهاينة بناءها . ولكنه نسي او تناسى ان يحدد ، جغرافيا ، الوطن القومي اليهودي المزمع انشاؤه في فلسطين ، ليكون تجديداً لماضيهم « المجيد » . ومن المستحسن ان نقول انه تناسى عن عمد واصرار ، تحديد هذا الوطن المزعوم . ليترك للصهاينة حرية اقتطاع الارض التي يشاءون ، واقامة الوطن الذي يريدون . مع الاذن بحرية التوسع ، بما يتناسب ومقدرتهم ومبلغ الدعم الخارجي لهم . كما صرح ترومن ، رئيس الولايات المتحدة الاميركية في ٢٥ تشرين الاول عام ١٩٤٨ بقوله **« نؤيد اسرائيل في حدودها المقررة . وفي كل تعديل توسعي لها ، ترضى هي عنه »** .

لقد تعمد ساسة الغرب الذين تمت الصفقة على ايديهم ، ان يطمسوا بالغموض والابهام والتعمية كل شيء له علاقة بالوطن القومي اليهودي . لماذا ؟

ربما لان اللغة عاجزة عن التعبير في عملية سرقة الارض واختلاس الاوطان ، ومنحها لشذاذ الافاق

وجاء في صك الانتداب : « اعادة بناء وطنهم » .

أي وطن كان لهم ؟ وكم دام عمره ؟ وما مساحة الرقعة التي كان يشغلها ؟

وكم كانت هذه الرقعة تتمدد وتنكمش ؟ وكم هي الاعوام التي خضعوا فيها لسلطة اصحاب الارض ؟

هذا ما يعرّفك به **كمّاً ، وكيفاً ، وعمراً ، تاريخهم المقدس في كتاب العهد القديم** .

واذا كانت دول الحلفاء الكبرى ، لم تكتشفه ، ولم تعين حدوده . بل تعمدت الغموض والتعمية ، لتطلق يد الصهاينة في هذه الارض . **فان « يهوه » نفسه ، عاقد العهد ومانح الارض ، قد عدل في حدوده اكثر من مرة** . ونقله بالغدر والانانية من صاحبه الشرعي ، الابن البكر ، اسماعيل الى الابن الثاني ، اسحق . ونقله بالحيلة والخداع من عيسو الى يعقوب ، كما رأيت في ما سبق من قصة الارض .

الكيان — الظل

والحقيقة ان الهدف الاقليمي للكيان الصهيوني في فلسطين ، يقترن باللغز المبهم . لانه لم يصدر اي تصريح يعرّف هذا الكيان او يحدّد خطوطه .

والدولة الصهيونية ، لا حدود لها الا في اذهان القادة والحاخامين الصهاينة ، الذين يريدون ان يرووا غلة الحقد والانتقام ، التي تتأكل في نفوسهم منذ بدأت غزوتهم الدينية الى جنوب سوريا ، وعبر ما لاقوه من

قهر واضطهاد . ويحققوا حلم صهيون باستملاك الارض الواقعة بين الفرات والنيل ، التي دحروا ، في غزواتهم المتكررة ، منها مرارا . واستعباد الشعوب التي استعبدتهم اجيالا .

فقد كان الزعماء الصهاينة يوافقون مبدئيا على الحدود التي ترسمها الامم المتحدة ، او اللجان المتفرعة عنها . ولكنهم كانوا ابدا يسعون الى توسيع الحدود المرسومة بواسطة القوة . ان وايزمن اعلن قبوله بالتقسيم الذي اقترحته لجنة « بيل » عام ١٩٣٧ ، ولكنه قال في معرض تعليقه على هذا التقسيم الذي استثنى النقب من الدولة اليهودية « **ان النقب لن يهرب منا في مطلق الظروف والاحوال** » . وقد توقع وايزمن ، في وقت مبكر ، قيام دولة يهودية ، تكون صغيرة في البداية ، لكنها تصبح توسعية بعد فترة لاحقة .

ولا ننسى ان « اسرائيل » هرتزل في رواية « الارض القديمة — الارض الجديدة » امتدت الى الفرات (٧٧) .

وكان بن غوريون قد حدد خطوط هذا الكيان الصهيوني عام ١٩٥٠ . فالتقى مع هرتزل . والاثنان مع يهوه في كتاب العهد القديم . قال بن غوريون « فليفهم الجميع ان اسرائيل قد قامت بالحرب ، وانها لن تقنع بحدودها . **وان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات** » (٧٨) .

والتقى مع توقع وايزمن ، حين قال « ان خلق الدولة الجديدة لا ينقص بحال من الاحوال **اطار الحدود التاريخية لارض اسرائيل** (٧٨) » .

ونية التوسع كانت على لسان ليفي اشكول ، رئيس وزراء اسرائيل ، حين صرح في باريس عام ١٩٦٤ لجريدة لوموند الفرنسية ، بقوله « ان الارض التي تملكها دولة اسرائيل لا تغطي **في الحقيقة سوى ٢٠ في المائة من فلسطين التاريخية** » .

وبعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، انعكست نشوة الانتصار ، على افواه الصهاينة ، في غمرة شعور ديني جامح . فكانت تصريحاتهم تعبيرا عن رغبات بدائية موؤدة ، اذكى نارها واضرى اوارها ، وعود يهوه المسطرة في العهد القديم ، بتجميعهم ، واعادتهم الى فلسطين . فحاخام اسرائيل الاكبر يقول غداة الخامس من حزيران ١٩٦٧ بأن « ارض اسرائيل هي ميراث مقدس لدى كل يهودي » . وسلطات اسرائيل راحت **تمسح الارض التي احتلتها في حرب ١٩٦٧** ، مدعية تعيين المواقع التاريخية القديمة . وعندما تمت عملية المسح ، خرجت ابواق الدعاية الصهيونية لتعلن ان فريق علماء الاثار وجد اكثر من الف موقع لم تكن مسجلة او معروفة

---

٧٧ — من مقال الان تايلور المنشور في كتاب : تهويد فلسطين — اعداد ابراهيم ابو لغد — ترجمة اسعد رزق .

٧٨ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ١٩٥٠ .

٧٩ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ١٩٥٥

من قبل . وان خريطة مملكة اسرائيل الوارد ذكرها في التوراة ، يجري رسمها من جديد ، على اساس النتائج الحاصلة من عملية مسح الاثار ، **في مناطق جبال الجليل والسامرة ومرتفعات الجولان** (٨٠).

فتمييز المواقع التاريخية القديمة ، يعني ، بعرف الصهاينة ، انها جزء من ارض اسرائيل . وقولهم : لم تكن مسجلة ، معناه انهم يبغون تسجيلها ، اي ضمها الى خريطة مملكة اسرائيل . ودعوتهم الى رسم خريطة اسرائيل من جديد ، وفق المخطط الوارد في التوراة ، يشير الى السياسة التوسعية التي يرمون من ورائها الى تحقيق مملكة اسرائيل ، كما حددها كتاب العهد القديم .

وهكذا كانوا ، وما زالوا ، يرمون من تصريحاتهم ورسائلهم ومحاضراتهم ، الى اضفاء طابع **« الشرعية » او « القداسة » او « الحق التاريخي »** على توسعهم وعلى اهدافهم المستقبلية في التوسع ، لجعل حدود **اسرائيل من الفرات الى النيل** . قال وزير الشؤون الدينية بعد حرب ١٩٦٧ « ها قد عدنا الى ارضنا ، ومن الان الى الابد » . وقال ايغال الون نائب رئيسة الوزراء في دولة اسرائيل « جاء اليهود الى البلاد ، لكي يستردوا الارض التي يعتقدون انها كانت ارض ابائهم . **الارض التي وعدها الله لهم ولذراريهم في العهد القديم ، المبرم قبل الاف السنين ، بين الله وبين ابراهيم** (٨١) » .

حتى المناطق المحتلة اطلقوا عليها **اسم المناطق المحررة** . فقد خطب بن غوريون في الضباط اليهود المتخرجين من المدرسة الحربية ، في السابع من حزيران عام ١٩٤٩ قال « **نحن لم نحرر من بلادنا سوى جزء واحد** . واننا ننتظر الوقت الذي يتم فيه انقاذ **ارض الاباء والاجداد** .. سنحقق رؤيا انبياء اسرائيل » .

وفي التاسع من اذار سنة ١٩٦٤ ادلى بن غوريون بتصريح الى جريدة « هابوكر » قال فيه « ان حدود الدولة اليهودية ، كان من الممكن ان تكون ابعد واوسع مما هي عليه ، لو كان الجنرال موشيه دايان رئيسا للاركان العامة اثناء حرب ١٩٤٨ ضد العرب في فلسطين . وقد سارع ايغال الون ، رئيس الاركان العامة اثناء حرب ١٩٤٨ ، للرد عليه قائلا : لو لم يطلب بن غوريون ايقاف اطلاق النار ، بصفته رئيسا للحكومة ووزيرا للدفاع ، لكانت قواتنا اكملت زحفها لتحقيق النصر : باحتلال نهر الليطاني في الشمال ، وصحراء سيناء في الجنوب الغربي . ولاستطعنا بعد ايام من متابعة **القتال لتحرير ارض وطننا باكملها** » .

وراحوا في فورة النصر يتحدثون عن الحدود الجديدة للدولة اليهودية .

---

٨٠ — جريدة الانوار اللبنانية ١٢ نيسان ١٩٦٨ .

٨١ — اسرائيل في الكتاب المقدس . بقلم مجموعة من اساتذة اللاهوت . ترجمة حسني خشبة . ط ١٩٧٢ ص ٩ .

قال بن غوريون « العالم كله . العالم المسيحي وكل العالم اليهودي ، يعتبر ان ضفتي الاردن تؤلفان فلسطين واحدة ، لا تتجزأ ». واضاف قائلا انه يامل ان « تصبح من جديد وطن اليهود الذي وعدت به التوراة والانبياء » .

رايـــت ؟..

لا يزال نبي الصهيونية الثاني ، يتسلح ، في غزوه ارض فلسطين في القرن العشرين بعد الميلاد ، بالوعد الذي تسلح به انبياء التوراة وابطالها ، في غزوهم هذه الارض في القرن العاشر قبل الميلاد .

وشعب فلسطين ، تقول التوراة ، كتابهم وكتاب المسيحيين المقدس ، هو صاحب الارض . اما اليهود فبدو عبروا ارض فلسطين في وقت متأخر ، رعاة ، غزاة . سلاحهم السيف والحقد والانتقام . ثم انسحبوا ، ولم يخلفوا وراءهم غير الدم والدمار . فكان مثلهم مثل الاشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان والعثمانيين ، غزاة . دخلوا واستوطنوا ، ثم اجلوا . وبقي الشعب الفلسطيني يعمر ارضه ويبني حضارته .

ويأتي من يدعي ان التاريخ ، وتاريخ الارض المقدسة بالذات ، قد بدأ مع يشوع والقضاة ، وتسنم ذرى المجد مع مملكة داود ، ومن بعده ابنه سليمان . وقد نسي العالم عن جهل ، او تناسى عن سابق قصد وتصميم ، ان شعب فلسطين العريق في القدم ، والعريق في الحضارة ، هو الذي عمر فلسطين ، قبل ان يظهر اليهود على مسرح الوجود . فعندما جاء ابراهيم ، الجد الذي ينتمي اليه اليهود ، متغربا في فلسطين ، كان شعب كنعان قد اقام المدن ، وشيد المعابد والهياكل ، وتطلع الى الله ، وبنى المدارس للفكر والفن ، واستغل موارد الطبيعة ، ونظم حياته في هيئات اجتماعية ، تديرها سلطة ملكية ، وترعاها قوانين وتشريعات (٨٢) .

ونسي العالم ان ارض ما بين النهرين ، وسوريا ، ومصر ، هي مهد لاقدم حضارة انسانية .

وقد اعتبر الدارسون حضارة سوريا ، في مجال التاريخ الحضاري ، من اهم البقع الضوئية ، التي شعت منهـا انوار الحضارات . قال كلود شايفـر ، احد كبار الاركيولوجيين والمؤرخين الاوروبيين في محاضرة له في باريس « كل انسان متمدن في العالم ، يجب ان يكون له وطنان : الاول موطن ولادته . والثاني سوريا . لان سورية هي منهل المعرفة الانسانية للشرق والغرب (٨٣) » .

ولا ننسى ان فلسطين هي الجزء الجنوبي منسوريا ، كما عرفهـا هيرودتس منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

---

٨٢ — راجع ما كتبه في حضارة فلسطين القديمة ، قاسم الشواف في كتابه : مع الكلمة الصافية . وانظر :

W.F. Albright: 'The Archaeology of Palestine' 1960.

Gordon Childe: 'de le Préhistoire à L'histoire. 1961.

٨٣ — راجع ما كتبه في هذا الموضوع ، الدكتور فيصل النفوري ، في مجلة البناء السورية العدد ٢٩ لسنة ١٩٧١ .

مدرسة التوراة

موسى الجديـد

عـــــابوا ..

فهل تحققت نبوءات العهـد القديـم ؟

قال **حزقيال في احدى نبوءاته** « هكذا قال السيد يهوه : عندما اجمع بيت اسرائيل من الشعوب الذين تفرقوا بينهم ، واتقدس فيهم امام عيون الامم . يسكنون في ارضهم التي اعطيتها لعبدي يعقوب ٢٨/٢٥ » . « واقيم عليهم راعيا واحدا . فيرعاها عبدي داود . هو يرعاها ، وهو يكون لها راعيا . **وانا يهوه اكون لهم الها ، وعبدي داود رئيسا في وسطهم** ١٢/٣٤ » . ذلك ما يقوله الصهاينـة ..

ففي عام ١٨٩٥ **قال الحاخام غودمان لهرتزل « كانني ارى موسى بلحمه وعظمه** .. ربما كنت ذا كالذي أصطفاه الله (٨٤) » .

اما زعماء المسيحية المتهودة ، فهم اكثر تأكيدا واشد ايمانا بأن النبوءات تتحقق ، او هي في الطريق الى الواقع الحق .

فان **القس وليم هتشلر** (Rev. William Hechler) الذي استحوذت على عقله نبوءة حزقيال ، بعدما فرغ من قراءة كتاب هرتزل « الدولـــة اليهودية » أقتحم مكتب هرتزل وقال « اذ تهو الذي كنت انتظره . **انت المسيح المنتظـر** » .

نموذج اخر من ارباب المسيحية المتهودة ، هو **الاب اغناطيوس** ١٨٣٧ — ١٩٠٨ الذي تحمس للصهيونية . وكان يتحدث دائما عن بعث مملكـة يهوذا . **ووصف هرتزل بقوله : هو يشوعكم الجديد الذي جاء لتحقيـق نبوءة حزقيال** . ان الصهيونية هي تحقيق لكلمات حزقيال النبي . وقال : اليهودية هي الصهيونية ، والصهيونية هي يهودية الله (٨٥) .

هؤلاء راوا في هرتزل موسى جديدا ، او يشوعا اخر ، او المسيـح المنتظر . اما هرتزل نفسه ، فقد احس ان في أعماقه يرقد نبي . قد يكون موسى ، وقد يكون المسيح . روى بأنه قرأ في الثانية عشرة من عمره في كتاب الماني ، عن المسيح الملك ، الذي ما زال اليهود ينتظرون مجيئه . ونمت القصة في نفس الصبي « هرتزل » وكبرت بفعل قصص الاضطهاد والتنكيل التي عاشها اليهود . حتى بات انتظار مجيء المسيح ، وانقاذه لهم ، العزاء الوحيد لهم . ولشدة ايمانه بمجيء مخلص ينقذ الشعـــب

---

84) Alex Bein: Theodor Herzel. 1945. P. 150.

٨٥ — المرجع السابق ص ٢٨٢ .

اليهودي ، ولقوة هذه العقيدة في نفسه ، وكثرة اجترارها في خياله ووهمه ، راى هرتزل حلما قال فيه : ظهر لي المسيح — الملك . فطوتني بذراعيه وحملني بعيدا على اجنحة الريح ، حتى التقينا على احدى الغيوم ، بصورة موسى . فالتفت المسيح الى موسى مخاطبا أياه : « من اجل هذا الصبي كنت اصلي » . ثم قال لي « اذهب واعلن لليهود بانني سوف اتي عن قريب . لاجترح المعجزات الكبيرة ، واسدي الاعمال العظيمة لشعبي (٨٦) .

وكان اليهود قبل هرتزل ، « **ما يزالون ينتظرون بفارغ الصبر عودة موسى** . الجميع يؤمنون بذلك . الجميع بدءا باكثر « الجيد » (٨٧) فقرا ، الى اكثرهم ثراء . مرورا بالعلماء منهم والفلاسفة والحاخامات . يؤمنون بذلك اليوم الذي سياتي فيه موسى ، ويجمعهم في اورشليم من جديد ، **ليحصد بسيفه رؤوس جميع الشعوب الاخرى ، ويدعها تتدحرج تحت اقدامهم** (٨٨) » .

والقس هتشلر الذي اقتحم مكتب هرتزل قائلا : **انت المسيح المنتظر** . جاء بصحبة هرتزل الى مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، معتبرا نفسه سكرتير « المسيح المنتظر » هرتزل . وطالما كان يردد في الاجتماع : يحيا الملك . يحيا الملك : معتبرا « مسيحه » هرتزل ملك الملوك . وقد قال في احدى مقالاته : استفيقوا يا ابناء ابراهيم . فالله يدعوكم للرجوع الى وطنكم القديم ، ويريد ان يكون الهكم (٨٩) » .

وقد بشر اسرائيل ، حسب فهمه للتوراة ، وتفسيره لنبوءاتها ، بأنها ستعود الى فلسطين قبل عودة المسيح الثانية . الذي ياتي ملكا مجيدا يتربع على عرش القدس . ويحكم العالم من هناك ، ملكا للملوك . وفي عام ١٨٨٤ اصدر كراسا بعنوان « **ارجاع اليهود الى فلسطين حسبما ورد في اسفار الانبياء** » .

وهو يرى ان عودة اليهود الى « ارض الميعاد » قد بدأت بالفعل . ويؤيد هذه الرؤيا بآيات من العهد الجديد . اخرجها بالتفسير والتأويل عن مدلولها الظاهر . فاذا هي تعني ما في فكره ، وتوافق هواه . قال ان بعض نبوءات المسيح قد تحققت منذ قديم الزمان . مثل الاية « ملوك الامم يسودونهم ، والمتسلطون عليهم يدعون محسنين . لوقا ٢٢/٢٥ » . والاية « ويقعون بفم السيف ، ويسبون الى جميع الامم . وتكون اورشليم مدوسة

---

٨٦ — المرجع ذاته ص ١٣

٨٧ — « جيد » كلمة روسية تعني « يهودي » . وبمرور الوقت اصبحت تحمل مدلولا سلبيا وتحقيريـــا .

٨٨ — « المسألة اليهودية » — مجموعة مقالات لفيودور دوستويفسكي . نشرت لاول مرة عام ١٨٧٧ في « مفكرة كاتب » ، وترجمها ابراهيم الكوني في مجلة بيروت المساء العدد ٩٨ لعام ١٩٧٥ .

89) Barent Litvinoff: 'To The House of Their Fathers'. 1965. P. 79.

من الامم حتى تكمل ازمنة الامم . لوقا ٢١/٢٤ » .

اما النبوءات الاخرى، فقد طبق عليها حسابات تنبوئية غريبة . ان دلت على شيء ، فانما تدل على مدى تأثير مدرسة الشرح والتأويل اليهودية في الديانة المسيحية ، وتحويلها الى مسيحية متهودة .

جاء في رؤيا يوحنا قوله « وسيدوسون (٩٠) المدينة المقدسة اثنين واربعين شهرا . وسأعطي لشاهدي فيتنبآن الفا ومئتين وستين يوما ١١/٢ » .

فكانت حسابات هتشلر على النحو الاتي :

يعتبر اللاهوتيون ان الشهر النبوي يساوي ثلاثين يوما نبويا . وان اليوم النبوي يساوي سنة . فاذا ضربنا ٤٢ x ٣٠ حصلنا على ١٢٦٠ يوما نبويا او سنة . واعتبر هتشلر دخول عمر بن الخطاب الى القدس سنة ٦٣٧م هو بداية دوس الامم للمدينة المقدسة . فاذا اضفنا ١٢٦٠ سنة الى ٦٣٧ سنة كانت لدينا سنة ١٨٩٧م نهاية دوس الامم ، وبدء عودة اليهود الى « سابق عزهم ومجدهم » . وكان القس هتشلر الصهيوني يكرر دائما على مسامع هرتزل قوله « لقد مهدنا السبيل لك (٩١) » .

وتظهر صهيونية القس الانجيلي في حمله لخريطة فلسطين ، وقوله لهرتزل « يجب ان تكون حدودنا الشمالية جبال كبادوكيا ، والجنوبية قناة السويس . وشعارنا فلسطين داود وسليمان (٩٢) .

وكان القس هتشلر شديد الاهتمام بيهود اوروبا الشرقية . فقضى شطرا من حياته في مساعدتهم ، بجمع المال ، والتبرعات للهجرة الى فلسطين ، واستيطانها بحماية بريطانيا . ومن هنا كان وصف المؤلفات الصهيونية له بانه « **حبيب صهيون المسيحي** » وكم من مسيحي حبيب لصهيون ؟ **خاصة رجال الدين ، ورجال الفكر المتهودين** . والفئتان تقودان الجماهير الى هاوية الصهيونية المرعبة . الاولى بواسطة **الكنيسة والمدرسة** . والثانية بواسطة **الصحيفة والكتاب** .

واذا كانوا قد رأوا في هرتزل ، موسى جديدا ، او يشوعا اخرا ، او المسيح المنتظر . فان غيرهم من الصهاينة ، قد رأوا في « بن غوريون » نبيا ، وفي « وايزمن » ايضا . فاليهود يعتقدون بأن عهد الانبياء لم ينقض . ولذلك يرفعون هرتزل « نبي الصهيونية » الى مرتبة موسى ، وسائر انبياء بني اسرائيل . حتى ان الكثيرين منهم يفضلون انبياء اليوم على انبياء الماضي . ولم تخف ارملة وايزمن هذا التفضيل حين قالت « ان موسى قد احتاج الى اربعين سنة ليصل ببني اسرائيل الى « ارض الميعاد » . اما حاييم وايزمن « زوجها الراحل » فلم يحتج الى اكثر من ثلاثين سنة ليفعل ذلك (٩٣) » .

---

٩٠ — الضمير في « سيدوسون » يعود الى الامم .

٩١ — يوميات هرتزل ج ١ ص ١٠٥ .

٩٢ — يوميات هرتزل ص ٢٤٢ .

٩٣ — الصهيونية في الستينات — محمود نعناعة ص ٨٢ .

ربما يشدهك هذا التقويم لزعماء الصهيونية ، وخامرك الذهول من اعتبارهم في مرتبة الانبياء . وربما انتابك التأمل المقرون بحسرة حزينة : كيف ؟ هل من المعقول ان نرفع هرتزل ووايزمن وبن غوريون الى مصاف الانبياء ؟ وماذا بقي لنا من موسى « كليم الله » ومن سليمان « الحكيم » ومن « يشوع » الذي اوقف الشمس باشارة من اصبعه و .. ؟

مهــــلا .

فان رب « العهد القديم » ، الكتاب المقدس لدى جميع الطوائـف المسيحية ، قد جعل من كورش ، امبراطور الفرس وابن استير اليهودية ، مسيحا . جاء في نبوءة لاشعيا « هكذا يقوب الـرب لمسيحه كورش ، الذي امسكت بيمينه لادوس امامه امما .. لاجل عبدي يعقوب ، واسرائيـل مختاري . دعوتك باسمك . لقبتك ، وانت لست تعرفني . انا الرب وليس اخر ٤٥/١ » .

فاذا كان رب العهد القديم قد اعتبر كورش الفارسي ، مسيحا ، لانه اعاد من يرغب منهم ، من السبي الـى فلسطين . فما احراهم ان يعتبروا هرتزل ، المسيح المنتظر . وينظروا الى وايزمن وبن غوريون ، نظرتهم الى نبيين ، كموسى ويشوع ، لانهم اعادوا اليهود الى ارض كنعان بعد الفي سنة من التشتت والتشريــد .

انبيـــاء الارض

واذا كانت قافلة الانبياء لا تزال تقطر في الحياة اليهودية ، فانها قد انقطعت في الحياة المسيحية ، بمجيء المسيح عيسى بن مريم ، الذي كمل انبياء اليهود ، كما يقول تلميذه متى اليهودي « لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء . ما جئت لانقض ، بل لاكمل ١٧/٥ » .

لكن قافلة الانبياء القدامى ، اعني بهم انبياء العهد القديم ، لا تزال تفعل فعلها في نفوس المسيحيين ، وتوجه مسار تفكيرهم ، وتقود خطاهم .. كيف لا ! والمسيح جاء يكمل هذه القافلة ، كما قال تلميذه متى .

وقد رايت ان الهدف ، الذي رمى اليه اولئك الانبياء ، الذين رافقوا عملية الغزو ، هو الارض . الارض . وهل من قضية شغلت الههم « يهوه » غير الارض ؟

فابراهيم رحل من اور الى ارض كنعان ، متسلحا بالوعد . وموسى جمعهم في مصر ، وقادهم بالوعد والوعيد ، بالترغيب والترهيب ، الى ارض كنعان . وعندما مات موسى ، قام خادمه يشوع يكمل ما بداه القائد : الاستيلاء على الارض .

وجميع الانبياء بعد يشوع ، انحصر همهم في الارض . واذا ما توانى احدهم عن تنفيذ ما امر به يهوه : التذبيح والتحريم والاستيلاء على الارض . فان يهوه يندم على اختياره ملكا ، ويعمل على نقل السلطة الى سواه .

خذ مثلا شاول ، « الذي مسحه الرب على ميراثه رئيسا . صم ١

١٠/١ » « وعندما ادار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل « النبي » ان الله اعطاه قلبا اخر .. **واذا بزمرة من الانبياء لقيته ، فحل عليه روح الله ، فتنبا في وسطهم** صم ١ ١٠/٩ » .

وبقي يهوه يسبغ رضاه ومحبته على شاول ، ما دام هذا الاخير يسير في الخط الذي رسمه يهوه : قتل اهل الارض ، وابادتهم . او تشريدهم .

لكن شاول خالف اوامر يهوه ، حين « **عفا عن اجاج ، وعن خيار الغنم والبقر** .. ولم يرضوا أن يحرموها صم ١ ١٥/٩ » . وكان يهوه قد امره قائلا : « اذهب واضرب عماليق . وحرموا كل ما له . ولا تعف عنهم . بل اقتل رجل وامراة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا وحمارا . صم ١ ٣/٥ » .

ازاء هذه المخالفة الجريئة لاحكام يهوه « قال الرب لصموئيل : **ندمت على اني قد جعلت شاول ملكا** ، لانه لم يقم كلامي صم ١ ١٥/١٠ » . وارسل الرب صموئيل الى بيت يسى حيث مسح داود بن يسى ملكا من وراء ظهر شـــاول .

فالرب ، او صموئيل الناطق باسم الرب ، سار مع شاول ما دام هذا الاخير يهجم على القرى الآمنة ، يعمل فيها التذبيح والتدمير . وانقلب عليه حين عفا عن اجاج الملك ، ولم يرض ان يحرم الغنم والبقر .

اما الانبياء الذين رافقوا مرحلة السبي والتشتيت ، فكان عملهم هو التعبير عن مشاعر اليهود المسبيين . ونقل رغبة يهــوه ، التي تعبر عن مشاعرهم ، بتجميع اليهود ، واعادتهم الى فلسطين .

وكان لتنبؤات اشعيا وارميا وعاموس وميخا وزكريا وحزقيال ونحميا وعزرا ، اثر بالغ في نفوس المسيحيين المتهودين . فحملوا المشاعل في الدعوة الصهيونية ، ورفعوها في كل الوجوه ، ولوحوا بها من فوق منابر العالم . وحين قامت الحركة الصهيونية ، تجندوا فيها فكــرا ، وقلمـــا ، ومالا ، وسلاحـــا .

متخرجو مدرسة التوراة

فكثير من المسيحيين . ان لم نقل اغلبهم ، قــد آزروا الصهيونية ، لاعتقادهم بأن نبوءات التوراة حول عودة اليهود الى فلسطين ، واقعــة حتما . ولذلك قال وايزمن « ان من الاسباب الرئيسية لفوز اليهود في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا ، بانشاء الوطن القومي اليهودي ، هــو **شعور الشعب البريطاني المتاثر بالتوراة** » .

ولا ننسى أن ساسة بريطانيا المتصهينين ، بفعل صهيونية التوراة ، التي تشربوها في البيت ، وفي اجتماع الكنيسة ، وفي المدرسة . قد وجهوا سياسة انكلترا لخدمة الصهيونية وتحقيق مآربها . فقد ظهر اهتمام بلفور باليهود قبل ظهور الصهيونية الهرتزلية . وكان من اثر اهتمامه البالـــغ

بالفلسفة اليهودية ، ان رأى الدين والحضارة المسيحيين ، يدينان لليهودية . ولعل هذا الاهتمام يعود ، كما تقول ابنة أخته ، الى دراسة امه للعهد القديم . والى تربيته الاسكوتلاندية (٩٤) . وطالما كان رفاقه يرونه غارقا في سفر اشعيا . يتغنى بالشوق المخض الى « ارض الميعاد » . وكان يرى في اليهود شعبا منفيا . وانه من الواجب اعادتهم الى وطنهم .

وللشعب الاميركي عطف خاص على اليهود ، لان اكثريته من البروتستانت ، المتأثرين ، الى حد بعيد ، بتنبوءات التوراة ، عو عودة اليهود الى فلسطين . **حتى ان رجال الكنيسة البروتستانتية** اخذوا يتدخلون متشددين ، لتأييد القضية اليهودية . ففي عام ١٩٤٥ وقع نحو خمسة الاف قسيس منهم مذكرة رفعوها الى الحكومة ، طالبين فيها فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية .

والحقيقة ان اغلب سكان البلدان الجرمانية والانكلوسكسونية ، خاصة طائفة البروتستانت ، وجميع الفرق المنشقة عنها او المتحدرة منها ، قد نشأوا في تواصل حميم مع التوراة . مما ولد في نفوسهم عطفا على الصهيونية . فالسياسي الانكليزي لورنس او ليفانت صاحب كتاب « ارض جلعاد » ، ١٨٨٠ . هو من ابوين انجيليين . استوطن حيفا ، وفيها مات سنة ١٨٨٨ . حاول الحصول على براءة من السلطان العثماني ، تقضي بمنح اليهود جنوبي سوريا ، لاستصلاح الاراضي وتعميرها . وكان من شدة ايمانه بالعنصر اليهودي ، وبمقدرته على التفوق والتعمير ، ان جعل شعاره « تجديد شباب تركيا بواسطة اليهود وتحت اشراف بريطانيا » .

متنبيء اخر مثل هتشلر ، هو فرانك جناوي . اكد في مقالاته وكتبه أن الحركة الصهيونية هي العلامة الدالة على قرب مجيء المسيح ، ليبسط سلطانه على العالم من على عرشه في القدس . وقال « ان هجرة اليهود الى ارض كنعان تمثل التحقيق المطلق لتلك النبوءات ، في ما يتعلق بعودة اليهود الى ارضهم ، قبل مجيء المسيح المنتظر الى هذا العالم (٩٥) » .

وبعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين ، اصدر عام ١٩٢٢ كتاب « فلسطين والعالم » . طبع شعاره على الغلاف « ارض اسرائيل لشعب اسرائيل » .

وجناوي كان الناطق باسم الطائفة الدينية المعروفة بـ «اخوة المسيح» . وقد تركزت دعواتها التبشيرية على نفسير نبوءات الكتاب المقدس ، خاصة سفر الرؤيا . ومحاولة تطبيقها على الاحداث الجارية والمستقبلية .

وسياسي اخر مثل بلفور هو المستر سكوت ، رئيس تحرير صحيفة المانشستر غارديان . يقول وايزمن انه اجتمع به ، وبسط امامه بعض

---

94) Blanche Dugdale: 'Arthur Balfour'. 1936. P. 433.

95) Frank Jannaway: 'Palestine and the Jews', or: 'The Zionist Movement an Evidence that the Messiah will soon appear in Jerusalem to rule the whole world therefrom.' 1914.

الافكار الصهيونية . فانبرى الصحافي الانكليـزي ، ذو النفوذ القوي والواسع ، قائلا : انه مستعد لمساعدتنا في اي مسعى نبذله لصالـح اليهـود .

لمـاذا ؟

مستر سكوت مسيحي . تقلب في ايمانه تحت وطاة مجموعة من التأثيرات . فهو مرة رافض لعقيدته المسيحية . ومرة شاك في ما يتعلـق بالاخرة . وكان قد نوى في شبابه ، الإنتساب الى سلك الكهنوت . ثـم تراجع ، لانه لم يمل الى مثالية المسيحية واخلاقية المسيح . بل استهوته الديانة اليهودية . اولا : لانه تشرب بالتوراة منذ نشاته . وثانيا : لان العقيدة اليهودية ، التي تفوح منها رائحة العنف ، وصفاء العرق ، واختيار العنصر ، قد فعلت في نفسه ، فوافقت هواه . وتجاوبت مع ميوله . **وهكذا وقف من وايزمن وقفة هتشلر من هرتزل** . فكان ، بحكم عملـه الصحفي ، صلة الوصل بين حاييم وايزمن وبين شخصيات بريطانيا وقادتها السياسيين ، من مثل لويد جورج وسواه . ويقول عنه وايزمن « انني تعرفت على رجل . **قيمته لا تقدر بالنسبة للحركة الصهيونية ، لان عطفه على المثل العليـا اليهودية كان عظيما** . ونفوذه الشخصي العام كان هائلا (٩٦) » .

كان اغلب زعماء بريطانيا ينادون بالصهيونية ، ويبشرون بهـا في المحافل والمؤتمرات ، اكثر من الصهيونيين انفسهم .

بلفور صاحب الوعد المشهور ، ذهب الى اميركا ، واتصل بزعمـاء اليهود ، داعيا اياهم الى نصرة الصهيونية ، والالتفاف حول زعمائهـا ، لدرجة انه اطلق ، في خطاب له في واشنطن سنة ١٩١٧ قوله المشهـور : **انـي صهيونـي** .

ومثله كان لويد جورج ، ولورد سيسل ، وغيرهم من ساسة بريطانيا ، صهيونيين اكثر من الصهاينة انفسهم .

ولا ننسى أن حزب العمال البريطاني ، قد دعا الى **اجلاء العرب عن فلسطين ، من اجل ايواء اليهود فيها** (٩٧) . وكان اليهود كانوا مشردين ، يبيتون في العراء ، او في الخيام ، كما هو حال الفلسطينيين اليوم . والحقيقة ان الانسان يقف مبهوتا امام هذا البيان او الدعوة التي يطلقها حزب العمال في بريطانيا العظمى « اجلاء العرب » ، و « ايواء اليهود » .

ومجلس لوردات انكلترا اصدر عام ١٩٤٤ وثيقة . جاء فيها « على العرب ان يرحلوا من فلسطين . اذ لهم اوطان سواهـا . والا تعرضوا لمنهج الابادة » .

---

96) Paul Goodman & Arthur Lewis: 'Zionism'. 1916. P. 3.

وانظر ما كتبه في هذا الموضوع الدكتور اسعد رزوق في كتابه : اسرائيل الكبرى . منشورات مركز الابحاث — بيروت .

٩٧ — اسرار المؤامرة الصهيونية لعبد الله النجار ص ٥٢ .

فلوردات انكلترا ، المسيحيون المتهودون ، لا يعرفون ان فلسطين مي وطن الفلسطينيين ، بشهادة التوراة نفسها ، وإن اليهود بدو ، غرباء ، طارئون عليها . استطاعوا الاستيلاء على بعض المرتفعات بمعونة ربهم وقائدهم « يهوه » ، كما يدعون .

وكان مجلس اللوردات لم يحفظ من العهد القديم ، الجزء الاول من كتابهم المقدس ، غير منهج الابادة ، لان رب الجنود « يهوه » كان يأمر قواده وجنوده بابادة الشعوب ، وقتل البقر والغنم والجمال والحمير .. وقطع الاشجار ..

الا تعني وثيقة مجلس لوردات بريطانيا المسيحية ، انهم صهاينة . وان منهج الابادة هو منهج توراتي ، رسخ في اذهانهم قبل ان يرسخ المنهج المسيحي ، الداعي الى المحبة والعدل والرحمة .

فقد كان من نتيجة الانسياق الاعمى في تيار التوراة ، ان انتفت من نفوس المسيحيين ، في اوروبا واميركا ، روح الانجيل التي تنضج بالرحمة والمحبة والتسامح . وحلت محلها شرائع العهد القديم ، التي تغلي بالحقد والكراهية ، وتفور حبا بالابادة والتدمير .

يقول كالفن زعيم البروتستانتية « ان الله يحب ان تطرح الرافة والانسانية جانبا » .

الا تعتقد ان كالفن يقصد بقوله : اله التوراة ، الذي لا يعرف رافة ولا رحمة ؟ وهل يؤمن زعيم البروتستانتية بغير التوراة ، والهها ؟

ولما زار تشرشل ، وزير المستعمرات البريطاني ، فلسطين في شباط ١٩٢١ صرح فيها بقوله « من الحق الصريح لليهود المشتتين ، ان يكون لهم وطن قومي يجمعهم . وهل يكون هذا الوطن غير فلسطين ، التي ما برح اليهود ، منذ ثلاثة الاف سنة ، مرتبطين بها » .

هل يسمح لنا تشرشل ، وجميع زعماء بريطانيا الذين يقتفون اثاره ويلهجون برأيه ، أن نسألهم : ما هو نوع الرابط الذي لا يزال يشد اليهود الى فلسطين ؟

وطالما كان لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا ، يردد قوله ، الذي واجه به مجلس العموم البريطاني عام ١٩٣٧ « أن العرب دخلاء على فلسطين .. وأن اليهود هم سكانها الاصليون .. بعد طرد الحثيين والعموريين .. »

وهل يسمح لنا جميع زعماء انكلترا . من وارتهم القبور ، ومن لا يزالون يتصدرون المجالس والمحافل الدولية ، ان نسأل : متى كان اليهود سكان فلسطين الاصليين ؟ الم يكونوا غزاة ، بناء على وعد مزعوم لفقوه على لسان الههم يهوه ؟

وكم طالت فترة غزوهم ؟

وهل طردوا الحثيين والعموريين ؟ أم ان اصحاب الارض هم الذين طردوا الغزاة وشردوهم في اربع ناحيات الارض ؟

اليست فلسطين ارض الفلسطينيين . ومن هنا كان اسمها . وعندما

جاء الاسلام ، اعتنق الدين الجديد من لم يكن على المسيحية ، وبقوا في ارضهـم ؟

وقد ربط الدارسون قيام دولة اسرائيل ، وهي لما تزل فكرة او مشروعا ، بالمطامع الاستعمارية والمصالح الاستراتيجية . وقالوا ان الغرب عمد الى مماشاة اليهود ، ومن ثم استغلالهم ، لتحقيق تلك المطامع والمصالح .

من ذلك ما جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت مادة « صهيونية » «لقد وجد في انكلترا كتاب سياسيون يطالبون باعادة انشاء دولة يهودية في فلسطين ، تحت الحماية البريطانية ، كوسيلة الى تأمين الطريق البرية الى الهند » .

ولكن دائرة المعارف البريطانية ذاتها تعود لتقول « **ان الاهتمام بعودة اليهود الى فلسطين ، قد بقي حيا في الاذهان ، بفعل المسيحيين المتدينين .** وعلى الاخص في بريطانيا ، اكثر من فعل اليهود انفسهم » .

وكان دعاة الصهيونية قد اوهموا الانكليز بأن انشاء دولة يهودية في فلسطين ، هو ضمان لحماية قناة السويس ، وسائر المصالح البريطانية في الشرق الاوسط .

فظاهر الاتفاق هو تبادل المنافع بين دعاة الحركة الصهيونية ، وبين الحكومة الانكليزية . ولكن باطنه هو انعكاس للخلفية الفكرية عند الشعب الانكليزي . وهذه الخلفية الفكرية ترتكز على قواعد ثابتة . قطعت حجارتها من « العهد القديم » ، وصقلت بالتفاسير والتأويل ، التي كان لليهود اليد الطولى في نحتها ورصفها بشكل يبهر الابصار ويعمي البصائر .

واهم هذه المرتكزات او القواعد التي بنيت عليها الخلفية الفكرية عند الانكليز ، هي ما اقتطع من كتاب العهد القديم ، من عبارات ومضامين ، تخدم مصالح اليهود وتحقق مآربهم . مثل : اختيار الله لهم .. وحقهم المقدس بأرض فلسطين ..

فكتاب العهد القديم كان له اكبر الاثر في تأسيس وتكوين القاعدة الفكرية عند الانكليز . حتى ان كبار رجال السياسة كانوا صهاينة اكثر من اليهود انفسهم . وكانوا يرون في اعادة اليهود الى فلسطين ، وانشاء دولة لهم ، ونشر ظل الحماية والعطف والعون عليهم . انما هو تحقيق لوعود الله في الكتاب المقدس ، وتنفيذ لارادته ورغبته . وفي ذلك منتهى التدين والايمـان .

وقد أدرك اليهود هذه الناحية ، واستغلوهـا . فعندمـا بدأت الصهيونية تبث الدعوات ، مرتكزة علـى وعود التوراة ونبوءاتها ، كانت عقول الساسة الانكليز والاميركان ، ارضا خصبة لتقبل هذه الدعـوات ، والعمل على تحقيقهـا .

وقد اشار الى ذلك وايزمن في رده على اليهودي لوسيان وولف ، زعيم الجناح المعارض لمشروع اقامة الدولة اليهودية في فلسطين . قال « اذ لم يكن يخطر في باله ان رجالا امثال بلفور وتشرشل ولويد جورج ، كانوا من **المتدينين والمؤمنين بالتوراة . لدرجة انهم يرون ان رجـوع اليهود الى**

فلسطين هو امر واقعي . واننا نحن الصهيونيين نمثل لهم تراثاً عظيما يكنون له اعظم التقديــر (٩٨) » .

يتصيدون الجهلة والبسطاء ، ويستغلون العاطفة الدينية

ولا ننسى ان النجاح الذي اصابته الصهيونية في الدوائر البريطانية ، وفوق ذلك ادراجها بين القضايا السياسية البريطانية ، راجع بالدرجــة الاولى الى **جهل الراي العام البريطاني** ، كما يقول الكاتب الانكليزي جيفرز في كتابه « حقيقة فلسطين » .

ومعظم الساسة الانكليز ، الذين كانوا يضطلعون بالمسؤولية انذاك ، لم يكن يتوفر لديهم هم انفسهم ، المام بتاريخ هذه البلاد التي كانوا ينوون حكمها . مثل بلفور الذي اصطنع البراءة واستغلها . واغلبهم لم تكن له مصلحة في تبديد جهل الشعب .

وتعتبر الحركة الصهيونية من اقدر الحركات على استغلال جهــل الشعب ، وسطحيته ، وبساطته ، وبالتالي ابتعاده عن مطالعة الدراسات العميقة والتحليلية .

ولقد استطاع الصهاينة ، ايهام الناس ، خاصة البسطاء والسذج ، بمسالة اختيار الله لهم . وما زالوا قادرين على استجهال الامم ، وحملها على الاعتقاد بانهم في اصل الدين المسيحي . وان المسيح جاء يكمل مــا بداه انبياؤهم . فكانت مساعدة الامم لهم في العودة الى « ارض الميعاد » التي يزعمون ان الله وعدهم بها ، منذ رحل ابراهيم من « اور » الكلدانيين الى ارض كنعان حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد . ولا يزال الوعد قائما في الكتاب المقدس . وما على الامم الا تحقيق وعد الله ، الذي اعطاه لابراهيم واسحق ويعقوب . وذكر به عشرات الانبياء مرات ومرات ، عندما كان يشعر بتقاعسهم في العودة الى « ارض الميعاد » .

فعندما عجزوا عن استمالة ذوي العقول المستنيرة ، **راحوا يتصيدون الجهلة والبسطاء** ، الذين تخيم في عقولهم اطيــاف الخــوف ، والرضى ، والقبول . فكان اكثر المشدودين الى مضامين اليهودية البراقة ، ودعواتها المغررة ، قد انجرفوا في تيارها وانزلقوا في حفرها عن غفلة وجهل وسذاجة وحسن نية . دونما علم بمقاصدها ودراية ، باهدافها .

وكانت تصريحات الصهاينة ، المشفوعة بايات الكتاب المقدس ، واقوال الانبياء ، ومعجزات القديسين ، تنفث السموم القاتلة عن طريق افاعيهم المنتشرة في انحاء الارض ، لتشل عقول الناس ، او تخدرها ، فتصبــــح ادوات طيعة في ايديهم .

قال بن غوريون « **ان الدولة قد بعثـت في الجزء الغربي من ارض اسرائيل** . وهذا جزء من بلادنا الصغيرة » . وقال في مناسبة اخــــرى

---

٩٨ ـ مذكرات وايزمن ص ١٥٨ .

« ان الدولة قد تأسست على جزء من ارض اسرائيل . ولا بد من استعادة الحدود التاريخية ، كما حددت وجسدت منذ بدء التاريخ (٩٩) » .

وهل كانت فلسطين « بلادهم » و « ارضهم » في غير كتاب العهد القديم « المقدس » ؟

وخاطب موشى دايان ، قائد الجيش الاسرائيلي ، الشعب اليهودي من اذاعة اسرائيل في ١٢ شباط ١٩٥٢ قائلا « على الشعب ان يتهيأ للحرب . وعلى الجيش الاسرائيلي أن يقوم بالقتال ، وهدفه الاسمى هــو بناء الامبراطوريــة الاسرائيلية » .

طبيعي ، الامبراطورية التي تحدثت عنها التوراة ، وتنبأ بها انبياؤهم .

وبعد حرب حزيران واحتلال اسرائيل لبعض المناطق العربية في الضفة الغربية للاردن ، وسيناء ، وهضبة الجولان . اعلن السفير الاسرائيلــي في فرنسا : « **ان اسرائيل لم تأخذ شيئا يخص شخصا اخر** (١٠٠) » .

كذا .. لان ارض الضفة الغربية ، وسيناء ، وهضبة الجولان . من ضمن الحدود التي خططها يهوه في كتاب العهد القديم « المقدس » .

واستطاعت الصهيونية ان تستغل العاطفة الدينية لدى الغرب ، خاصة رجال الطائفة البروتستانتية . والحقيقة أن الدعوة لاعادة اليهود الـــى فلسطين ، واقامة الدولة اليهودية ، وجدت انصارها في الاوساط المسيحية البروتستانتية ، قبل الاوساط الكاثوليكية . ولعل ذلك يعود الى دعـــوة البروتستانتية اتباعها الى العودة الى التوراة .

والتوراة في مجملها ، تاريخ اليهود ، في فترة غزوهم ارض فلسطين . فكان من الطبيعي ان يرسخ **في وجداناتهم الشعور باقتران فلسطين باليهود** . ففي فلسطين تحققت مملكتا داود وسليمان ، وفي القدس اقيم هيكل الرب . **وصار تاريخ فلسطين الذي يعرفونه هو تاريخ اليهود في فلسطين** .

وكانت كتب التاريخ القديم المتداولة بين ايدي الناس ، وفي المدارس والجامعات ، تساعد في بث هذه الافكار في نفوس الناس وتثبيتهـــا في عقولهم . ويكفي ان اشير الى كتاب واحد يعتبر مرجعا عالميا في التاريـــخ القديم ، ويدرس حتى يومنا هذا في مدارس وجامعات الغرب والشرق ، بما في ذلك البلاد العربية ، للاسف الشديد . وهو كتاب « العصور القديمة » **للمؤرخ هنري برستد** .

فهذا المؤرخ لم يشر مثلا : الى الكنعانيين ، اهل فلسطين ، الا عرضا ، واثناء حديثه عن مجيء اليهود الى فلسطين . فقد **افرد اربعة فصول للحديث عن الغزاة اليهود** . الذين قضوا اكثر من قرنين في احتلال بعض جبـــال فلسطين . ولم يدم ملكهم الذي اقاموه في هذه الارض اكثر من قرنين ونصف القرن ، وعلى فترات متقطعة . بينما لم يفرد للحديث عن الكنعانيـــين

---

٩٩ ــ كتاب حكومة اسرائيل السنوي ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ .

١٠٠ ــ نيويورك تايمز ١٩٦٧/٧/٢٧ .

وحضارتهم التي دامت اكثر من ١٥٠٠ سنة ، مجرد فصل واحد .

جاء في حديثه عن الكنعانيين قوله « في ذلك الحين » اي عند مجيء اليهود .» كان لدى المدن **الفلسطينية ، التي لم تقهر ، حضارة عمرها ١٥٠٠ سنة . تضم بيوتا مريحة ، وحكومة وصناعات ، وتجارة ، وكتابة وديانة .** حضارة اسرع الرعاة العبرانيون المتخلفون الى اقتباسها (١٠١) » .

ترى ، لماذا تقاعس برستد عن افراد فصل واحد للكنعانيين الذين كانت لهم ، باعترافه ، حضارة ضمت الصناعة والتجارة والكتابة والديانة . وعمرت اكثر من الف وخمسمائة سنة . ويفرد الفصول الطوال لتاريخ حياة الرعاة المتخلفين ، الذين اقتبسوا حضارة الكنعانيين وديانتهم ، ومسخوها ، وشوهوها ؟

لماذا ؟

لست ادري !

ادري شيئا واحدا هو ان برستد ، كسائر مؤرخي العالم القديم ، كان واقعا تحت تاثير التوراة . واذا كانت حضارة الكنعانيين وديانتهم لا تزال طي الكتمان ، في بطون الارض ، او منقوشة على جدران الهياكل والمعابد والمقابر ، فان **التوراة ، التي هي صورة مشوهة عن ديانة الكنعانيين ، قد ترجمت الى اكثر من ١٢٠ لغة ، وطبعت منها ملايين من النسخ .** او قل انها في كل بيت ، وفي كل معبد ، وفي كل مدرسة في الشرق والغرب تقريبا .

والملاحظ ان برستد الذي مجد الحضارة الكنعانية على هذا النحو يعرف عنها الكثير .

فلماذا صمت ؟

لست ادري !

هذا مثال سقناه . نعود الى البروتستانتية التي اعتمدت التوراة كتابا مقدسا ، واعتبرتها جزءا اساسيا من عقيدتها . فكان لليهودية ، ركن العقيدة البروتستانتية ، والتي تكون القاعدة الفكرية عند كل بروتستانتي ، اثر فعال في الدعوة لفكرة « العودة .» . عودة اليهود الى فلسطين ، التي هي باعتقادهم ، مشيئة الله . وما على المؤمنين الا العمل على تحقيق هذه المشيئة الالهية .

وان التركيز في البحوث الدينية والتاريخية على كتاب العهد القديم ، خلق الانطباع عند الغربيين بان فلسطين يهودية . فعودة اليهود اليها امر حتمي ، لانه مشيئة الهية .

ثم انشقت البروتستانتية ، بفعل عوامل متعددة ، الى مجموعة طوائف . مما افسح المجال امام الحركة الصهيونية للتعامل مع كل طائفة بمفردها . فضلا عن تعاملها مع الافراد في حرية تامة . فكانت هناك

---

101) James Henry Breasted: 'Survey of the Ancient World', 1919. P. 97.

الجمعيات والمؤسسات والنوادي الكثيرة ، مسيحية في ظاهرها ، وصهيونية في برامجها واهدافها .

اضافة الى جمعيات مشتركة بين اليهود والبروتستانت ، تتبنى دعوة الصهيونية والعمل من اجلها .

وهكذا وجدت الحركة الصهيونية حلفاءهـا وانصارهـا في البلاد البروتستانتية على مستويين : حكومي ، وشعبي . مما ساعدها على رفع الباطل وازهاق روح الحق .

وارباب الحركة الصهيونية ، بما لديهم من خبرة ونفوذ ، يعاونهـم عدد وافر من غير اليهود . ممن تأثروا ، لسبب او لاخر ، بالحركـة الصهيونية . يولون التوراة اهتماما شديدا . مركزين على تفسير النصوص بما يتلاءم والنظرة اليهودية ، تمهيدا لاعادة تفسير النصوص في ما يتعلق بأرض الميعاد . خذ مثلا الراهب اللوثري الذي وقف في السادس من شباط ١٩٦٤ محاضراً امام شبكة تلفزيون اميركية . قال « انني اريد ان اذكـر الناس بأن « العهد القديم » **هو الكتاب المقدس الوحيد الذي استعملـه يسوع** » (١٠٢) . وكأن يسوع كان تلميذا في مدرسة المتنبئين اليهود ، وكان كتابه « العهد القديم » ؟

ويقودون الامم بالابـواق والمنابـر

حين اخذ ظل بريطانيا العظمى يتقلص خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي اعقابها ، توجه الصهاينة الى اميركا . ورموا بكل ثقلهم الاقتصادي والسياسي في خضم المجتمع الاميركي ، ورموا معه كل ما تحمله كتبهـم الدينية والسياسية من نزعات وانحرافات ، وامراض فكرية واجتماعيـة . سموها امالا دينية . نذروا انفسهم لتحقيقها . وسموها عقائد ، اخذ بها الشعب الاميركي ، واعتبرها الدين الصحيح والمعتقد القويم .

تغلغلوا ، فاثروا ، وفعلوا . كتب ، محاضرات ، ندوات ، منشورات .. **حتى باتت اميركا قاعدة لتصدير الجمعيات والطوائف . خذ مثـلا الماسونية ، والسبتية ، والانجيلية** ، وحركة المتجددين .. وكلها تسير في ركاب الصهيونية وتخدم اهدافها . اما الميدان الذي عبات له الصهيونيـة كل امكاناتها المادية والمعنوية ، معتبرة اياه مـن اهم الميادين في تكـوين القاعدة الفكرية عند الراي العام ، وبالتالي استمالته وكسب تأييده ، فهو ميدان الاعلام والثقافة . اعني الثقافة السياسية .

وقد نجحت الصهيونية في اميركا ، في اقامة الاستحكامات التي هيات لها السيطرة على هذا الميدان . فاصبح الراي العام الاميركي ينطلق من قاعدة صهيونية في الفكر والدين والسياسة . واصبح الاميركيون كالدمى . تلعب بهم اصابع الصهيونية . تصدرهم في المحافل والمؤتمرات ، فلا ينطقون

١٠٢ ــ مجلة تايم ٧ شباط ١٩٦٤ .

الا باسمها . وترسلهم في بعثات تبشيرية فلا يخدمون الا مآربها .

هذا ما صرح به السناتور وليم اغنر عام ١٩٥٥ قال : « لقد تمكنت الحكومة الخفية « يقصد الصهيونية » من ان تكون لها رقابة كاملة علـــى الصحف والاذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما ، وكثير من المؤسسات التي تؤثر على الراي العام الاميركي ، بما في ذلك الكنائس المسيحية » .

واستطاعت الصهيونية التسلل الى الهيئـــات الدينية المسيحيـــة ، وكسب مودة رجال الدين . فكان رزر فورد ، احد رسلهم في الولايات المتحدة الاميركية ، بوقا لهم ، يبشر بكتابهم ، ويدعو دعوتهم * وينشر من مبادئهم ما يسمم فكر الغربي ، خاصة الاميركي . لان المجتمع الاميركي البدائي ، الخالي من القيم الحضارية والانسانية ، كان ارضا خصبة لتقبل مثل هذه المبادىء .

جاء في كتابه « كتاب حياة » قوله « ان **عودة اليهود الى فلسطين . إن هي الا تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس** » وقوله « ان على المسيحي ان يهتم بأعادة اليهود الـــى ارضهم في فلسطين : والتي هي ارض ابائهـــم واجدادهم » .

وكان لرزر فورد وجماعته ، جمعية باسم « جمعية التوراة » . كانت تضم سنة ١٩٥٠ ثلاثة ملايين نسمة ، منتشرين في كافة انحاء العالم . لا عمل لهم الا التبشير ، والتضليل . ولهذه الجمعية مجلة « برج المراقبة » تصدر بست وستين لغة . يطبعون منها اربعة ملايين نسخة . ومجلـــة اخرى « استيقظ » يطبعون منها اربعة ملايين نسخة ، وتصدر بخمس وعشرين لغـــة .

جاء في مجلة لهم قولهم « هذا . واننا لنرى اليوم اعين اليهود في الارض ، شاخصة نحو فلسطين . يرمقون بعيونهم ، وكأنهم يرون اقتراب الشيء المنتظر . وقلوب المتدينين منهم مفعمة بالرجاء ، ان يكون وقـــت اجتماع اليهود في فلسطين ، وانشاء الحكومة من اليهود ولليهود ، قد دنا حسب التدبير الالهي » .

وكان الدكتور يوناثان تشيرمان اسقف لونج ايلاند ـــ نيويورك ، يقول « أن الكتاب المقدس الذي يضم العهدين : **القديم والجديد** ، هو وحدة تجمع نصوصا متنوعة ، **تحدد وعود الله وتحقيقها عبر التاريخ** » (١٠٣) .

واستغل اليهود المجامع الكنسية ، والمؤتمرات الدينية ، وما تتخذه من مقررات هي على الاغلب ، في صالحهم . ليستنفدوا طاقات الحكومات التي تحتضن هذه المجامع والمؤتمرات ، في خدمة مصالحهم وتنفيذ غاياتهم .

اما رجال السياسة ، فيكفي ان اذكر لك ما يقوله الكاتب الاميركي دوجلاس ريد « **ان رؤساء اميركا ، ومن يعملـــون معهم ، ينحنـــون امام الصهيونية كما لو كانوا ينحنون امام ضريح له قداسته** » .

---

١٠٣ ـــ اسرائيل في الكتاب المقدس . ترجمة حسني خشبة ص ٦٥ .

« ينحنون امام الصهيونية » ..
لمـــــاذا ؟

الا تعتقد ان نصوص التوراة ، التي نشأوا عليها في البيت و في المدرسة وفي الكنيسة ، جعلتهم يرون في اليهودية وكتابها اصل كتابهم « الانجيل » . ومن هنا كان حدبهم على اليهود ومساعدتهم لهم في قضيتهم .

والتوراة ، كما رايت ، ليست مجرد كتاب ديني ، يربط اليهود بأحداث تاريخية معينة ، وبمفاهيم دينية خاصة ، على نحو ما نرى في كتـــب الديانات الاخرى . ولا يكفي ان لها ، كما للتعاليم والشروح والتفاسير التي وضعت حولها ، الاثر الاكبر في تكوين اليهود الفكري والاجتماعي والسياسي . وانما هي ، قبل كل شيء ، **دعوة عنصرية في قالب عقيدة ، ووثيقة سياسية مغلفة باطار ديني** ، ورسالة اجتماعية لها صفة المقدس . وقد استخدمت هذه العقيدة ، لنشر دعوتها وتأكيدها في النفوس . ومن ثم عملت ، ومـــا تزال تعمل ، على تحقيق الوثيقة حسب المخطط المرسوم في التوراة . وخرجت الاجيال بحسب منهجية هذه الرسالة . ووجهت اليهود الى ما ينبغـــي ان يكون بعضهم ازاء بعض ، وازاء غيرهم من الامم .

وان ما شغل زعماءهم واحبارهم وحكماءهم ، من كتابهم . هو وضع الفكرة السياسية موضع التنفيذ . يساعدهم في ذلك الدعوة العنصرية التي تجمع اليهود المشتتين ، في مفهوم قبلي . يزيده تماسكا والتحاما ضربـــات الاضطهاد التي نزلت بهم .

والحق نقول ان **الصهيونية** ليست وليدة القرن التاسع عشر ، نتيجة الاضطهاد الذي عانى منه اليهود ، كما يحلو القول للمؤرخين . وانما هي **تضرب جذورها في ارض التوراة** . وقد انبتها السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد ، حين كان ابناء السبي يرنون بابصارهم صوب صهيون . يندبون « المجد » الزائل ، ويتغنون بالمجد الاتي . « على انهار بابل ، هناك جلسنا . **« بكينا عندما تذكرنا صهيون** . ان نسيتك يا اورشليم تنس يميني . ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك . ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحـــي . مزمور ١٣٧ » .

فهذه الكلمات تمثل بذور الصهيونية . وقد بقيت فكرة الصهيونية ، ودولة اسرائيل ، حية في كلمات هذا المزمور ، وغيره من اسفار العهـــد القديم . ولقد كانت تلك الكلمات ذات اثر سحري عجيب في نفوس بني اسرائيل . وشيئا فشيئا اصبحت البذرة الاولى للحركة الصهيونية .

ولذلك قال احد الصهاينة الانكليز « ان الصهيونية قديمة قدم اسر الشعب اليهودي ، وتدمير الهيكل من قبل نبوخذ ناصر » (١٠٤) .

وقال مؤرخ صهيوني اخر « صهيون لم تكن مجرد اضغاث احلام .

---

104) N. Bentwich: «Palestine.» London, 1934. P. 60.

لقد كانت تحف بها قلوب اليهود من شتى بقاع العالم (١٠٥) » .

وقال الايديولوجي الصهيوني الشهير ناحوم سوكولوف « منذ تدمير الهيكل ، اي ما يقرب من الفي عام ، لم يفارق اليهودي حنينه الى فلسطين (١٠٦) » .

وقد روج زعماء الصهيونية هذه التصريحات بقدم الصهيونية ، في مجتمع من العميان ، لاقناع العالمين الاوروبي والاميركي ، بأن عودة اليهود الى فلسطين ، واقامة دولة يهودية فيها ، انما هو تحقيق لوعد الله في كتاب المسيحيين المقدس .

ولم يزل الوعد ، والاله الذي قطع الوعد ، والكتاب الذي يحمل الوعد ، سلاح الصهيونية في كسب تأييد العالم الغربي ، ومناصرته لها بالسلاح والدم والمال .

وكثيرا ما تبدو **الصهيونية نظاما دينيا عاطفيا** . يترك في النفس اثرا بالغا . عن طريق صوغ قواعده بعبارات شعرية . كقول وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان « **ما دامت التوراة ، ام الكتب موجودة ، وما دام للتوراة شعب . افلا ينبغي ان يكون لهذا الشعب ارض** » ؟ . وفي مناسبة اخرى ، في التاسع من آب ١٩٦٧ قال موشي دايان « لما كان عندنا كتاب التوراة . ونحن اهل الكتاب . يصبح لدينا ايضا **ارض التوراة . ارض القضاة** ، والاباء ، في القدس والخليل واريحا وجوارها » .

وقال في تصريح اخر « ان سلسلة الجبال الواقعة غربي نهر الاردن ، تقع في صميم التاريخ اليهودي (١٠٧) » .

وفي عام ١٩٢٩ رفع اليهود المتطرفون يافطات كتب عليها « ليس الانتداب البريطاني ، بل التوراة ، هي التي تضمن حقوقنا على هذه الارض » .

وحتى اليوم ، الربع الاخير من القرن العشرين ، لا تزال الصلة بين اليهود وبين ارض فلسطين ، تستقي صورتها وصياغتها من ينبوع التوراة ، الذي يبدو انه لا ينضب . وقد رايت في سياق هذا البحث ، ان كتاب العهد القديم يدور حول فكرة واحدة ، تشكل محورا تدور حوله وتنصب فيه جميع الافكار الاخرى — الوعد بالارض .

فالتوراة ، وجميع الكتب التي دارت في اطارها بشكل تفاسير وشروح ، كانت هي القاعدة الفكرية عند اليهودي ، والمسيحي اليهودي ، وجميع الفرق والحركات المسيحية المتهودة . تتركز عليها وتنطلق منها جميع اتجاهاتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية .

---

105) H. Sacher: 'The Course of Modern Jewish History'. N.Y. 1963. P. 265.

١٠٦ — يوري ايفانوف — احذروا الصهيونية — ترجمة احمد داود ص ٢٠ .

107) 'Jerusalem Post', August 10, 1967.

رسخت قصصها واساطيرها في اذهانهم ، مذ نشأوا على مقاعد الدراسة ، ومذ كانوا يترددون على المجامع والكنائس لاقتبال بركة كاهن او سماع خطبة واعظ ، يفصل في الشروح ، ويشعب في التأويل ، ويردد من التفاسير ، ما يجعل عقل السامع حائراً في بيداء من الضياع والتشتت . وعذره ان هذه الغيبيات مقدسة ، لا يرقى اليها العقل ، وليس بقادر على الاحاطة بهـا .

فالصهيونية ، كفكرة ، كانت راسخة في عقول المسيحيين ، بتأثير العهد القديم . ثم صارت دعوة ، اخذ بها مؤسسو الصهيونية . ثم اضحت حركة اجتماعية واسعة ، على صعيـد مؤسسات دينيـة ، واجهزة اعلامية ، ومؤتمرات دولية ، ومحافل اممية . والدعوة والحركة اعتمدتا على الفكرة الراسخة في العقول ، بتأثير الكتب الدينية المختلفة ، من موسوية ، الى مسيحية ، فمحمدية .

والصهيونية غزت افكار الفئة المسيحية المتدينة ، او ما نسميه بالتيار التقليدي في الكنيسة المسيحية . وهذه الفئة تشكل الغالبية العظمى مـن الشعب المسيحي . وهؤلاء يؤمنون بأن اليهود عادوا الى بلدهم . والعهد القديم يؤكد بنبوءاته المتعددة على هذه العودة . ويقولون : ان الله اختار هذا الشعب ، ووعده بالارض . وبعد السبي والتشتيت ، وعده بالعودة الى « ارض الميعاد » . **اذن فعودة اليهود الى فلسطين ، واقامة دولـة يهودية ، هو تحقيق لوعد الله ونبوءات الانبياء .**

وهكذا قامت جميع اعمالهم السياسية ، بتنفيذ العقيدة التي زرعوها في عواطف الامم ، وعقولها . جاء في نشرة صادرة عن مطرانية الـروم الكاثوليك في الارجنتين « من اليقين ان الله اختار قديما شعب اسرائيل .. وقد احتل هذا الشعب ارض فلسطين ، في غابر الازمان ، بناء على وعد قطعه الله لابراهيم » .

كذا يقول رجال الكنائس ، وارباب المسيحية المتهودة .

ولذلك قال **الاب الدكتور ا.س. فورست** ، رئيس تحرير مجلـة الاوبزرفر ، الناطقة باسم الكنائس المتحدة في امريكا . عند عودته من جولة قام بها في الشرق الاوسط . قال« **ان اكبر ظلم وقع على العرب كان مـن الكنائس الغربية** » .

وينشرون الاضاليل في وجوه الامـــم

لقد صنفت الاف الكتب في عرض وتحليل الوسائل التي استخدمهـا الصهيونيون في الاستيلاء على فلسطين . وعرضت المؤلفات الكثيرة براعتهم المتناهية في كسب تأييد زعماء العالم لهم ولقضيتهم . والذرائع المتنوعة التي تسلحوا بها للوصول الى عقول ساسة الغرب وحكامه .

غير ان **سببا واحدا** بقي خافيا على كثير من الدارسين . منه تفرعت جميع الوسائل والاسباب واليه تعود : **فلسطين ، ارض الميعاد** ، التي وعد بها الله أباء اليهود منذ الاف السنين .

ومن هذا السبب شغاف القلوب، قلوب العالم المسيحي برمته لان الكتاب الذي يحمل هذا الوعد ، هو كتاب مقدس عند سائر المسيحيين .

وقد اضفى زعماء الصهيونية على حركتهم ثوبا دينيا براقا . رجوا به جذب يهود العالم الى فلسطين ، واخذ تأييد الفئات المسيحية المتهودة ، المتدينة . **واستغلت الصهيونية العاطفة الدينية** ، فكان احتضان العالم الغربي للصهيونية ، بالعطف والمال. والتأييد والسلاح . ولا ننسى ان العاطفة ا لدينية تعمي الانسان عن رؤية الحق الصراح .

وعندما تم الغزو الصهيوني ، برزت رواسب النبوءات المتوارثة ، والقابعة في الطبقات السفلية المظلمة من عقول المسيحيين ، السذج والبسطاء . **وسارعت الطوائف المسيحية المتهودة** ، ورجالاتها المتصهينون ، جنبا الى جنب ، مع اباء الصهيونية ، **الى عرض الاجتهادات الدينية ، وتفسير** بعض ايات الكتاب المقدس ، **في محاولة لتبرير الغزو الصهيوني .**

والاهم من ذلك انها نشرت ، وتنشر ، هذه الاجتهادات الدينية ، والتفسيرات في بوق الدعاية الصهيونية ، عبر المؤسسات الدينية ، والندوات الاجتماعية ، والاجهزة الدعائية ، رامية الى اقناع العالم ، او حمله على الاقتناع ، بأن ما حدث ، وما قد يحدث . انما هو تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس .

واهم حجة برروا بها عملية الغزو والاستيلاء ، هي ان فلسطين « ارض الميعاد » . وعد الله بها ابراهيم ، وكرر وعده مرارا وتكرارا لملوكهم وانبيائهم . ووعدهم ، بعد اقتلاعهم منها ونفيهم ، باعادة تجميعهم ، والعودة بهم الى فلسطين ، لانشاء الدولة اليهودية التي يكون كرسي الله فيها . وهذا الوعد باعادة تجميعهم ، والعودة بهم ، حاولوا ترسيخ جذوره في العقل الغربي . وقد تمكنوا من ذلك . كيف لا ؟ والوعد — الوثيقة هو محور الكتاب المقدس ، وخلاصته .

ثم انهم اعتمدوا التأويل ، وتحميل الاية احيانا ، اكثر من معنى ، لاشاعة التضليل . واتخذ بعضهم من الوعظ والارشاد مهنة لهم ، ليخدم الغاية التي نذر نفسه من اجلها . وكان لهم **جيش من الرسل والمبشرين** الذين يحملون اسماء مسيحية وقلوبا يهودية . وجيش من افراد الطوائف التي انشقت عن المسيحية ، كالبروتستانتية ، وجميع الفرق التي تفرعت عنها .

وهناك حركات دينية متصهينة . هي اشبه بالحركات الباطنية . ظاهرها مبادىء انسانية ، كالاخاء والمحبة والمساواة والحرية .. او التقشف ونبذ حطام الدنيا .. كشهود يهوه ، والسبتية ، والمتجددين .. وباطنها حركات سياسية واجتماعية ، تعمل على خدمة مآرب الصهيونية وتحقيق اهدافها . فكانت العودة الى « ارض الميعاد » ، وبناء الدولة اليهودية ، واعادة تعمير هيكل سليمان و.. هي الرسالة التي حملوها ، ويحملونها في وجداناتهم وفي مجالسهم وكتبهم وتبشيرهم . فكان المسيحي الغربي يشب ، وفي اذنيه تطن اصداء هذه الرسالة . وصار العالم ، خاصة الغربي ،

بعد سيطرة اليهود على مجاري الفكر وتياراته ، بعامل اعتبار التوراة كتابا مقدسا ، وبقوة الدعاية التي لفحت الفكر بالزيف والاباطيل ، صار هذا **العالم يؤمن بعماء ، ان حق اليهود في ارض فلسطين هو حق شرعي ، تثبته التوراة « المقدسة »** التي تشكل الخلفية الفكرية لمعظم المفكرين السياسيين وغير السياسيين في العالم تقريبا .

« فليس غريبا ان معظم اليهود يصلون من اجل العودة الى صهيون ، ويرتلون تكرارا تلك المقطوعات المعروفة من المزامير والانبياء ، والتي تبشر بالعودة . **ولكن الغريب ان الطوائف المسيحية البروتستانتية** ، والتي تقبل التفسير الحرفي للكتاب المقدس ، **تتطلع كذلك الى هذه العودة** (١٠٨) » .

كان اليهود يسربون التفاسير ، ويروجون الشروح والتاويلات ، بتأن وحذر شديدين . وكان العقل المسيحي يتقبل هذه التفاسير والشروح بـحذر ودهشة ، وبغير انتباه او اهتمام بما تثيره هذه الشروح والتفاسير في صلب العقيدة المسيحية من تضليل او تزييف .

فانشقت المسيحية الى طوائف ، وصار لكل طائفة تعاليم ومبادىء وعادات وتقاليد .. وكلها مشربة بالروح اليهودية .

ولم يظهر بين المسيحيين من يتصدى للزيف والتضليل ، ويمحو عن وجه المسيحية ما علق به من زور وبهتان ، ويعيد اليه بريق الحق . لان اليهود كانوا يعملون لهدف ويجدون لتحقيق غاية . اما المسيحيون فقد انساقوا وراءهم ، ولا غاية لهم يبغون الوصول اليها . وشتان بين من يسعى لغاية ، وبين من يتقبل ما يلقى اليه من دون اجراء تمحيص او تدقيق . الاول يصل الى غايته ، واما الاخر فقد سار من حيث لا يشعر في ركـاب الاول ، ووصل الى نفس الغاية من حيث لا يدري .

وهكذا انجرف المسيحيون ، منذ عهد المسيح الى اليوم ، مع تيـار التضليل اليهودي ، المخطط له عن قصد وتصميم . ولم يظهر بين المسيحيين من يدحض الزيف ويمزق حجب الزور والبهتان .

واذا كان بعض المفكرين قد اماطوا اللثام عن حقيقة التوراة ، واعادوها الى اصولها ، في اثار اوغاريت ، وما بين النهرين ، ومصر . او فضحـوا حقيقة الاله « يهوه » الذي وعد اتباعه بتمليكهم القسم الجنوبي من ارض سوريا . فهؤلاء المفكرون يعدون بالعشرات ، ولا نقول بالمئات . ثم ، من سمع بهم ؟ واذا كان قد سمع ، فمن قرأ كتابا لهم ؟

اما التوراة فتشكل القاعدة الفكرية عند غالبية الناس . تردد علـى مسامعه اياتها وقصصها منذ نشأته ، في الكنيسة وفي المدرسة . ويكبـر ، ويرسخ في صدره الاعتقاد بأن التوراة مقدسة ، وبالتالي فكل ما ورد فيها امور ربانية واحكام الهية ، لا يرقى اليها العقل البشري ، ولا يقدر علـى الاحاطة بها . **اذن فارض فلسطين هي « ارض اسرائيل » بموجب وعد الله لابراهيم** ، وجميع انبياء اليهود من بعده . **والعودة اليها امر حتمي ، كما**

---

١٠٨ ــ الحاخام المر بيرغر ــ اسرائيل في الكتاب المقدس ــ ترجمة حسني خشبة ص ٤١ .

تنبا انبياء اسرائيل . وهكذا عملوا على تضليل المسيحيين ، حتى بات المسيحي يؤمن بحق اليهود في العودة الى فلسطين ، كاليهودي ذاته . لان ايمانه مبني على عمى بصيرة ، واستسلام عاطفي للتوراة وشروحها وتأويلاتها .

كما سخروا الجمعيات السرية ، وسائر المجالس والاندية ، لخدمة الصهيونية . واستخدموا الوسائل المختلفة ، وخلقوا الذرائع المتنوعة ، للاستيلاء على فلسطين ، واقامة دولتهم فيها . وكانوا قبل ذلك قد غزوا عقول الغربيين ، وملكوا عواطفهم ، لتقبل كل فكرة صهيونية ، وتبرير كل عمل

تهويد الذهن المسيحي

وبعد . فقد رايت ، وترى ، وسترى ، ان بني اسرائيل يسخرون نفرا من ذوي العقول المريضة . يضفون على اساطيرهم صفة « المقدس » . ويشترون الضمائر الرخيصة ، والاقلام القذرة . يطمسون الحقائق ، ويزورون التاريخ ، ويشوهون الوقائع . حتى صارت الصهيونية افيونا يخدر العقول ، وياخذ بمجامع الالباب . واضحت طيوف الصهيونية تعشش في افكار المسيحيين المتهودين . ولا يزال وجهها الحقيقي خافيا ، ومراميها البعيدة مجهولة . لانها تسدل على وجهها من الاقنعة والحجب الكثيفة ما يخفيه عن اعين الناس . وتطلق ، عن طريق مؤسساتها المتعددة ، والمنتشرة في انحاء العالم ، سيولا من الكتب والنشرات ، الكثيرة الاتجاهات ، والمتعددة الاساليب ، لتصطاد كل من تسول له نفسه الخوض في غمار القضية الفلسطينية . محاولة ان تعطل فكره ، او تجره الى نوع من الكسل او الخبل .

اما العامة ، التي تتقبل ما يلقى اليها دون امعان او تفكير او تمحيص ، فانها تدفق في وجوهها المعلومات السطحية ، القريبة المتناول ، في قالب من التاريخ ، او شكل من الدراسة . بعد ان تكسو زيفها ببريق الدعاية ولمعان الشهرة . شهرة الاقوال ، او شهرة من اطلقها . وكثرة من يتداولها . فتستدر بذلك عطف سواد الشعب ، فينجرف في تيار التأييد السياسي ، والعون العسكري ، والمساعدة المادية . او على الاقل ينسى او يتناسى العرب اصحاب القضية . والاكثر انه يضمر لهم سيف الحقد لاجتثاثهم من الوجود . او يرميهم بنظرة اللامبالاة بهم وبوطنهم . وكأنهم نكرة في عالم المعارف .

واستطاع زعماء الصهيونية ، وكتّابها ، ان يصوروا اليهود حملان في غاب ذئاب ، ومتحضرين في مجتمع برابرة . ليبرروا استجداء العطف والشفقة من العالم ، وليضفوا طابع الشرعية على حروبهم التوسعية ، مدعين انها حروب وقائية ، لا تبغي غير حدود آمنة .

رايت ..! ورايت كيف استغلوا الدين لاخفاء اهدافهم السياسية ، وتحقيق مآربهم في التسلط والترعم والتوسع .

اما نحن ، المسيحيين ، فكنا ، ولا نزال ، نعتبرهم اصحاب شريعة سماوية . وانهم احفاد الانبياء ، الذين دوخوا الجيوش ببطولاتهم الاسطورية ، وادهشوا الدنيا باخبار معجزاتهم . نردد ما رواه كتاب العهد القديم من اخبار البطولات المنسوبة الى اباء اليهود الاولين ، ومعجزات انبيائهم ، وكرامات اوليائهم . **ولا يزال رجل الدين المسيحي ، يجعل من نفسه داعية لاساطيرهم « المقدسة »** .

اسرائيل فرضت وجودها في ارضنا بالقوة . اما في الغرب ، فقد وجدوا الارض خصبة لزرع التشويه والتضليل ، بالشروح والتفاسير ، في العقيدة المسيحية . وهذا التضليل مهد الى **انشاء كيان ديني في عقول الغربيين** . ثم تجسد في كيان سياسي ، في ارض فلسطين . ايمانا من العقول الغربية المضللة ، بأن ذلك هو تحقيق لوعد الله ، وتنفيذ لاوامره العسكرية وارادته المطلقة .

فالدين هو الباعث الاول في انشاء دولة اسرائيل . واذا كان هذا الباعث اصيلا في النفسية اليهودية . فانه غرس في نفوس الغربيين ، بالتضليل ، وسقي بماء الشرح والتفسير والتأويل ، عبر الطوائف المتعددة ، والجمعيات المتباينة المبادىء والاهداف ، ورجال الدين العميان ، لجهلهم او بساطتهم ، او ضحالة وعيهم . والمتعامين ، طمعا بالكسب المادي والمعنوي .

وهذا الكيان السياسي ، الذي يحاول غرز جذوره في ارضنا ، منذ اوائل القرن العشرين ، يستند الى مجموعة من القيم الدينية ، والعنصرية ، والتاريخية . وتجمع هذا الكيان رابطة قوية ، هي الدين اليهودي . ويوحده كون اليهود يشكلون عنصرا جنسيا متميزا .

وهذه القيم الثلاث مترابطة . فعنصرهم المتميز جعلهم شعب الله المختار . والههم خاص بهم . جعل من نصيبهم فلسطين « ارض الميعاد » . ولذلك نرى زعماء الصهاينة يشددون على هذه القيم . ففي عام ١٩٤٣ وقف بن غوريون ، يخطب في حشد يهودي في فلسطين . قال « ان اليهود في العالم يكونون شعبا واحدا . شعبا لا وطن له ، ولا خلاص ، الا بالعودة الى ارض الميعاد » (١٠٩) .

اما نحن ، المسيحيين ، انا مثلا ، فمنذ نشأتي في البيت ، المدرسة ، المجتمع الصغير ، نعرف من قصص العهد القديم ، ومعجزات انبيائه ، اكثر مما نعرفه من سيرة المسيح .

عرفنا مثلا ، من رجال الدين ، ومن ابائنا واجدادنا ، ان الشعب اليهودي يتفرد بحمل رسالة الخلاص . وان خلاص البشرية لن يكون الا على ايديهم . وجميع ما ورد في كتاب العهد القديم من نبوءات سوف يتحقق . واختيار الله لهم ، وحصر الانبياء بذريتهم ، ووعدهم بأرض فلسطين . انما هو « قصد الهي » لا تدرك كنهه العقول ولا تحيط به المدارك .

109) Barent Litvinoff: 'Ben Gurion of Israel'. London, 1954. P. 75.

وعرفنا ، وعرفنا ..

واليوم . هل يسمح لي اجدادي ، وجميع اباء الكنيسة في العالم ، ان اسال :

لماذا اختار الله ابراهيم ، وذريته شعبا خاصا به . ثم قصر اختيـاره على يعقوب « اسرائيل » ونسله من بعده ؟ **ولماذا** وعدهم بتمليكهم ارضا ماهولة بسكانها ؟ **ولماذا** قضى على شعوب الارض بالفتك والابادة ؟ **اما كان** باستطاعته ، هو الحكيم القادر العادل الرحيم الشفوق الحنون العطوف .. ان يبدد هذه الشعوب من بيوتها واراضيها بغير قانون التذبيح والافناء ؟

لماذا اصر الله على وعده ، رغم ان بني اسرائيل ضربوا بالشروط التي اخذها عليهم عرض الحائط ونكثوا بعهده وخالفوا اوامره ونواهيه مرات ومـرات ؟

لمـاذا ؟

يقولون هذا **« قصد الهي »** . وانا اقول بأن عقلي قاصر عن فهم هذا « القصد الالهي » ، من اي ناحية شئت .

من الناحية الدينية ؟ هل الله ومقاصده الغاز واسرار ؟ **يقولون :** نعم . فاسرار الله لا تدركها العقول . لماذا ؟ هل الله غير قادر على الافصاح . ام انه يخاف من الصراحة ؟ من الطبيعي ان تنفي هذه التهم عنه « جـل جلاله » . فلماذا اذن يا ترى يلجأ الى الاسرار ؟

من الناحية الانسانية ؟ اليس هو اله الرحمة والمحبة والعدل والحق .. الى اخر ما هنالك من معاني الكمال والخير ؟ فكيف يقضي بابادة شعـب وتمليك ارضه لاخرين ؟ اما كان باستطاعته ان يجد ارضا غير ماهولـة ، يفجر فيها انهارا من العسل واللبن . ويقدمها هدية لشعبه الخاص ؟

لماذا لماذا ؟

فهل من مفسر لهذا « القصد الالهي » ؟ ليت .

واذا كان لي من راي ، فليس لدي غير تفسير واحد لهذا « القصد الالهي » . هو ان اصحابه ابتدعوه لتبرير هذه الاعمال والاقوال التوراتية . التي يأباها العقل ويرفضها المنطق . لان قصة ابادة الشعوب ، وتمليـك اراضيهم لاخرين ، قصة عادية ودنيوية . فكيف يمكن رفعها الى مرتبـة القداسة ، وجعلها اسفارا تتلى في كنائس المسيحيين ، بغير وصفها بهذا التعبير الغامض « القصد الالهي » ؟

ثم ، لماذا تبدلت حدود الارض الموعودة بين وعد واخر ؟ وما « القصد الالهي » من وراء هذا التبدل ؟

اليس معناه ان حدود الارض مرتبطة بالمطامع الصهيونية . وان هذه الحدود كانت تتسع تبعا لشعور اليهود بالقوة والغلبة . او تتسع ارضاء لشهوة الاستيلاء على ارض الاخرين ، او ارواء لرغبات مكمودة تتلمظ في اكبادهـم ؟

ونسال : لماذا اراد الله اقتلاع شعب من ارضه بالتذبيح والافنـاء

والتشريد . ومنحها لقوم اخرين ؟ وما الاسباب الكامنة وراء هذه المنحة السخية ؟

واين ، وكيف ، ومتى ، كان يقسم الله الارض بين الشعوب ؟ وليته كان عادلا في التقسيم . يعطي هذا ويحرم ذاك . واذا سألت : ما المبررات ؟ قالوا انه « القصد الالهي » .

وما دام الوعد قصدا الهيا .. لماذا كان الله يحارب ، ويضع الخطط الحربية ، ويقود الجيوش للغزو والاستيلاء . ويأمر بقتل الرجال والنساء والاطفال والجمال والحمير .. وقطع الاشجار ؟..

أكان بحاجة الى هذه العمليات الحربية التي لا حصر لها ، ليستولي على ارض ، ويقدمها الى شعبه الخاص ؟ اما كان بامكانه ان يحقق « قصده الالهي » من دون اراقة قطرة واحدة من الدم ؟

والمؤسف ان يطلع علينا مجموعة من الدارسين ، في الفترة الاخيرة ، بدراسات تتناول الموضوع من شتى جوانبه . وقد **اكد هؤلاء الدارسون الوعد ، في حين ارادوا نفيه . قالوا : ان الله قد اعطى الوعد بشروط اهمها** سماع كلمته ، واتباع تعاليمه ، والولاء له ، دون غيره من الالهة الاخرى . وقد تحقق الوعد ، **ثم انتفى بغضب الله** الذي حل باليهود لانهم خالفوا تعاليمه ، وكفروا باسمه ، وعبدوا الهة اخرى . فعاقبهم بالتشتيت ، وفقدان الارض .

واذا كان انبياء اليهود قد تنبأوا بغفران الله ، وبالعودة . فهؤلاء الدارسون يعتبرون ان هذه النبوءات قد تحققت بالعودة من السبي . وهم يرون ان النبوءات لا تبشر بعودة ثانية بعد خراب الهيكل .

ويعتبر فريق اخر ان الوعد بالارض لا يقتصر على اليهود فقط ، وانما يشمل العرب ايضا ، من مسيحيين ومسلمين ، لانهم تحدروا من صلب اسماعيل بن ابراهيم .

قلت من المؤسف ان يضل بعض الدارسين في سراديب الصهيونية ، او على الاقل ، ان يكونوا من فئة المسيحيين المتهودين ، خاصة الطوائف الغربية ، يؤمنون بصحة الوعد الالهي . كيف لا ؟ وقد ورد الوعد في الجزء الاول من كتابهم المقدس ، الذي تتلى أسفاره في كنائسهم ومجامعهم ومدارسهم وانديتهم .

هم يتسلحون بمبررات ومضامين من الكتاب المقدس . يحاولون اقحامها في عقول الناس . ويقدمون الشروح والتفسيرات التي تتفق وغاياتهم ، وتبرر شرعية احتلالهم لفلسطين . فاستغلوا العواطف البسيطة وضللوا العقول . اما الاصوات التي تنبهت ، وشاءت دحض هذه الاباطيل ، وفضح هذه الاراء ، فكانت خافتة ، وضعيفة . لان اليهود عرفوا ، بذكاء اعلامي خارق ، كيف يخنقون تلك الاصوات ، ويسخرون الفكر ووسائل الاعلام للسير في ركابهم .

وكانت جمعياتهم ، كجمعية محبي صهيون ، قد اخذت تنشر وعود الرب في الكتاب المقدس ، واقوال الانبياء التي تؤكد حتمية الرجوع الى فلسطين ، واقامة الدولة ، وبناء الهيكل .

اما نحن ، الكنيسة البروتستانتية مثلا ، وما تفرع عنها من فرق

وطوائف ، فقد جعلنا من التوراة كتابنا المقدس . فكانت التفاسير اليهودية تفعل فعلها في نفوس المؤمنين ، الذين وقعوا اسرى لهذه التفاسير . مما ادى الى تهويد الذهن المسيحي الغربي .

وقد استطاع اليهود ، بوسائل الاعلام ، وبالبغاء السياسي والمالي والديني ، ان يوهموا العالم ، خاصة بريطانيا ، بان البلاد المقدسة خالية من السكان ، منذ نفيهم منها . وهم اليوم يبغون العودة اليها ، ليعيدوا سيرة الملك داود ، في بناء مجد لم يكن غير اساطير وحكايات اضفت عليه المبالغة لباسا فضفاضا ، حتى جعلته يسلي ويلهي .

ومن الواضح ان الاتجاهات الطائفية ، والدعوات الدينية ، وتفسير النبوءات والتنبوءات قد ترسخت في نفوس عامة الشعب البريطاني . وتركت اثرا قويا في نفوس اغلب الساسة الانكليز . ومن هنا كان انجرافهم مع التيار الصهيوني . وكان الشعب يتقبل الانجراف لا بل يصفق له حبا وتاييدا .

وهكذا حرص اليهود على تهويد الله ، مذ عرفوه ، ثم احتكروه . ووضعوا على لسانه الوعود المشفوعة بقسمه بذاته ، بتمليكهم ارض كنعان . وحرصوا على تهويد المسيحية منذ بطرس (١١٠) ، تلميذ المسيح ، ورائد عملية ربط الانجيل بالتوراة ، والمسيحية باليهودية . فكان من الطبيعي ، ان يتطوع المسيحيون ، بحسب الطلب ، والعصر ، والظروف ، الى تنفيذ ما يدعي بنبوءات التوراة ، كونها كتابهم المقدس . وكانت الدول الغربية المتعمدة بماء المسيحية المتهودة . خير معوان لهم في عملية تهويد فلسطين . وجمعهم من اربع ناحيات الارض ، وكبهم في مدينة السلام « اورشليم » عاصمة ملكي صادق ، كاهن الله العلي .

وعندما تهود المسيحيون ، تخلقوا باخلاق التوراة ، التي تقضي شرائعها بابادة الامم ، وسحق الشعوب ، وتدمير مظاهر الحضارة ، ونشر الخراب في المدن العامرة . وتقضي بعودة اليهود الى فلسطين ، وبعث دولة اسرائيل ، التي هي تحقيق جزئي لنبوءات التوراة ، ورؤيا المسيح المنتظر .

فالتوراة لا تعدو ان تكون خيوطا سياسية لمملكة ارضية . او قل هي « الوطن الام التائه للشعب اليهودي » . والشعب اليهودي يحس برغبة عارمة في تحقيق نبوءة العودة الى الارض المقدسة . والشعب المسيحي المتهود يحس ايضا بنفس الرغبة في تحقيق نبوءات العهد القديم ، كتابه المقدس . فكان من الطبيعي ان يوجه الكاتب اليهودي ماركس رافاج كتابا مفتوحا الى المسيحيين . جاء فيه « انكم ، ايها المسيحيون ، تثيرون ضجة **حول النفوذ اليهودي في مؤسساتكم ومسارحكم . ومدارسكم وقوانينكم .** حتى الافكار التي تدور في اخلادكم .

اليهود غزوا بلادكم ونفوسكم بلا جيوش ولا اسلحة . كان غزوا وفتحا

---

١١٠ — راجع ما كتبه ندره اليازجي في هذا الموضوع في كتابيه : رد على اليهودية واليهودية المسيحية . دمشق ١٩٦٩ ورد على التوراة — دمشق ١٩٧٤ .

بالروح اليهودية ، بالمبادىء ، بالدعاية . بلا شعور منكم ، **جعلناكم تحملون رسالتنا الى العالم اجمع** (١١١) » .

واستطاع اليهود جر المسيحيين في ركابهم منذ نجحوا في عملية ربط التوراة بالانجيل . وزاد في تماسك هذا الرباط ان المسيحيين الغافلين رأوا « عهدهم الجديد » متمما او مكملا « للعهد القديم » .

فانبرى الكتاب ، وحملة الاقلام ، ورجال الدين ، يبوقون في نبوءات الكتاب المقدس . وجاء السياسيون يعملون على تنفيذ هذه النبوءات . وهم يرون في تحقيقها تقربا لله وزلفى .

وكان في طليعة **المسيحيين المتهودين ، رجال السياسة ، وحملة الاقلام ، ورجال الدين** . وما تبقى من المجتمع اغنام في حظيرة تساق بوسائل الاعلام ، او بوعظ الكهان ، أو بأوامر الحكام . أو تساق بهذه الادوات جميعها ، كما في أوربا واميركا مثلا . وكان رجال السياسة ، وحملة الاقلام ، ورجال الدين ، مشدودين بحبل العقل الباطن ، الخاضع **للتربية والنشأة والبيئة** . وهذه العوامل التكوينية الثلاثة **يسيطر عليها ، ويوجهها ، ويفعل بها كتاب مقدس** ، يضم بين دفتيه العهد القديم ، والعهد الجديد .

الديانـــة القوميـــة

منذ ولدت الصهيونية السياسية في القرن التاسع عشر ، وهي تعمل جاهدة ، على تكوين شخصية اليهودي القومية . حتى اذا ما انشئت الدولة المسخ ، جاء ارتباطه السياسي بها قويا ، لانها ارض قوميته . كارتباطه الديني بالتوراة ، لانها كتاب آماله ورجائه .

هذه الشخصية المختارة . كان لا بد لها من ارض تأخذ بها ابعادها . والارض ايضا مختارة حددها الرب في وعوده المتكررة لانبياء اسرائيل . **فالارتباط اليهودي بارض فلسطين قوي جدا ، لانه نتيجة حتمية لارتباطه بدينه** . ومن هنا كانت الديانة اليهودية قومية . كما كانت القومية اليهودية دينية . فلا فرق عند اليهودي بين دينه وقوميته . ولا معنى لاحدهما من دون الاخر . لان هذان المقومان يكونان شخصيته الدينية والدنيوية . ومخطىء من يقول ان اليهودية دين ، والصهيونية ارض . ولا خلط بينهما . اقول مخطىء من يدعي هذا القول . **لان الدين اليهودي يتضمن جميع مبادىء الصهيونية** . والصهيونية متجذرة في الدين اليهودي . ولا وجود لحدود فاصلة بين شريعة اليهود الدينية . وبين مقومات قوميتهم . لان الشريعة اليهودية تتلخص في تمجيد عنصرهم ، وتقديس عرقهم ، وتبشيرهم بأنهم شعب الله المختار ، ووعدهم بارض يخطط حدودها الرب .

فاليهودية هي الديانة القومية للشعب اليهودي . والصهيونية تنحصر

---

١١١ — مجلة القرن الاميركية شباط ١٩٢٨ .

في تامين ارض لهذا الشعب ، او قاعدة اقليمية لهذه القومية . **وهذه الارض او القاعدة هي فلسطين ، لارتباطها الشديد بالديانة اليهودية** ، من حيث هي « ارض الميعاد » او جبل صهيون ، او مركز الهيكل . وهكذا كانـت الديانة اليهودية المرتبطة بأرض فلسطين ، وسيلة لاستدرار العطف على الحركة الصهيونية . ودافعا يهيب باليهود للعودة والاستيطان . فالصهيونية دعت الى قومية يهودية . والدين اليهودي دعا الى قومية دينية . **واليهودية هي الصهيونية** . فكان من الطبيعي التقاء القومية الدينية بالقومية اليهودية . اي العنصرية بالدين . وكان « الوطن » فلسطين « ارض الميعاد » هــو القاعدة الاقليمية . لان « **اسم فلسطين ، في حد ذاته ، يجتذب شعبنا بقوة عجيبة الفعالية** » كما قال هرتزل . ولان القدس ، حيث جبل صهيون ، والهيكل ، قلب فلسطين النابض ، يجتذب اليهودي بسحر عاطفي فعال .

وهكذا تمخضت الديانة اليهودية ، فكانت القومية الصهيونية . او قل « ان الديانة اليهودية مرتبطة عضويا بالقومية اليهودية . لان الديانة اليهودية هي ، قبل كل شيء ، قومية (١١٢) » . واليهودي لا يميز بين القومية والدين ، بل جمعهما في تعصب عرقي اعمى . هدد العالـم بكثير من الويــلات .

واليهودية دين الشعب اليهودي . والصهيونية ارض « من جبــل صهيون » . ولا معنى لشعب بلا ارض . فلتكــن الارض جبل صهيون ، لتحقيق وعود الرب المضمنة في التوراة .

والى جميع المسيحيين والمسلمين ، الذين يقبلون اليهودية كديــن . ويرفضون الصهيونية كقومية . نقول لهم : لا حدود بين الاعتبارات الدينية وبين المقومات القومية في عرف اليهودي . لان تعصبه العرقي ، وعنصريته الذميمة ، جعلتاه يؤمن بانه اقدس شعب ، في اقدس ارض . وعده بها الهه الخاص « يهــــوه » .

---

١١٢ — موزس هس — روما والقدس — ١٩٥٨ ص ١٩ .

خاتمة

وبعـــد ..

ـ ارايت الـى اليهود ، يملكون سلاحين ، من اقوى الاسلحـة الفتاكة بعقول الناس : **سلاح الدين ، وسلاح الاعلام** . او بتعبير هرتزل **سلاح الصياح** . فقد ملكوا بالدين عواطف الامم . واستطاعوا بالفكـر المراوغ الختال ، تزوير الحقائق وتزييف التاريخ . وتمكنوا بالصياح ، اقناع الناس بأباطيلهم . واضفاء صفة القدسية على خرافات التوراة واساطيرها . ومن ثم نشرها في العالم ، على انها كتاب سماوي . تجلله ابراد القداسة والاعتبـار .

يقول هرتزل في مذكراته المؤرخة في ١٢ أيار سنة ١٨٩٨ ، وكأنـه يضع القاعدة الرئيسية للدعاية (١١٣) « الصياح هو كل شيء . حقا ان للصوت العالي شأنا كبيرا . الصياح المتواصل تعاقد مأثور . ليس تاريخ البشر سوى قعقعة السلاح وجعجعة الرأى الزاحف . عليكم ان تصيحوا وتصرخـوا » .

ولا يزال الدين ، والصياح ، امضى سلاحين يملكهما اليهود .

ـ هل تعلم ، او علمت ، ان انبياء اليهود هم ادعياء نبوة ، ومحترفو سياسة . يتسترون بالدين لتحقيق اغراضهم السياسية . واهمها استملاك اراضي الشعوب ، واخضاع العالم لسيطرتهم ؟

ـ ارايت الى اليهود ينظرون الى الههم ، نظرتهم الى وسيلة ، او اداة ، تصل بهم الى تحقيق شهواتهم المادية ، ومطالبهم الارضية . في وقت رأى انسان الشرق القديم في الهه قيما انسانية وروحية وخلقية ، تسمو به في فضاء الروح وسمو الأخلاق (١١٤) ؟

ـ هل تستطيع الان ان تجيبني على بعض الاسئلة التي طرحتهـا في مستهل هذا الحديث ؟ مثل :

ـ لماذا تكشف الله لقبيلة معينة من دون سائر الشعوب . وفي بقعة خاصة من بقاع الارض ؟ وهل تعتقد ان الله بشموله ، يقبل ان يترك سائر الشعوب من غير أن يمنحها فرصة خلاص ؟

ـ لماذا اراد الله تاسيس مملكته في ارض معينة ((فلسطين)) . واراد ان يعمر بيته على جبل صهيون . واراد للامم ، كل الامم ، ان تاتي اليه ، تقدم الطاعة والخضوع ؟ وهل تعتقد ان مملكة الله تكون في الارض ؟

ـ لماذا اختار الله اليهود من بين سائر الامم . وكان إلهاً خاصا بهم ؟ ولماذا اصطفى فلسطين وطنا لهم وموطنا لبيته وسكناه ؟

ـ هل سالت نفسك يوما : **متى ، وكيف ، واين ، يكون الاستيلاء**

---

١١٣ ـ اسرار المؤامرة الصهيونية لعبد الله النجار ص ١٨ .

١١٤ ـ هذا موضوع بحثنا في كتاب القادم .

على اراضي الاخرين ، وابادة سكانها بحد السيف ، شريعة الهية ؟
ارايت الى دعوات الصهيونية ، كيف تسربت الى نفوس المسيحيين ، بفعل نصوص العهد القديم من كتابهم المقدس ؟

ـــ ورايت الى كتاب العهد القديم ، تاريخ بني اسرائيل ، لا يحمل غير معالم الحياة القبلية البدائية . وان نصوصه « الدينية » التي تفيض وحشية ، وعنصرية . لا تعدو ان تكون خيوطا سياسية لمملكة ارضية ؟

ـــ وهل فكرت يوما ، او تفكر الان ، ان تسلط بقعة ضوء على هذا الكتـــاب ؟

ـــ ارايت الى مقدرة بني اسرائيل في اقناع العالم بأن اعادتهم الى ارض فلسطين ، هي قضية انسانية عادلة ؟

تُرى لان قضيتهم تستمد ماء الحياة من تربة دينية خصبة ؟
ورايت الى الصلة التي تربط اليهود بارض فلسطين ؟

ـــ ارايت الى آباء الصهيونية ، يسخرون الدين لاغراض سياسية . ويستخدمونه لمهمة بناء الدولة ؟ وهل رايت في نبوءات انبيائهم غـــير امال سياسية بانشاء مملكة لهم في فلسطين . وامنيات بالعودة اليها حين كسحتهم مناجل اصحاب الارض ؟

ـــ ارايت الى الصهيونية السياسية ترتبط اوثق ارتباط بالدين اليهودي ؟ فكلما كانت الحاسة الدينية قوية في اليهود كلما كانت الصهيونية السياسية اشد استفحالا واكثر ضراوة . والعكس بالعكس ؟

ـــ هل تعلم ، او علمت ، ان بني اسرائيل قبيلة ظهرت حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد .. تبنت معتقدات دينية ، غايتها الاستيلاء على ارض الاخرين ؟ اعتقدوا بها ، وهي خاصة بهم . ولكن لماذا نعتقد بها نحـــن المسيحيـــين ؟

ـــ ما جدوى المؤتمرات والعرائض والتوسلات للدول الكبرى . وما نفع الخطابات المجلجلة في قاعات هيئة الامم . والهتافات المدوية في الشوارع والاندية . ما دام الحق للقوة . وقوة الغرب مسخرة لاسرائيل . هذا الغرب القادر ، المنقاد لاضاليل الصهيونية . قهر شعبنا الجاهل ، المتخلف ، الاعزل . وفتح ابوابنا بالقوة ، واباح ارضنا لابشع غزوة دينية عرفها التاريخ ؟

ـــ الا تعتقد ان حركة الفدائيين ـــ الشوكة ، التي تدمي حلق اسرائيل ، ستخنق انفاسها في المستقبل ؟

ـــ الا تزال تردد ما رواه « العهد القديم » من اخبار البطولات المنسوبة الى آباء اليهود الاولين ، ومعجزات انبيائهم وكرامات اوليائهم ؟

ـــ اما زال وعيك ارضا بكرا ، تمطرها سحب الوقائع الشائهة ، وتجتاحها رياح الدعاية المخادعة . وتهوم في اجوائها غيوم التضليل المتعمد ؟

وبعـــد ..

ـــ ارايت الى **الوثيقة التي تستند اليها الصهيونية** في ما تدعيه من حق في ارض فلسطين ؟

بعضـ المراجـع

ـ اليهودية ـ الدكتور احمد شلبي ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة ١٩٧٤
ـ اسرائيل في الكتاب المقدس ـ بقلم مجموعة من اساتذة اللاهوت ـ ترجمة حسني خشبة ـ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢
ـ الصهيونية في الستينات ـ محمود نعناعة ـ المؤسسة المصرية للتاليف والنشر ـ القاهرة ١٩٦٤
ـ نحن والفاتيكان واسرائيل ـ انيس القاسم ـ مركز الابحاث بيروت
ـ اسرائيل بنت بريطانيا البكر ـ الدكتور محمد علي الزعبي ـ بيروت
ـ مدخل الى اسرائيل ـ الن تايلور ـ ترجمة شكري غانم
ـ اسرائيل الكبرى ـ الدكتور اسعد رزوق ـ مركز الابحاث ـ بيروت
ـ اوغاريت ـ نسيب وهيبة الخازن ـ دار الطليعة ـ بيروت
ـ مع الكلمة الصافية ـ قاسم الشواف ـ دمشق ١٩٦٩
ـ الماسونية دين فينيقي ـ جان ابو نعوم ـ بيروت ١٩٦٥
ـ العرب واليهود في التاريخ ـ الدكتور احمد سوسه ـ دمشق ١٩٧٥
ـ اسرار المؤامرة الصهيونية ـ عبد الله النجار ـ بيروت
ـ التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي ـ الدكتور صبري جرجس عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٠
ـ عصر عمالقة ـ اسد الاشقر ـ بيروت ١٩٧٥
ـ الصهيونية بين تاريخين ـ عبد الله النجار وكمال يوسف الحاج ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٢
ـ أحذروا الصهيونية ـ يوري ايفانـوف ـ ترجمـة احمد داود ـ وزارة الثقافة السورية ١٩٦٩
ـ نسف الاضاليل ـ انيس فاخوري ـ بيروت ١٩٧٤
ـ تهويد فلسطين ـ اعداد الدكتور ابراهيم ابو لغد ترجمة الدكتور اسعد رزوق ـ مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٧٢
ـ مشكلة اليهودية المالية ـ فؤاد محمد شبل ـ الهيئة المصرية للتاليف والنشر ١٩٧٠
ـ رد على التوراة ـ ندرةاليازجي ـ دمشق ١٩٧٤
ـ الاستعمار الصهيوني في اسرائيل ـ الدكتور فايز صايغ ـ مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٦٥
ـ من الفكر الصهيوني المعاصر ـ مركز الابحاث ـ بيروت
ـ التحدي الصهيوني ـ جاك دومال وماري لوروا ـ ترجمة نزيه الحكيم
ـ فلسطين الحقيقة ـ جيفرز ـ ترجمة احمد خليل الحاج ـ الهيئة المصرية للنشر والتاليف
ـ معالم تاريخ الانسانية ـ هـ. ج ـ ويلز ـ ترجمة عبد العزيز جاويد ـ القاهرة ١٩٤٨
ـ مذكرات هرتـزل
ـ مذكرات وايزمـن

— E.H. weech: Civilization of the Near East'.
— Ben Gurion: 'Rebirth and Destiny of Israel'.
— Olmstead: 'History of the Persian Empire'. 1960.
— Salo Baron: 'A Social and Religious History of the Jews'. 1954.
— Barent Litvinoff: 'To the House of Their Fathers'. 1965.
— Frank Jannaway: 'Palestine and the Jews'. 1914.
— N. Bentwich: 'Palestine'. London, 1934.
— H. Sacher: 'The Course of Modern Jewish History'. N.Y. 1963.
— Barent Litvinoff: 'Ben Gurion of Israel'. London, 1954.
— H.W. Van Loon: 'The Story of Mankind' N.Y. 1955.
— P.V.N. Myers: 'Ancient History'. Boston, 1902.
— H.G. Wells: 'A Short History of the World'. London, 1934.
— J.H. Breasted: 'Survey of the Ancient World'. U.S.A., 1919.
— G.W. Bostford: 'A History of the Ancient World'. N.Y. 1914.

فهـــرســت